

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . وَخَصَّهُ دُونَ  
الْمَخْلُوقَاتِ بِشَرَفِ التَّكْرِيمِ . وَوَهَبَ لَهُ عَقْلاً يَتَدَبَّرُ بِهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ مِنْ آيَاتٍ ، لِيَسْلُكَ بِإِرْشَادِهِ أَوْضَحَ الْحَجَّاتِ ، وَيَمْحُوَ  
بِنُورِهِ ظُلُمَاتِ الرَّيْبِ وَالْإِلْبَاسِ ، قَائِلاً : وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ  
نَضَرْنَا لِلنَّاسِ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ بَيْنِ مَعَالِمِ الْعِرْفَانِ ،  
الْمُخْتَصِّ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ فِي غَايَةِ الْبَيَانِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ  
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ . وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . (أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّ أُنْحَفَ  
الْعَوَارِفِ ، وَاللُّطْفَ الْمَعَارِفِ ، عِلْمٌ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى صِدْقِ  
الْفِرَاسَةِ ، وَيُسْتَنْبَطُ مِنْهُ حُسْنُ السِّيَاسَةِ . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا لَاحَ  
عَلَى صَفَحَاتِ ذَلِكَ الْوَجْهِ وَجَنَّةً ، كِتَابُ "كَلِيلَةِ وَدِمْنَةَ" ،  
مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تُرْجِمَتْ فِي صَدْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنَ اللُّغَةِ  
الْأَنْجَمِيَّةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، لِأَنَّهُ فِي ضُرُوبِ السِّيَاسَةِ أَكْبَرُ آيَةٍ ،  
وَفِي جَوَامِعِ الْحِكْمِ وَالْآدَابِ مِنْ أَبْلَغِ غَايَةٍ . حَرِيٌّ بِأَنْ يُكْتَبَ  
بِسَوَادِ الْمِسْكِ عَلَى بَيَاضِ الْكَافُورِ ، وَحَقِيقٌ بِأَنْ يُعَلَّقَ بِخِيوطِ

النور على نُحُورِ الحُورِ . وَلِذَلِكَ عَكَفَ عَلَى الإِعْتِنَاءِ بِهِ أَصْنَافُ  
النَّاسِ ، فَتَرَجَمُوهُ مِنَ العَرَبِيَّةِ إِلَى لُغَاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الأَجْنَاسِ .  
ثُمَّ اغْتَالَتْ نُسخُهُ بِالعَرَبِيَّةِ أَيْدِي الدُّهُورِ والأَعْصَارِ ، وَطَارَ بِهَا  
مِنْ رِيَاحِ الحَوَادِثِ إِعْصَارٌ . فَقَبِضَ اللهُ صَاحِبَ الفُتُوحِ السَّنِيَّةِ ،  
وَالهِمَّةِ العَلِيَّةِ العَلَوِيَّةِ ؛ حَامِيَ ذِمَارِ المُسْلِمِينَ وَالإِسْلَامِ ،  
مَادَّ سُرَادِقِ العَدْلِ عَلَى كَافَّةِ الأَنَامِ ؛ قَاهِرَ الطُّغَاةِ وَالجَبَابِرَةِ ،  
وَمُرْغَمِ أنُوفِ المُتَمَرِّدَةِ الفَاجِرَةِ ؛ أَمِيرَ أَمْرَاءِ المُؤْمِنِينَ ،  
وَسَيْفَ اللهِ المُسَلُّولِ عَلَى أَعْنَاقِ المُعْتَدِينَ ؛ الحَاجَّ مُحَمَّدَ عَلِيَّ بَاشَا ،  
لَا زَالَتْ بِذُبَابِ سَيْفِهِ مُهَجُّ العِدَا تَتَلَاثَى ؛ وَلَا بَرِحَتْ أَلْوِيَّتُهُ  
بِالنَّصْرِ مَنشُورَةً ، وَعَسَاكِرُهُ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ مُظْفَرَةٌ مَنصُورَةٌ ؛  
فَاعْمَلْ فِي خِدْمَةِ الشَّرِيعَةِ العُرَاءِ ، وَسُلُوكِ المُحَجَّةِ الوَاضِحَةِ البَيْضَاءِ ،  
كُلًّا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ وَسِنَانِ القَلَمِ ، حَتَّى بَحَرَ بِمُتُونِ الصَّفَائِحِ  
وَالصَّحَائِفِ يَنَابِيعِ النَّصْرِ وَالْحِكْمِ ؛ وَتَصَدَّى لِإِحْيَاءِ رَمِيمِ  
المُكْرَمَاتِ الدَّوَارِسِ ، وَانْتَدَبَ لِإِعَادَةِ دَارِسِ العُلُومِ بِإِنشَاءِ  
المَدَارِسِ ؛ جَامِعًا بَيْنَ دَانِي الشَّرَفِ وَقَاصِيهِ ، حَقِيقًا بِمَا  
قُلْتُ فِيهِ :

مَآذَا أَقُولُ وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي مَلِكٍ      قَدْ فَاقَ كُلَّ مُلُوكِ الْأَعْصِرِ الْأَوَّلِ  
 مُحَمَّدٌ أَنْتَ إِنْ أَحْمَدَكَ مُبْتَهَلًا      وَإِنْ طَلَبْتُ لَكَ الْعَلِيَا فَأَنْتَ عَلِيٌّ  
 قَدْ أَعْجَزَ الْبُلْغَاءَ اللَّسْنَ مَنْقَبَةٌ <sup>(١)</sup>      عَنْهَا رَوَّاءَيْنِ صِدْقِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ  
 وَمَا تَقَرُّ سَيْوْفٌ فِي مَمَالِكِهَا      حَتَّى تَقْلُقَ دَهْرًا قَبْلُ فِي الْقَلْبِ  
 مِثْلُ الْمَلِكِ بَغَى أَمْرًا فَقَرَبَهُ <sup>(٢)</sup>      طُولُ الرَّمَاحِ وَأَيْدِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ  
 وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا هَمَّةٌ زُحَلٌ <sup>(٣)</sup>      مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التُّرْبِ مِنْ زُحَلِ  
 عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ <sup>(٤)</sup>      تَوْحُشٌ لِمُلَقَى النَّصْرِ مُقْتَبِلِ  
 تَتْلُو أَسِنَّةَ الْكُتُبِ الَّتِي نَفَذَتْ <sup>(٥)</sup>      وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالًا مِنَ الرُّسُلِ  
 يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلَا يَلْقَى سِوَى جُزْرِ <sup>(٦)</sup>      وَمَا أَعَدُّوا فَلَا يَلْقَى سِوَى نَفْلِ <sup>(٧)</sup>  
 الْفَاعِلُ الْفِعْلُ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ <sup>(٨)</sup>      وَالْقَائِلُ الْقَوْلُ لَمْ يُتْرَكَ وَلَمْ يُقَلِّ  
 وَالْبَاعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عِجَاجَتُهُ <sup>(٩)</sup>      ضَوْءَ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطُّفْلِ  
 الْجَوَّاضِقُ مَا لَأَقَاهُ سَاطِعُهَا <sup>(١٠)</sup>      وَمُقَلَّةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ الْمُقَلِّ

(١) أي الفصحاء لمن كفرح فهو لسن وألس . (٢) زحل مبتدأ وخبره بمكان وبالجملة  
 صفة لهمة والمعنى همة دونها زحل . (٣) في العراق متن لا يحمد نارها سوى جيشك الجرار  
 وسيفك البشار وفي حلب همجية لا يشلم حدّها غير مستأنف ماضى عزمك وسنان رمحك .  
 (٤) الجزر : جمع جرور وهو البعير . (٥) النفل : الغنيمة . (٦) عال : كاغتال أهلك ، والمراد  
 حجب . (٧) العجاجة : الفبار . (٨) الطفل بالتحريك : دنق الشمس للغروب .

يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهِيَ نَاطِرَةٌ ۖ  
قَدْ عَرَّضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ  
وَوَكَّلَ الطَّعْنَ بِالْأَسْرَارِ فَانْكَشَفَتْ  
هُوَ الشُّجَاعُ يَعُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبْنٍ  
يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرِ مُفْتَخِرٍ  
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بَغِيَّتَهُ  
إِذَا خَلَعَتْ عَلَى عَرِيضٍ لَهُ حُلًّا  
بِيَدِي الْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرُّ  
لَقَدْ رَأَتْ كُلَّ عَيْنٍ مِنْهُ مَالِهَا  
فَمَا تُكْشِفُكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مَلِيٍّ  
وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ  
مَا زَالَ طِرْفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ  
يَأْمَنُ يَسِيرٌ وَحَكْمُ النَّاطِرِينَ لَهُ  
إِنَّ السَّعَادَةَ فِيهَا أَنْتَ فَاعِلُهُ  
فَمَا تُقَابِلُهُ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ  
وَوَظَاهِرَ الْحَزْمِ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغَيْلِ  
لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْحَبَلِ  
وَهُوَ الْجَوَادُ يَعُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بَحْلِ  
وَقَدْ أَعَدَّ إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَفِلٍ  
وَلَا تُحْصَنُ دِرْعٌ مُهْجَةً الْبَطْلِ  
وَجَدَّتْهَا مِنْهُ فِي أَبِيهِ مِنَ الْحَلْلِ  
كَمَا تَضُرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْجَعْلِ  
وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَةَ الدُّوَلِ  
مِنَ الْحُرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلِ  
تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلٍ  
حَتَّى مَشَى بِكَ مَشَى الشَّارِبِ الثَّمَلِ  
فِيهَا يَرَاهُ وَحَكْمُ الْقَلْبِ فِي الْجَدَلِ  
وَقَفَّتْ مَرْتَحِلًا أَوْ غَيْرَ مَرْتَحِلِ

أَجْرَ الْحِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيهَا وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأَوَّلِ  
يَنْظُرُونَ مِنْ مَقَلٍ أَدْمَى أَجْتَهَا<sup>(١)</sup> قَرَعُ الْفَوَارِسِ بِأَعْسَالَةِ الذُّبْلِ  
فَلَا هَجَمَتْ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفْرِ وَلَا وَصَلَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى أَمَلٍ<sup>(٢)</sup>

وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا جَعَلَهُ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا زِينَةً وَعَيْدًا ، وَلِأَرْبَابِ  
الْحُرُوبِ وَالْمَحَارِبِ مَوْسِمًا سَعِيدًا ، دَارُ الطَّبَاعَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا  
بِبِلَاقٍ : إِذْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهَا فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْآفَاقِ . لِأَنَّ  
الْكَتُبَ تُطْبَعُ فِيهَا مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ ، بِكُلِّ لُغَةٍ وَبِكُلِّ رَسْمٍ مَعَ  
تَلْوِينِ الْمِدَادِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ . فَصَادَفَ سَعْدُهُ الْمُقْتَرِنُ مِنَ اللَّهِ  
بِالْمِنَّةِ ، وَجُودَ نُسخَةٍ مَطْبُوعَةٍ بِالْعَرَبِيِّ فِي غَيْرِ بِلَادِ الْعَرَبِ مِنْ  
كِتَابِ كَيْلَةَ وَدَمْنَةَ . وَهِيَ الَّتِي تَرَجَمَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ  
الْكَاتِبُ الْمَشْهُورُ ، فِي أَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ .  
وَكَانَتْ تَرَجَمَتْهَا مِنَ اللُّغَةِ الْبَهْلَوِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَاتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى  
صِحَّةِ تِلْكَ النُّسخَةِ : لِشُهْرَةِ مُصَحِّحِهَا بِالْأَلْمَعِيَّةِ . إِذْ قَالَ

(١) أجة : جمع حجاج ومن معانيه عظم ينبت عليه الحاجب وهو المراد هنا . (٢) هذه القصيدة

بجميعها ما عدا الأبيات الثلاثة الأولى مأخوذة من قصيدة لأبي الطيب في مدح سيف الدولة .

(٣) الفارسية القديمة .

فِي دِيْبَا جَتِهَا : "اجْتَمَعَ عِنْدِي مِنْ كِتَابِ كِيلَةَ نُسخٌ شَتَّى مُتَّفِقَةٌ  
السِّيَاقِ وَالْإِنْتِظَامِ ، مُخْتَلَفَةٌ الْعِبَارَةَ وَالْأَلْفَاظِ . وَكَانَ مِنْ عَدَدِهَا  
نُسخَةٌ قَدِيمَةٌ الْعَهْدِ ، عَجِيبَةٌ الْخَطِّ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُوجَدُ فِيهَا مَعَ  
جَوْدَتِهَا بَعْضُ الْغَلَطَاتِ . وَقَدْ ذَهَبَ مِنْهَا أَيْضًا بِتَصْرِيْفِ  
الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ ، أَوْرَاقٌ جُعِلَتْ عِوَضًا عَنْهَا أَوْرَاقٌ غَيْرُهَا  
جَدِيدَةٌ الْعَهْدِ ، رَدِيئَةٌ الْخَطِّ لَيْسَتْ عَلَى هَيْئَةِ الْبَاقِي . وَالنُّسخَةُ  
الْمَذْكُورَةُ هِيَ الَّتِي أَخْتَرْتُهَا حَتَّى تَكُونَ هِيَ الْأَصْلَ الْمُعْتَمَدَ عَلَيْهِ  
عِنْدَ طَبْعِ هَذَا الْكِتَابِ . غَيْرَ أَنِّي كَلَّمَا عَثَرْتُ فِيهَا عَلَى غَلْطَةٍ ،  
أَوْ مَا أَشْتَبَهَ عَلَى الْقَارِي فَهَمُّهُ ، قَابَلْتُهَا بِمَا عِنْدِي مِنَ النُّسخِ  
غَيْرِهَا ، وَآثَبْتُ مَا رَأَيْتُ لَفْظَهُ أَفْصَحَ ، وَمَعْنَاهُ أَوْضَحَ " انتهى  
كَلَامُهُ . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ النُّسخَةَ الْمَطْبُوعَةَ عُرِضَتْ هِيَ وَغَيْرُهَا عَلَى  
شَيْخِ مَشَايخِ الْإِسْلَامِ ، وَقُدُورِ عُمَدِ الْأَنَامِ ، مَوْلَانَا الشَّيْخِ حَسَنِ  
الْعَطَّارِ أَدَامَ اللَّهُ عُمُومَ فَضْلِهِ مَا دَامَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . فَقَالَ : يَصِحُّ  
أَلَّا يُوجَدَ لَهَا فِي الصُّحَّةِ مِثَالٌ : لِشَهْرَةٍ مُصَحِّحِهَا بِالضَّبِطِ  
وَسَعَةِ الْإِطْلَاحِ عَلَى الْأَقْوَالِ . وَحِينَئِذٍ اتَّفَقَتْ الْآرَاءُ عَلَى أَنَّ

يَكُونُ الْمُعَوَّلُ فِي طَبْعِ ذَلِكَ الْكِتَابِ عَلَيْهَا ، وَمُنْتَهَى اخْتِلَافِ  
النُّسْخِ وَوِفَاقِهَا إِلَيْهَا . فَبَادَرْتُ إِشَارَةَ الْأَمْرِ بِصَرِيحِ الْإِمْتِنَالِ ،  
وَسَرَّحْتُ فِي رِيَاضِ تِلْكَ النُّسْخِ سَائِمَ الطَّرْفِ وَالْبَالِ .  
فَوَجَدْتُ الْمُطْبُوعَةَ أَفْصَحَهَا عِبَارَةً ، وَأَوْضَحَهَا إِشَارَةً ، وَأَصَحَّهَا  
مَعْنَى ، وَأَحْكَمَهَا مَبْنَى ، غَيْرَ أَنَّ فِيهَا لُفَيْظَاتٍ حَادَتْ عَنْ  
سَنَنِ الْعَرَبِيَّةِ وَبَعْضَ مَعَانٍ مَالَتْ بِهِ الرِّكَازَةُ عَنْ أَنْ يُفْهَمَ  
بِطَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ . فَفَقَرَيْتُ أَضْيَافَ الْمَعَانِي بِأَيِّ لَفِظٍ تَسْتَهِيهِ .  
وَصَاحِبُ الْبَيْتِ أَذْرَى بِالَّذِي فِيهِ . خُصُوصًا مَعَ وُجُودِ الْمَوَادِّ  
الَّتِي تَكْشِفُ عَنْ وُجُوهِ الصُّحَّةِ نِقَابَ الْإِشْتِبَاهِ . وَمَنْ كَانَ  
ذَا مُكْنَةً فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ، مُسْتَعِينًا عَلَى ذَلِكَ بِمَا لَدَى  
مِنَ النُّسْخِ الَّتِي بِحِطِّ الْقَلَمِ ، مُعَوَّلًا عَلَى عِنَايَةِ مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ  
مَا لَمْ يَعْلَمْ . حَتَّى أَثْمَرَتْ بِإِشَاعَةِ ذَلِكَ الْكِتَابِ مَعَ غَايَةِ  
التَّحْرِيرِ ، حَدِيقَةَ تِلْكَ الْمُطْبَعَةِ الْمَشْرِقَةِ بِطَوَالِجِ التَّنْوِيرِ ، عَلَى  
يَدِ مُصَحِّحِ مَا بِهَا مِنَ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ ، الْمُسْتَعِيدِّ مِنْ مَوْلَاهُ

الإعانة والمعية ؛ راجي من للفضل يوتي ، عبد الرحمن الصفي ؛  
 غفر الله ذنوبه ، وستر في الدارين عيوبه ؛ مع سائر المسلمين .  
 بجرمة طه ويس . عليه الصلاة والسلام . وعلى آله وصحبه  
 الكرام .



## بَابُ مَقَدِّمَةِ الْكِتَابِ

قَدَّمَهَا بَهْنُودُ بْنُ سَحَّوَانَ وَيُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ الشَّاهِ الْفَارِسِيِّ .  
 ذَكَرَ فِيهَا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ عَمِلَ بِيَدِهَا الْفِيلَسُوفُ الْهِنْدِيُّ  
 رَأْسُ الْبَرَاهِمَةِ لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَهُ الَّذِي سَمَّاهُ كِيلَةَ وَدِمْنَةَ ،  
 وَجَعَلَهُ عَلَى أَلْسِنِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ صِيَانَةً لِعَرْضِهِ فِيهِ مِنَ الْعَوَامِّ ،  
 وَضَنَّائِمًا ضَمَّنَهُ عَنِ الطَّغَامِ ، وَتَنْزِيهًا لِلْحِكْمَةِ وَفُنُونِهَا ، وَمَحَاسِنِهَا  
 وَعُيُونِهَا ، إِذْ هِيَ لِلْفِيلَسُوفِ مَنْدُوحَةٌ ، وَلِلْحَاطِرِ مَفْتُوحَةٌ ،  
 وَلِمُحِبِّهَا تَثْقِيفٌ ، وَلِطَالِبِهَا تَشْرِيفٌ . وَذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ  
 أَجْلِهِ أَنْفَذَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ بْنَ قَبَادَ بْنَ فَيْرُوزَ مَلِكُ الْفَرَسِ  
 بَرْزَوِيَهُ رَأْسَ الْأَطْبَاءِ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ لِأَجْلِ كِتَابِ كِيلَةَ وَدِمْنَةَ ،  
 وَمَا كَانَ مِنْ تَلَطُّفٍ بَرْزَوِيَهُ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْهِنْدِ ، حَتَّى حَضَرَ  
 إِلَيْهِ الرَّجُلُ الَّذِي اسْتَنْسَخَهُ لَهُ سِرًّا مِنْ خِزَانَةِ الْمَلِكِ لَيْلًا ، مَعَ  
 مَا وَجَدَ مِنْ كُتُبِ عُلَمَاءِ الْهِنْدِ . وَقَدْ ذَكَرَ الَّذِي كَانَ مِنْ بَعْثَةِ  
 بَرْزَوِيَهُ إِلَى مَمْلَكَةِ الْهِنْدِ لِأَجْلِ نَقْلِ هَذَا الْكِتَابِ ، وَذَكَرَ فِيهَا

(١) البراهمة : قوم لا يجوزون على الله بومة الرسل .

مَا يَلْزَمُ مُطَالَعَهُ مِنْ إِتْقَانِ قِرَاءَتِهِ وَالْقِيَامِ بِدِرَاسَتِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى  
 بَاطِنِ كَلَامِهِ ؛ وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى الْغَايَةِ مِنْهُ .  
 وَذَكَرَ فِيهَا حُضُورَ بَرَزَوِيهِ وَقِرَاءَةَ الْكِتَابِ جَهْرًا . وَقَدْ ذَكَرَ  
 السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بَرَزُوجَمَهُرًا بِأَبَا مُفْرَدًا يُسَمَّى بِأَبِ  
 بَرَزَوِيهِ الْمُتَطَبِّبِ ، وَذَكَرَ فِيهِ شَأْنَ بَرَزَوِيهِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ وَأَنَّ  
 مَوْلِدَهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ النَّادِيْبَ ، وَأَحَبَّ الْحِكْمَةَ وَأَعْتَبَرَ فِي أَقْسَامِهَا .  
 وَجَعَلَهُ قَبْلَ بَابِ الْأَسَدِ وَالثَّوْرِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْكِتَابِ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الشَّاهِ الْفَارِسِيُّ : كَانَ السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ  
 بِيَدِ الْفَيْلَسُوفِ لِدَبْشَدِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةَ ، أَنَّ  
 الْإِسْكَانْدَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ الرَّومِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا  
 بِنَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ ، سَارَ يُرِيدُ مَلُوكَ الْمَشْرِقِ مِنَ الْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ ؛  
 فَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ مِنْ نَازِعِهِ وَيُوقِعُ مِنْ وَاقِعِهِ ، وَيُسَالِمُ مَنْ وَادَعَهُ  
 مِنْ مَلُوكِ الْفُرْسِ ، وَهُمْ الطَّبَقَةُ الْأُولَى ، حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِمْ وَقَهَرَ

مِنْ نَاوَاهُ وَتَغَلَّبَ عَلَى مَنْ حَارَبَهُ ، فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ<sup>(١)</sup> وَتَمَزَّقُوا  
 حَزَائِقَ<sup>(٢)</sup> . فَتَوَجَّهَ بِالْجُنُودِ نَحْوَ بِلَادِ الصِّينِ ، فَبَدَأَ فِي طَرِيقِهِ بِمَلِكِ  
 الْهِنْدِ لِيَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَالذُّخُولِ فِي مِلَّتِهِ وَوِلَايَتِهِ . وَكَانَ عَلَى  
 الْهِنْدِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَلِكٌ ذُو سَطْوَةٍ وَبَأْسٍ وَقُوَّةٍ وَمِرَاسٍ ، يُقَالُ  
 لَهُ فُورٌ . فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ ذِي الْقَرْنَيْنِ نَحْوَهُ تَاهَبَ لِحَارِبَتِهِ ،  
 وَأَسْتَعَدَّ لِمُجَادَبَتِهِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ ، وَجَدَّ فِي التَّالِبِ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> ،  
 وَجَمَعَ لَهُ الْعُدَّةَ فِي أَسْرَعِ مَدَّةٍ مِنَ الْفِيْلَةِ الْمُعَدَّةِ لِلْحُرُوبِ ، وَالسَّبَاعِ  
 الْمَضْرَاةِ بِالْوُثُوبِ<sup>الخصر</sup> ، مَعَ الْخَيُْولِ الْمُسْرَجَةِ وَالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ ،  
 وَالْحِرَابِ اللَّوَامِعِ<sup>(٤)</sup> . فَلَمَّا قَرَّبَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ فُورِ الْهِنْدِيِّ  
 وَبَلَغَهُ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ مِنْ الْحَيْلِ الَّتِي كَانَتْهَا قَطَعُ اللَّيْلِ مِمَّا لَمْ يَلْقَهُ  
 بِمِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَقَالِيمِ ، تَخَوَّفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ  
 مِنْ تَقْصِيرِ يَقَعُ بِهِ إِنْ عَجَلَ الْمُبَارَزَةَ . وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رَجُلًا  
 ذَا حَيْلٍ وَمَكَايِدَ ، مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرٍ وَتَجْرِبَةٍ ، فَرَأَى إِعْمَالَ الْحَيْلَةِ  
 وَالتَّمَهَّلَ ، وَآخْتَفَرَ خَنْدَقًا عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ لِاسْتِنْبَاطِ

(١) طرائق : أى فرقا . (٢) حزائق : أى قطعاً . (٣) التائب : التجمع . (٤) جمع : حربة .

الْحِيلَةَ وَالتَّذْيِيرَ لِأَمْرِهِ؛ وَكَيْفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى الْإِيقَاعِ بِهِ .  
 فَاسْتَدْعَى بِالْمُنَجِّمِينَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالِاخْتِيَارِ لِيَوْمٍ مُوَافِقٍ تَكُونُ لَهُ  
 فِيهِ سَعَادَةٌ مُحَارَبَةَ مَلِكِ الْهِنْدِ وَالنُّصْرَةَ عَلَيْهِ . فَاسْتَعْلَوْا بِذَلِكَ .  
 وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ لَا يَمُرُّ بِمَدِينَةٍ إِلَّا أَخَذَ الصَّنَاعَ الْمَشْهُورِينَ مِنْ صُنَاعِهَا  
 بِالْحَذَقِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ . فَأَنْجَبَتْ لَهُ هِمَّتَهُ وَدَلَّتْهُ فِطْنَتُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ  
 إِلَى الصَّنَاعِ الَّذِينَ مَعَهُ فِي أَنْ يَصْنَعُوا خَيْلًا مِنْ نُحَاسٍ مَجُوفَةً ،  
 عَلَيْهَا تَمَائِيلُ مِنَ الرِّجَالِ ، عَلَى بَكَرٍ تَجْرِي ، إِذَا دُفِعَتْ مَرَّتْ  
 سِرَاعًا . وَأَمَرَ إِذَا فَرَّغُوا مِنْهَا أَنْ تُحْشَى أَجْوَافُهَا بِالنُّفْطِ وَالْكَبْرِيتِ ؛  
 وَتُلْبَسَ وَتُقَدَّمَ أَمَامَ الصَّفِّ فِي الْقَلْبِ . وَوَقْتَ مَا يَلْتَقِي الْجَمْعَانِ  
 تُضْرَمُ فِيهَا النَّيرَانُ . فَإِنَّ الْفَيْلَةَ إِذَا لَفَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَلَى الْفُرْسَانِ  
 وَهِيَ حَامِيَةٌ ، وَلَّتْ هَارِبَةً . وَأَوْعَزَ إِلَى الصَّنَاعِ بِالتَّشْمِيرِ وَالْإِنْكَاشِ  
 وَالْفَرَاغِ مِنْهَا . بَخَدُوا فِي ذَلِكَ وَعَجَلُوا . وَقَرَّبَ أَيْضًا وَقْتَ اخْتِيَارِ  
 الْمُنَجِّمِينَ . فَأَعَادَ ذُو الْقَرْنَيْنِ رُسُلَهُ إِلَى فُورٍ بِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ  
 طَاعَتِهِ وَالْإِذْعَانَ لِدَوْلَتِهِ . فَأَجَابَ جَوَابَ مُصْرَعٍ عَلَى مُخَالَفَتِهِ ، مُقِيمٌ

عَلَى مُحَارَبَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذُو الْقَرْنَيْنِ عَزِيمَتَهُ سَارَ إِلَيْهِ بِأُهْبَتِهِ ،  
 وَقَدَّمَ فُورَ الْفَيْلَةِ أَمَامَهُ ، وَدَفَعَتِ الرُّجَالُ تِلْكَ الْخَيْلَ وَمَكَاثِيلَ  
 الْفُرْسَانِ ، فَأَقْبَلَتِ الْفَيْلَةُ نَحْوَهَا ، وَلَفَّتْ نَحْرَاطِيمَهَا عَلَيْهَا . فَلَمَّا  
 أَحَسَّتْ بِالْحَرَارَةِ أُلْقَتْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا ، وَدَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا ،  
 وَمَضَتْ مَهْزُومَةً هَارِبَةً ، لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ وَلَا تَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلَّا  
 وَطِئَتْهُ . وَتَقَطَّعَ فُورٌ وَجْمَعُهُ ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْإِسْكَانْدَرِ ،  
 وَأَتَخَنُوا فِيهِمُ الْجِرَاحَ . وَصَاحَ الْإِسْكَانْدَرُ : يَا مَلِكَ الْهِنْدِ أَبْرَزْ إِلَيْنَا ،  
 وَأَبْقِ عَلَى عُدَّتِكَ وَعِيَالِكَ ، وَلَا تَحْمِلْهُمْ عَلَى الْفَنَاءِ . فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ  
 الْمُرُوءَةِ أَنْ يَرْمِيَ الْمَلِكُ بَعْدَتِهِ فِي الْمَهَالِكِ الْمُتْلِفَةِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُجْحِفَةِ ،  
 بَلْ يَقِيهِمْ بِمَالِهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ بِنَفْسِهِ . فَأَبْرَزَ إِلَى وَدَعِ الْجُنْدَ ، فَأَيْنَا  
 قَهْرَ صَاحِبِهِ فَهُوَ الْأَسْعَدُ . فَلَمَّا سَمِعَ فُورٌ مِنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ  
 ذَلِكَ الْكَلَامَ دَعَتْهُ نَفْسُهُ لِمِلَاقَاتِهِ طَمَعًا فِيهِ ، وَظَنَّ ذَلِكَ فُرْصَةً .  
 فَبْرَزَ إِلَيْهِ الْإِسْكَانْدَرُ فَتَجَاوَلَا عَلَى ظَهْرِي فَرَسَيْهِمَا سَاعَاتٍ مِنْ

النَّهَارِ لَيْسَ يَلْقَى أَحَدَهُمَا مِنْ ضَاحِيهِ فُرْصَةً ، وَلَمْ يَزَالَا يَتَعَارَكَانِ .  
فَلَمَّا أَغْيَا الإسْكَندَرُ أَمْرَهُ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ فُرْصَةً وَلَا حِيلَةَ أُوقِعَ  
ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي عَسْكَرِهِ صَنِيعَةً عَظِيمَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الْأَرْضُ  
وَالْعَسَاكِرُ ، فَالْتَفَتَ فُورًا عِنْدَ مَا سَمِعَ الزَّعَقَةَ ، وَظَنَّهَا مَكِيدَةً  
فِي عَسْكَرِهِ ، فَعَاجَلَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِضَرْبَةٍ أَمَلَتْهُ عَنْ سَرِجِهِ ، وَتَبِعَهُ  
بِأُخْرَى ، فَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا رَأَتْ الْهِنْدُ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، وَمَا  
صَارَ إِلَيْهِ مَلِكُهُمْ ، حَمَلُوا عَلَى الإسْكَندَرِ فَمَاتَلَوْهُ قِتَالًا أَحْبَبُوا مَعَهُ  
الْمَوْتَ . فَوَعَدَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ الْإِحْسَانَ ، وَمَنَعَهُ اللهُ أَكْثَافَهُمْ ،  
فَاسْتَوَلَى عَلَى بِلَادِهِمْ ، وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِهِ . وَأَقَامَ بِالْهِنْدِ  
حَتَّى اسْتَوْثَقَ <sup>(١)</sup> مِمَّا أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَاتَّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ  
عَنِ الْهِنْدِ وَخَلَّفَ ذَلِكَ الرَّجُلَ عَلَيْهِمْ . وَمَضَى مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَا قَصَدَ  
لَهُ . فَلَمَّا بَعُدَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَنِ الْهِنْدِ بِجُيُوشِهِ ، تَغَيَّرَتِ الْهِنْدُ عَمَّا  
كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ الرَّجُلِ الَّذِي خَلَفَهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا لَيْسَ

(١) استوثق هنا : أخذ الثقة مما أراد والذي في صفحة ١٥ استوسق الأمر من الوسق .

يُصْلِحُ لِلسِّيَاسَةِ وَلَا تَرْضَى الْخِصَاصَةَ وَالْعَامَّةُ أَنْ يَمْلِكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا  
لَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ أَهْلِ بِيوتِهِمْ . فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَسْتَدِلُّهُمْ  
وَيَسْتَقِلُّهُمْ . وَأَجْتَمَعُوا يَمْلِكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِهِمْ ،  
فَمَلَّكَوْا عَلَيْهِمْ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ دَبْشَلِيمُ ، وَخَلَعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ  
خَلَفَهُ عَلَيْهِمُ الْإِسْكَانْدَرُ . فَلَمَّا اسْتَوْسَقَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَاسْتَقَرَّ لَهُ  
الْمُلْكُ ، طَغَى وَبَغَى وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ ، وَجَعَلَ يَغْزُو مِنْ حَوْلِهِ مِنْ  
الْمُلُوكِ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مُؤَيَّدًا مُظَفَّرًا مَنْصُورًا . فَهَابَتْهُ الرَّعِيَّةُ .  
فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالسُّطُوَّةِ ، عَيْبَتْ بِالرَّعِيَّةِ وَاسْتَصَغَرَ  
أَمْرَهُمْ وَأَسَاءَ السِّيَرَةَ فِيهِمْ . وَكَانَ لَا تَرْتَقِي حَالَهُ إِلَّا أَزْدَادَ عُتُوًّا .  
فَمَكَتْ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ . وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ فَيْلَسُوفٌ  
مِنَ الْبِرَاهِمَةِ ، فَاضِلٌ حَكِيمٌ ، يُعْرَفُ بِفَضْلِهِ ، وَيُرْجَعُ فِي الْأُمُورِ  
إِلَى قَوْلِهِ ، يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ  
لِلرَّعِيَّةِ ، فَكَّرَ فِي وَجْهِ الْحِيلَةِ فِي صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ ، وَرَدَّهُ إِلَى  
الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، فَجَمَعَ لِدَلِكِ تَلَامِيذَهُ ، وَقَالَ : أَتَعْلَمُونَ  
مَا أُرِيدُ أَنْ أَشَاوِرَكُمْ فِيهِ ؟ اإَعْلَمُوا أَنِّي أَطَلْتُ الْفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمِ

وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ وَلِزُومِ الشَّرِّ وَرَدَاءَةِ السَّيْرِ  
 وَسُوءِ الْعِشْرَةِ مَعَ الرَّعِيَّةِ ؛ وَتَحْنُ مَا نَرُوضُ أَنْفُسَنَا لِمِثْلِ هَذِهِ  
 الْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ الْمُلُوكِ ، إِلَّا لِنَرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَلِزُومِ  
 الْعَدْلِ . وَمَتَى أَغْفَلْنَا ذَلِكَ وَأَهْمَلْنَا لَزِمَ وَقُوعُ الْمَكْرُوهِ بِنَا ، وَبُلُوغُ  
 الْمَحْدُورَاتِ إِلَيْنَا ؛ إِذْ كُنَّا فِي أَنْفُسِ الْجُهَالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ ؛ وَفِي  
 الْعُيُونِ عِنْدَهُمْ أَقَلَّ مِنْهُمْ . وَلَيْسَ الرَّأْيُ عِنْدِي الْجَلَاءَ عَنِ الْوَطَنِ .  
 وَلَا يَسْعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السَّيْرِ وَقُبْحِ  
 الطَّرِيقَةِ . وَلَا يُمْكِنُنَا مُجَاهَدَتُهُ بِغَيْرِ السِّنِّتِنَا . وَلَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ  
 نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَهَيَّا لَنَا مُعَانَدَتُهُ . وَإِنْ أَحْسَسْنَا بِمُخَالَفَتِهِ  
 وَإِنْكَارِنَا سُوءَ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذَلِكَ بَوَارِنَا . وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مُجَاوِرَةَ  
 السَّبْعِ وَالْكَلْبِ وَالْحَيَّةِ وَالثَّوْرِ عَلَى طِيبِ الْوَطَنِ وَنَضَارَةِ الْعَيْشِ  
 لَغَدْرٌ بِالنَّفْسِ . وَإِنَّ الْفَيْلَسُوفَ لِحَقِيقٌ أَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ مَضْرُوفَةً  
 إِلَى مَا يُحَصِّنُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ نَوَازِلِ الْمَكْرُوهِ وَلِوَأَحِقِ الْمَحْدُورِ ؛  
 وَيَدْفَعُ الْمَخُوفَ لِاسْتِجْلَابِ الْمُحِبُّوبِ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ  
 فَيْلَسُوفًا كَتَبَ لِتَلْبِيذِهِ يَقُولُ : إِنَّ مُجَاوِرَ رِجَالِ السُّوءِ وَمُصَاحِبَهُمْ



كِرَاكِبِ الْبَحْرِ : إِنْ سَلِمَ مِنَ الْغَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْمَخَاوِفِ . فَإِذَا  
هُوَ أُوْرِدَ نَفْسُهُ مَوَارِدَ الْهَلَكَاتِ وَمَصَادِرَ الْمَخُوفَاتِ ، عُدَّ مِنَ الْحَمِيرِ  
الَّتِي لَا نَفْسَ لَهَا . لِأَنَّ الْحَيَوَانَ الْبِهِيمِيَّةَ قَدْ خُصَّتْ فِي طِبَائِعِهَا  
بِمَعْرِفَةِ مَا تَكْتَسِبُ بِهِ النَّفْعَ وَتَتَوَقَّى الْمَكْرُوهَ : وَذَلِكَ أَنَّنَا لَمْ نَرَهَا  
تُورِدُ أَنْفُسَهَا مَوْرِدًا فِيهِ هَلَكْتُهَا . وَأَنَّهَا مَتَى أَشْرَفَتْ عَلَى مَوْرِدٍ  
مُهْلِكٍ لَهَا ، مَالَتْ بِطِبَائِعِهَا الَّتِي رُكِبَتْ فِيهَا - شَحًّا بِأَنْفُسِهَا وَصِيَانَةً  
لَهَا - إِلَى النُّفُورِ وَالتَّبَاعُدِ عَنْهُ . وَقَدْ جَمَعْتُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ : لِأَنَّكُمْ  
أَسْرَتِي وَمَكَانُ سِرِّي وَمَوْضِعُ مَعْرِفَتِي ، وَبِكُمْ أَعْتَصِدُ ، وَعَلَيْكُمْ  
أَعْتَمِدُ . فَإِنَّ الْوَحِيدَ فِي نَفْسِهِ وَالْمُنْفَرِدَ بِرَأْيِهِ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ ضَائِعٌ  
وَلَا نَاصِرَ لَهُ . عَلَى أَنَّ الْعَاقِلَ قَدْ يَبْلُغُ بِحِيلَتِهِ مَا لَا يَبْلُغُ بِالْخَيْلِ  
وَالْجُنُودِ . وَالْمِثْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ قُنْبْرَةَ<sup>(٢)</sup> أَخَذَتْ أُدْحِيَّةً<sup>(٣)</sup> وَبَاضَتْ فِيهَا  
عَلَى طَرِيقِ الْفِيلِ ، وَكَانَ لِلْفِيلِ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . فَمَرَّ ذَاتَ  
يَوْمٍ عَلَى عَادَتِهِ لِيَرِدَ مَوْرِدَهُ فَوَطِئَ عَشَّ الْقُنْبْرَةِ ، وَهَشَّمَ بَيْضَهَا  
وَقَتَلَ فِرَاحَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ مَا سَاءَ مَا سَاءَهَا ، عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي نَالَهَا مِنْ

(١) الحيوان : الحياة . قال تعالى : وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

(٢) الأفعى فيها قُبْرَةٌ وهي طائر . (٣) محلا تبيض فيه .

الفيل لا من غيره . فطارت فوقعت على رأسه باكية ، ثم قالت :  
 أيها الملك لم هسنت بيضي وقتلت فراخي ، وأنا في جوارك ؟  
 أفعلت هذا استصغارا منك لأمرى واحتقارا لشأني ؟ قال :  
 هو الذي حملني على ذلك . فتركته وأنصرفت إلى جماعة الطير ،  
 فشكت إليها ما نالها من الفيل . فقلن لها وما عسى أن نبلغ منه  
 ونحن طيور ؟ فقالت للعقاعق والغربان : أحب منكن أن تصرن  
 معي إليه فتفقأن عيني ، فإني أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى .  
 فأجبنها إلى ذلك ، وذهبن إلى الفيل ، ولم يزلن ينقرن عيني  
 حتى ذهبن بهما . وبقى لا يهتدي إلى طريق مطعمه ومشربه  
 إلا ما يلقمه من موضعه . فلما علمت ذلك منه ، جاءت إلى  
 غدير فيه ضفادع كثيرة ، فشكت إليها ما نالها من الفيل . قالت  
 الضفادع : ما حيلتنا نحن في عظم الفيل ؟ وأين نبلغ منه ؟ قالت :  
 أحب منكن أن تصرن معي إلى وهدة قريبة منه ، فتتقن فيها ،  
 وتضججن . فإنه إذا سمع أصواتكن لم يسك في الماء فيهوى

(١) جمع عقق وهو طير أبلق بسواد وبياض . (٢) أرض منخفضة .

فِيهَا . فَأَجْبَنَهَا إِلَى ذَلِكَ ، وَأَجْتَمَعَنَ فِي الْمَاوِيَةِ ، فَسَمِعَ الْفِيلُ  
نَقِيقَ الضَّفَادِعِ ، وَقَدْ أَجْهَدَهُ الْعَطَشُ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَعَ  
فِي الْوَهْدَةِ ، فَأَرْتَطَمَ فِيهَا . وَجَاءَتِ الْقُنْبُرَةُ تُرْفِرُ عَلَى رَأْسِهِ ،  
وَقَالَتْ : أَيُّهَا الطَّاغِي الْمَغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ الْمُحْتَقِرُ لِأَمْرِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ  
عِظَمَ حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُنَّتِي عِنْدَ عِظَمِ جُنَّتِكَ وَصِغَرِ هَمَّتِكَ ؟  
فَلْيُشْرِكْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَا يَسْنَحُ لَهُ مِنْ الرَّأْيِ . قَالُوا  
بِأَجْمَعِهِمْ : أَيُّهَا الْفَيْلَسُوفُ الْفَاضِلُ ، وَالْحَكِيمُ الْعَادِلُ ، أَنْتَ  
الْمُقَدَّمُ فِينَا ، وَالْفَاضِلُ عَلَيْنَا ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مَبْلَغُ رَأْيِنَا عِنْدَ  
رَأْيِكَ ، وَفَهَمْنَا عِنْدَ فَهْمِكَ ؟ غَيْرَ أَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ السَّبَّاحَةَ فِي الْمَاءِ  
مَعَ التَّمْسَاحِ تَغْرِيرٌ ، وَالذَّنْبُ فِيهِ لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ .  
وَالَّذِي يَسْتَخْرِجُ السَّمَّ مِنْ نَابِ الْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ لِيَجْرِبَهُ جَانٍ عَلَى  
نَفْسِهِ ، فَلَيْسَ الذَّنْبُ لِلْحَيَّةِ . وَمَنْ دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فِي غَابَتِهِ ،  
لَمْ يَأْمَنْ مِنْ وَثْبَتِهِ . وَهَذَا الْمَلِكُ لَمْ تُفْرِغْهُ النَّوَابِيبُ ، وَلَمْ تُودِبْهُ

التَّجَارِبُ . وَلَسْنَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى أَنْفُسِنَا سَطَوْتَهُ وَإِنَّا نَخَافُ  
عَلَيْكَ مِنْ سَوْرَتِهِ وَمُبَادَرَتِهِ بِسُوءٍ إِذَا لَقِيْتَهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ . فَقَالَ  
الْحَكِيمُ بَيْدَبَا : لَعَمْرِي لَقَدْ قُلْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ ، لَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ  
الْحَازِمَ لَا يَدْعُ أَنْ يُشَاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ أَوْ فَوْقَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ .  
وَالرَّأْيُ الْفَرْدُ لَا يُكْتَفَى بِهِ فِي الْخَاصَّةِ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الْعَامَّةِ .  
وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتِي عَلَى لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ . وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ ،  
وَتَبَيَّنَ لِي نَصِيحَتُكُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ . غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ  
رَأْيًا وَعَزَمْتُ عَزْمًا ، وَسَتَعْرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَمَجَاوَبَتِي إِيَّاهُ  
فَإِذَا اتَّصَلَ بِكُمْ نُخْرُوجِي مِنْ عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ . وَصَرَفَهُمْ  
وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا أَخْتَارَ يَوْمًا لِلدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ  
ذَلِكَ الْوَقْتُ اتَّقَى عَلَيْهِ مَسُوحَهُ<sup>(٢)</sup> وَهِيَ لِبَاسُ الْبِرَاهِمَةِ ، وَقَصَدَ بَابَ  
الْمَلِكِ ، وَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِ إِذْنِهِ وَأَرْشَدَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ،

(١) سطوته واعتداته . (٢) جمع مسح وهو الكساء من الشعر .

وَأَعْلَمَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَجُلٌ قَصَدْتُ الْمَلِكَ فِي نَصِيحَةٍ . فَدَخَلَ  
الْأَذْنَ عَلَى الْمَلِكِ فِي وَقْتِهِ ، وَقَالَ : بِالْبَابِ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَاهِمَةِ يُقَالُ لَهُ<sup>(١)</sup>  
بِيدَبَا ، ذَكَرَ أَنْ مَعَهُ لِلْمَلِكِ نَصِيحَةٌ . فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ وَوَقَفَ  
بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَفَّرَ وَسَجَدَ لَهُ وَأَسْتَوَى قَائِمًا وَسَكَتَ . وَفَكَرَ دَبْشَلِيمُ<sup>(٢)</sup>  
فِي سُكُوتِهِ ، وَقَالَ : إِنْ هَذَا لَمْ يَقْصِدْنَا إِلَّا لِأَمْرَيْنِ : إِمَّا  
لِالْتِمَاسِ شَيْءٍ مِنَّا يُضْلِحُ بِهِ حَالَهُ ، وَإِمَّا لِأَمْرِ لِحَقِّهِ فَلَمْ تَكُنْ  
لَهُ بِهِ طَاقَةٌ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ كَانَ لِلْمُلُوكِ فَضْلٌ فِي مَمْلَكَتِهَا فَإِنَّ  
لِلْحُكَمَاءِ فَضْلًا فِي حِكْمَتِهَا أَعْظَمَ : لِأَنَّ الْحُكَمَاءَ أَغْنِيَاءَ عَنِ الْمُلُوكِ  
بِالْعِلْمِ وَلَيْسَ الْمُلُوكُ بِأَغْنِيَاءَ عَنِ الْحُكَمَاءِ بِالْمَالِ . وَقَدْ وَجَدْتُ  
الْعِلْمَ وَالْحَيَاءَ الْإِنْفِينَ مُتَالِفَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ : مَتَى فَقَدَ أَحَدُهُمَا  
لَمْ يُوجَدْ الْآخَرُ ، كَالْمُتَصَافِيَيْنِ إِنْ عُدِمَ مِنْهُمَا أَحَدٌ لَمْ يَطْبُ صَاحِبُهُ  
نَفْسًا بِالْبَقَاءِ بَعْدَهُ تَأْسَفًا عَلَيْهِ . وَمَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحُكَمَاءِ  
وَيُكْرِمُهُمْ ، وَيَعْرِفَ فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَيُصْنِفُهُمْ عَنِ

(١) الحاجب . (٢) عظم والكفر من معانيه تعظيم الفارسي للملك والتكفير من معانيه

إيماء الذي برأسه .

المواقف الواهنة ، وينزهمهم عن المواطين الرذلة كان ممن حرم عقله ، وخسر دنياه ، وظلم الحكماء حقوقهم ، وعد من الجهال . ثم رفع رأسه إلى بيدبا ، وقال له : نظرت إليك يا بيدبا ساكنا لا تعرض حاجتك ، ولا تذكر بغيتك ، فقلت : إن الذي أسكته هيبه ساورته أو حيرة أدركته ، وتاملت عند ذلك من طول وقوفك ، وقلت : لم يكن لبيدبا أن يطرقتنا على غير عادة إلا لأمر حركة لذلك ، فإنه من أفضل أهل زمانه . فهلا نسأله عن سبب دخوله ! فإن يكن من ضم ناله ، كنت أولى من أخذ بيده وسارع في تشريفه ، وتقدم في البلوغ إلى مراده وإعزازه ، وإن كانت بغيته غرضا من أغراض الدنيا أمرت بإرضائه من ذلك فيما أحب ، وإن يكن من أمر الملك ، ومما لا ينبغي للملوك أن يبدلوه من أنفسهم ولا ينقادوا إليه نظرت في قدر عقوبته ، على أن مثله لم يكن ليجتري على إدخال نفسه في باب مسألة الملوك ، وإن كان شيئا من أمور الرعية يقصد فيه أمي أضرف عنايتي إليهم ، نظرت ما هو ،

فَإِنَّ الْحُكَمَاءَ لَا يُشِيرُونَ إِلَّا بِالْخَيْرِ ، وَالْجُهَّالَ يُشِيرُونَ بِضَدِّهِ .  
وَأَنَا قَدْ فَسَخْتُ لَكَ فِي الْكَلَامِ . فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا ذَلِكَ مِنْ  
الْمَلِكِ أَفْرَخَ رُوْعَهُ <sup>(١)</sup> ، وَسَرَى عَنْهُ مَا كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ  
وَكَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ ، ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : أَوَّلَ مَا أَقُولُ أَسْأَلُ  
اللَّهَ تَعَالَى بِقَاءِ الْمَلِكِ عَلَى الْأَبَدِ ، وَدَوَامِ مُلْكِهِ عَلَى الْأَمَدِ : لِأَنَّ  
الْمَلِكَ قَدْ مَنَحَنِي فِي مَقَامِي هَذَا مَحَلًّا جَعَلَهُ شَرَفًا لِي عَلَى جَمِيعِ  
مَنْ بَعْدِي مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَذِكْرًا بَاقِيًا عَلَى الدَّهْرِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ .  
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَلِكِ بِوَجْهِهِ ، مُسْتَبْشِرًا بِهِ فَرِحًا بِمَا بَدَأَ لَهُ مِنْهُ ،  
وَقَالَ : قَدْ عَطَفَ الْمَلِكُ عَلَيَّ بِكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ . وَالْأَمْرُ الَّذِي  
دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ ، وَحَمَلَنِي عَلَى الْمَخَاطَرَةِ لِكَلَامِهِ ،  
وَالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، نَصِيحَةٌ أَخْتَصَصْتُهَا بِهَا دُونَ غَيْرِهِ . وَسَيَعْلَمُ  
مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَقْصُرْ عَنْ غَايَةِ فِيمَا يَجِبُ لِلْمَوْلَى عَلَى  
الْحُكَمَاءِ . فَإِنَّ فَسْحَ فِي كَلَامِي وَوَعَاهُ عَنِّي ، فَهُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ

(١) يُقَالُ : أَفْرَخَ رُوْعَهُ وَرُوْعَهُ . أَيْ ذَهَبَ فَرْعُهُ وَخَوْفُهُ . وَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ إِنَّمَا هُوَ :

أَفْرَخَ رُوْعَهُ وَمَعْنَاهُ نَجَرَ الرُّوْعَ وَالْفَرْعَ مِنْ رُوْعِهِ وَهُوَ الْقَلْبُ . (٢) زَالَ عَنْهُ .

وَمَا يَرَاهُ ، وَإِنْ هُوَ الْقَاهُ ، فَقَدْ بَلَغْتُ مَا يَلْزَمُنِي وَنَحَرَجْتُ مِنْ  
لَوْمٍ يَلْحَقُنِي . قَالَ الْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا تَكَلِّمْ كَيْفَ شِئْتَ : فَإِنِّي مُصْنَعٌ  
إِلَيْكَ ، وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ ، وَسَامِعٌ مِنْكَ ، حَتَّى أَسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَكَ  
إِلَى آخِرِهِ ، وَأَجَازِيكَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ . قَالَ بَيْدَبَا :  
إِنِّي وَجَدْتُ الْأُمُورَ الَّتِي أَخْتَصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ  
الْحَيَوَانَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ ، وَهِيَ جُمَاعٌ مَا فِي الْعَالَمِ ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ  
وَالْعِفَّةُ وَالْعَقْلُ وَالْعَدْلُ . وَالْعِلْمُ وَالْأَدَبُ وَالرَّوِيَّةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ  
الْحِكْمَةِ . وَالْحِلْمُ وَالصَّبْرُ وَالْوَقَارُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَقْلِ . وَالْحَيَاءُ  
وَالكِرْمُ وَالصِّيَانَةُ وَالْأَنَفَةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعِفَّةِ . وَالصَّدْقُ  
وَالْإِحْسَانُ وَالْمُرَاقِبَةُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَدْلِ .  
وَهَذِهِ هِيَ الْمَحَاسِنُ ، وَأَضْدَادُهَا هِيَ الْمَسَاوِي . فَتَى كَلَّتْ هَذِهِ  
فِي وَاحِدٍ لَمْ تُخْرِجْهُ الزِّيَادَةُ فِي نِعْمَةٍ إِلَى سُوءِ الْحِظِّ مِنْ دُنْيَاهُ  
وَلَا إِلَى نَقْصٍ فِي عُقْبَاهُ ، وَلَمْ يَتَأَسَّفْ عَلَى مَا لَمْ يُعِنِ التَّوْفِيقُ  
بِبَقَائِهِ ، وَلَمْ يُخْرِزْنَهُ مَا تَجْرِي بِهِ الْمَقَادِيرُ فِي مُلْكِهِ ، وَلَمْ يَدَهْشْ



عِنْدَ مَكْرُوهِ . فَالْحِكْمَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى عَلَى انْفِاقٍ ، وَذَخِيرَةٌ  
لَا يَضْرِبُ لَهَا إِلَّا مِثْلُهَا (١) ، وَحَلَّةٌ لَا تَخْلُقُ جِدَّتَهَا ، وَلَذَّةٌ لَا تَصْرَمُ (٢)  
مُدَّتَهَا . وَلَئِنْ كُنْتُ عِنْدَ مَقَامِي بَيْنَ يَدِي الْمَلِكِ أَمْسَكْتُ عَنِ  
أَبْتِدَائِهِ بِالْكَلَامِ ، إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنِّي إِلَّا لِهَيْبَتِهِ وَالْإِجْلَالِ لَهُ .  
وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُلُوكَ لِأَهْلٌ أَنْ يَهَابُوا ، لَا سِيمَا مَنْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ  
الَّتِي جَلَّ فِيهَا الْمَلِكُ عَنْ مَنَازِلِ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ :  
الزِّمُّ السُّكُوتُ ، فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةٌ ، وَتَجَنَّبِ الْكَلَامَ الْفَارِغَ ، فَإِنَّ  
عَاقِبَتَهُ النَّدَامَةُ . وَحَكَى أَنَّ أَرْبَعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ضَمُّهُمْ مَجْلِسُ  
مَلِكٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : لِيَتَكَلَّمُ كُلُّ بِكَلَامٍ يَكُونُ أَصْلًا لِلْأَدَبِ .  
فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَفْضَلُ خَلَّةِ الْعِلْمِ السُّكُوتُ . وَقَالَ الثَّانِي : إِنَّ  
مِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُعْرِفَ قَدْرَ مَنْزِلَتِهِ مِنْ عَقْلِهِ .  
وَقَالَ الثَّلَاثُ : أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا يَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ .  
وَقَالَ الرَّابِعُ : أَرْوَحُ الْأُمُورِ عَلَى الْإِنْسَانِ التَّسْلِيمُ لِلْمَقَادِيرِ .

(١) لعل الصواب "لا يضربها الإملاق" . (٢) لا تبلى . (٣) لا تقطع .

وَأَجْتَمَعَ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِيمِ مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ  
 وَفَارِسَ وَالرُّومِ ، وَقَالُوا يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِكَلِمَةٍ  
 تَدُونَ عَنْهُ عَلَى غَايِرِ الدَّهْرِ . فَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ : أَنَا عَلَى مَا لَمْ  
 أَقُلْ أَقْدَرُ مِنْ عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ : عَجِبْتُ  
 لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ  
 أَوْبَقَتْهُ <sup>(١)</sup> . وَقَالَ مَلِكُ فَارِسَ : أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي ،  
 وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكَتْهَا . وَقَالَ مَلِكُ الرُّومِ : مَا نَدِمْتُ عَلَى  
 مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ ، وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا .  
 وَالسُّكُوتُ عِنْدَ الْمُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ الْهَذَرِ الَّذِي لَا يُرْجَعُ مِنْهُ إِلَى  
 نَفْعٍ . وَأَفْضَلُ مَا اسْتَظَلَّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ . غَيْرَ أَنَّ الْمَلِكَ ،  
 أَطَالَ اللَّهُ مُدَّتَهُ ، لَمَّا فَسَحَ لِي فِي الْكَلَامِ وَأَوْسَعَ لِي فِيهِ ،  
 كَانَ أَوْلَى مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ يَكُونَ ثَمَرَةُ  
 ذَلِكَ لَهُ دُونِي ، وَأَنْ أُخْتَصَّه بِالْفَائِدَةِ قَبْلِي . عَلَى أَنَّ الْعُقْبَى  
 هِيَ مَا أَقْصِدُ فِي كَلَامِي لَهُ ، وَإِنَّمَا نَفَعُهُ وَشَرَّفُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ،  
 وَأَكُونُ أَنَا قَدْ قَضَيْتُ فَرَضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ :

(١) أهلكه . (٢) وفي نسخة وأعضل ما ضلَّ به الإنسان لسانه .

أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ  
 اسَّسُوا الْمُلْكَ قَبْلَكَ ، وَشَيَّدُوهُ دُونَكَ ، وَبَنَوْا الْقِلَاعَ وَالْحُصُونَ ،  
 وَمَهَّدُوا الْبِلَادَ ، وَقَادُوا الْجُيُوشَ ؛ وَاسْتَجَاشُوا الْعُدَّةَ <sup>(١)</sup> ، وَطَالَتْ  
 لَهُمُ الْمُدَّةُ ؛ وَاسْتَكْثَرُوا مِنَ السَّلَاحِ وَالْكَرَاجِ <sup>(٢)</sup> ؛ وَعَاشُوا الدُّهُورَ ،  
 فِي الْغَيْبَةِ وَالسَّرُورِ ؛ فَلَمْ يَمْنَعَهُمْ ذَلِكَ مِنْ اِكْتِسَابِ جَمِيلِ الذِّكْرِ ،  
 وَلَا قَطْعَهُمْ عَنِ اغْتِنَامِ الشُّكْرِ ؛ وَلَا اسْتِعْمَالَ الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ ،  
 وَالْإِرْفَاقِ بَيْنَ وَلُوهُ ، وَحُسْنِ السِّيَرَةِ فِيمَا تَقَلَّدُوهُ ؛ مَعَ عِظَمِ  
 مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غَرَّةِ الْمُلْكِ <sup>(٣)</sup> ، وَسَكْرَةِ الْاِقْتِدَارِ . وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ  
 السَّعِيدُ جَدُّهُ ، الطَّالِعُ كَوْكَبُ سَعِيدِهِ ، قَدْ وَرَثْتَ أَرْضَهُمْ  
 وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ الَّتِي كَانَتْ عُدَّتُهُمْ ؛ فَأَقَمْتَ فِيهَا خَوْلَتَ  
 مِنَ الْمُلْكِ وَوَرِثْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجُنُودِ ؛ فَلَمْ تَقُمْ فِي ذَلِكَ بِحَقِّ  
 مَا يَجِبُ عَلَيْكَ ؛ بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَتَوْتَ وَعَلَوْتَ عَلَى الرَّعِيَّةِ ،  
 وَأَسَأَتِ السِّيَرَةَ ، وَعَظُمَتْ مِنْكَ الْبَلِيَّةُ . وَكَانَ الْأَوْلَى وَالْأَشْبَهَ

(١) استجاش الجيش : جمعه . (٢) الكراج : اسم لجمع الخيل وقيل الخيل والسلاح .

(٣) عروره .

بِكَ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ أَسْلَافِكَ ، وَتَتَّبِعَ آثَارَ الْمُلُوكِ قَبْلَكَ ،  
 وَتَقْفُوَ مُحَاسِنَ مَا أَبْقَوْهُ لَكَ ، وَتُقْلِعَ عَمَّا عَارَهُ لَازِمُ لَكَ ،  
 وَشَيْنُهُ وَاقِعُ بِكَ ؛ تُحْسِنُ النَّظَرَ بِرِعْيَتِكَ ، وَتَسْنُ لَهُمْ سُنَنَ  
 الْخَيْرِ الَّذِي يَبْقَى بَعْدَكَ ذِكْرُهُ ، وَيُعْقِبُكَ الْجَمِيلَ فَخْرُهُ ؛ وَيَكُونُ  
 ذَلِكَ أَبْقَى عَلَى السَّلَامَةِ وَأَدْوَمَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ . فَإِنَّ الْجَاهِلَ  
 الْمُغْتَرَّ مِنْ اسْتَعْمَلَ فِي أُمُورِهِ الْبَطْرَ وَالْأَمْنِيَّةَ ، وَالْحَازِمَ اللَّيْبَ مِنْ  
 سَاسِ الْمَلِكِ بِالْمُدَارَاةِ وَالرَّفْقِ ؛ فَانظُرَايْهَا الْمَلِكُ مَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ ،  
 وَلَا يَثْقُلَنَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ : فَلَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَذَا ابْتِغَاءَ عَرَضٍ تُجَازِينِي  
 بِهِ ، وَلَا ائْتِمَاسَ مَعْرُوفٍ تُكَافِئُنِي فِيهِ ؛ وَلَكِنِّي أَتَيْتُكَ نَاصِحًا  
 مُشْفِقًا عَلَيْكَ .

فَلَمَّا فَرَغَ بَيْدَبَا مِنْ مَقَالَتِهِ ، وَقَضَى مُنَاصِحَتَهُ ، أَوْغَرَ صَدْرَ  
 الْمَلِكِ فَأَغْلَظَ لَهُ فِي الْجَوَابِ اسْتِضْغَارًا لِأَمْرِهِ ؛ وَقَالَ : لَقَدْ  
 تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي  
 يَسْتَقْبِلُنِي بِمِثْلِهِ ، وَلَا يُقَدِّمُ عَلَيَّ مَا أَقَدَمْتَ عَلَيْهِ . فَكَيْفَ أَنْتَ

مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ ، وَضَعْفِ مُتِّكَ <sup>(١)</sup> وَعَجْرِ قُوَّتِكَ ؟ وَلَقَدْ أَكْثَرْتَ  
 إِعْجَابِي مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَيَّ ، وَتَسَلُّطِكَ بِلِسَانِكَ فِيمَا جَاوَزْتَ فِيهِ  
 حَدَّكَ . وَمَا أَجْدُ شَيْئًا فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَبْلَغَ مِنَ التَّنْكِيلِ بِكَ .  
 فَذَلِكَ عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيُرُومَ <sup>بِعَصِيْبِهِ</sup> مَا رَمَتْ أَنْتَ  
 مِنَ الْمُلُوكِ إِذَا أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ  
 وَيُصَلَّبَ . فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيمَا أَمَرَ ، فَكَّرَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ فَأَجْمَعَهُ ،  
 ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَتَقْيِيدِهِ . فَلَمَّا حُبِسَ أَنْفَذَ فِي طَلَبِ تَلَامِيذِهِ  
 وَمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ وَاعْتَصَمُوا بِجَزَائِرِ الْبَحَارِ ؛  
 فَكَثَّ بَيْدَبَا فِي مَحْبِسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ ، وَلَا يَلْتَفِتُ  
 إِلَيْهِ ؛ وَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةً مِنْ  
 اللَّيَالِي سَهَدَ الْمَلِكُ سُهْدًا شَدِيدًا ؛ فَطَالَ سُهْدُهُ ، وَمَدَّ إِلَى الْفَلَكَ <sup>(٢)</sup>  
 بَصْرَهُ ؛ وَتَفَكَّرَ فِي تَفَلُّكِ الْفَلَكَ وَحَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ ، فَأَغْرَقَ <sup>(٣)</sup>  
 الْفِكْرَ فِيهِ ؛ فَسَلَكَ بِهِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ شَيْءٍ عَرَضَ لَهُ مِنْ أُمُورِ  
 الْفَلَكَ ، وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . فَذَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْدَبَا ، وَتَفَكَّرَ فِيمَا كَلَّمَهُ بِهِ ؛

(١) قوتك . (٢) أرق أرقا شديدا . (٣) استدارة ملطار النجوم .

(١) فَأَرَعَوَى لِدَيْكَ . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَقَدْ أَسَأْتُ فِيمَا صَنَعْتُ  
 بِهَذَا الْفَيْلَسُوفِ ، وَضَيَّعْتُ وَاجِبَ حَقِّهِ ، وَحَمَلْتَنِي عَلَى ذَلِكَ  
 سُرْعَةَ الْغَضَبِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ  
 فِي الْمُلُوكِ : الْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ الْأَشْيَاءِ مَقْتًا ، وَالْبُخْلُ فَإِنَّ  
 صَاحِبَهُ لَيْسَ بِمَعْذُورٍ مَعَ ذَاتِ يَدِهِ ، وَالْكَذِبُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ  
 أَنْ يُجَاوِرَهُ ، وَالْعُنْفُ فِي الْمَحَاوِرَةِ فَإِنَّ السَّفَهَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا .  
 وَإِنِّي أَتَيْتُ إِلَى رَجُلٍ نَصَحَ لِي ، وَلَمْ يَكُنْ مُبَلِّغًا ، فَعَامَلْتُهُ بِضِدِّ  
 مَا يَسْتَحِقُّ ، وَكَافَأْتُهُ بِخِلَافِ مَا يَسْتَوْجِبُ . وَمَا كَانَ هَذَا جَزَاءَهُ  
 مِنِّي ، بَلْ كَانَ الْوَاجِبَ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ ، وَأَنْقَادًا لِمَا يُشِيرُ بِهِ .  
 ثُمَّ أَنْفَذَ فِي سَاعَتِهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ :  
 يَا بَيْدَبَا أَلَسْتَ الَّذِي قَصَدْتَ إِلَى تَقْصِيرِ هِمَّتِي ، وَعَجَزْتَ رَأْيِي  
 فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ آنِفًا ؟ قَالَ لَهُ بَيْدَبَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّاصِحُ  
 الشَّفِيقُ ، وَالصَّادِقُ الرَّفِيقُ ، إِنَّمَا نَبَأْتُكَ بِمَا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ  
 وَلِرَعِيَّتِكَ ، وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ ، قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا أَعِدْ عَلَيَّ

(١) - ارعوى ارعواه : نزع عن الجهل ورجع عنه .

كَلَامَكَ كُلَّهُ ، وَلَا تَدَعِ مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا جِثْتَ بِهِ . فَجَعَلَ بِيَدَيَّ  
 يَنْتَرُ كَلَامَهُ ، وَالْمَلِكُ مُضِغٌ إِلَيْهِ . وَجَعَلَ دَبْشَلِيمٌ كَمَا سَمِعَ مِنْهُ  
 شَيْئًا يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِشَيْءٍ كَانَ فِي يَدِهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى  
 بِيَدَيَّ ، وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ . وَقَالَ لَهُ : يَا بِيَدَبَا ، إِنِّي قَدْ اسْتَعَذَبْتُ  
 كَلَامَكَ وَحَسَنَ مَوْقِعَهُ مِنْ قَلْبِي . وَأَنَا نَاطِرٌ فِي الَّذِي أَشَرْتَ  
 بِهِ ، وَعَامِلٌ بِمَا أَمَرْتَ . ثُمَّ أَمَرَ بِقِيُودِهِ فَخُلَّتْ . وَأَلْقَى عَلَيْهِ  
 مِنْ لِبَاسِهِ ، وَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ . فَقَالَ بِيَدَبَا : يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ  
 فِي دُونِ مَا كَلَّمْتِكَ بِهِ نُهْيَةً لِمِثْلِكَ . قَالَ : صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ  
 الْفَاضِلُ . وَقَدْ وَلَّيْتُكَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى جَمِيعِ أَقَاصِي  
 مَمْلَكَتِي . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْظِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ : فَإِنِّي  
 غَيْرُ مُضْطَلِّعٍ بِتَقْوِيمِهِ إِلَّا بِكَ . فَأَعْفَاهُ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا انْصَرَفَ ،  
 عَلِمَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ لَيْسَ بِرَأْيٍ ، فَبَعَثَ فَرَدَّهُ . وَقَالَ : إِنِّي  
 فَكَّرْتُ فِي إِعْفَائِكَ مِمَّا عَرَضَتْهُ عَلَيْكَ فَوَجَدْتَهُ لَا يَقُومُ إِلَّا  
 بِكَ ، وَلَا يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ ، وَلَا يَضْطَلِّعُ بِهِ سِوَاكَ . فَلَا  
 تُخَالِفُنِي فِيهِ . فَأَجَابَهُ بِيَدَبَا إِلَى ذَلِكَ .

وَكَانَ عَادَةً مُلُوكَ ذَلِكَ الزَّمَانِ إِذَا اسْتَوَزَرُوا وَزِيرًا أَنْ يَعْقِدُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا ، وَيُرْكَبَ فِي أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ ، وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُفْعَلَ بِبَيْدَبَا ذَلِكَ . فَوُضِعَ التَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَرَكِبَ فِي الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ بِمَجْلِسِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ : يَأْخُذُ لِلدَّيْنِيِّ مِنَ الشَّرِيفِ ، وَيُسَاوِي بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَرَدَّ الْمَظَالِمَ ، وَوَضَعَ سِنَنَ الْعَدْلِ ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْعَطَاءِ وَالْبَدْلِ . وَاتَّصَلَ الْخَبْرُ بِتَلَامِيذِهِ بِخَاءٍ وَهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَرِحِينَ بِمَا جَدَّدَ اللَّهُ لَهُ مِنْ جَدِيدِ رَأْيِ الْمَلِكِ فِي بَيْدَبَا ، وَشَكَرُوا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِ بَيْدَبَا فِي إِزَالَةِ دَبْشَلِيمَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السَّيْرِ ، وَاتَّخَذُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا يُعِيدُونَ فِيهِ فَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ عِيدٌ عِنْدَهُمْ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا لَمَّا أَخْلَى فِكْرَهُ مِنْ اشْتِغَالِهِ بِدَبْشَلِيمَ ، تَفَرَّغَ لِوَضْعِ كُتُبِ السِّيَاسَةِ وَنَشِطَ لَهَا ، فَعَمِلَ كُتُبًا كَثِيرَةً ، فِيهَا دَقَائِقُ الْحَيْلِ . وَمَضَى الْمَلِكُ عَلَى مَا رَسَمَ لَهُ بَيْدَبَا مِنْ حُسْنِ



السيرة والعدل في الرعية . فرغبت إليه الملوك الذين كانوا  
 في نواحيه ، وأنقادت له الأمور على استوائها . وفرحت به  
 رعيته وأهل مملكته . ثم إن بيدبا جمع تلاميذه فأحسن صلتهم ،  
 ووعدهم وعدًا جميلًا . وقال لهم : لست أشك أنه وقع في نفوسكم  
 وقت دخولي على الملك أن قاتم : إن بيدبا قد ضاعت حكمته ،  
 وبطلت فكرته : إذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغى .  
 فقد علمتم نتيجة رأيي وصحة فكري . وإني لم آت جهالاً به :  
 لأني كنت أسمع من الحكماء قبلي تقول : إن الملوك لها  
 سورة<sup>(١)</sup> كسورة الشراب : فالملوك لا تفيق من السورة إلا بمواعظ  
 العلماء وأدب الحكماء . والواجب على الملوك أن يتعظوا  
 بمواعظ العلماء . والواجب على العلماء تقويم الملوك بالسنتها ،  
 وتأديبها بحكمتها ، وإظهار النجاة البينة اللازمة لهم : ليرتدعوا  
 عما هم عليه من الإغوجاج والخروج عن العدل . فوجدت  
 ما قالت العلماء فرضاً واجباً على الحكماء لمُلوكهم ليوقظوهم

مِنْ رَقَدَتِهِمْ ، كَالطَّبِيبِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ فِي صِنَاعَتِهِ حِفْظُ  
 الْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ رَدُّهَا إِلَى الصِّحَّةِ . فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ  
 أَوْ أَمُوتَ وَمَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ كَانَ بِيَدَيَا  
 الْفَيْلَسُوفِ فِي زَمَانِ دَبْسَلِيمِ الطَّاغِي فَلَمْ يَرُدَّهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ .  
 فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّهُ لَمْ يُمْكِنَهُ كَلَامُهُ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، قَالُوا : كَانَ  
 الْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جَوَارِهِ أَوْلَى بِهِ ، وَالْإِنزِعَاجُ عَنِ الْوَطَنِ شَدِيدٌ ،  
 فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ بِحَيَاتِي ، فَأَكُونُ قَدْ أَتَيْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ  
 الْحُكَمَاءِ بَعْدِي عُدْرًا . فَحَمَلْتُهَا عَلَى التَّغْرِيرِ أَوْ الظَّفْرِ بِمَا  
 أُرِيدُهُ . وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا أَنْتُمْ مُعَايِنُوهُ : فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ  
 الْأَمْثَالِ : إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مَرْتَبَةً إِلَّا بِأِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا بِمَشَقَّةٍ  
 تَنَالَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ وَكَيْسٍ فِي دِينِهِ . وَمَنْ  
 لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرَّغَائِبَ . وَإِنَّ الْمَلِكَ دَبْسَلِيمَ قَدْ  
 بَسَطَ لِسَانِي فِي أَنْ أَضَعَ كِتَابًا فِيهِ ضُرُوبُ الْحِكْمَةِ . فَلْيَضَعْ كُلُّ  
 وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ ، وَلْيَعْرِضْهُ عَلَى لِأَنْظَرِ مِقْدَارَ

(١) التعريض للهلاك . (٢) أي أن يكون صاحب عقيدة صحيحة يتمسك بها مع أنه يؤذى  
 وينقص في سببها ، فإذا ناله وكس بسبب ذلك فانه لا بد أن يعرف الناس قدره بعد حين .

عَقْلِهِ ، وَأَيْنَ بَلَغَ مِنَ الْحِكْمَةِ فَهَمُّهُ . قَالُوا : أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ ،  
وَاللَّيْبُ الْعَاقِلُ ، وَالَّذِي وَهَبَ لَكَ مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ  
وَالْأَدَبِ وَالْفَضِيلَةِ ، مَا خَطَرَ هَذَا بِقُلُوبِنَا سَاعَةً قَطُّ . وَأَنْتَ  
رَبِّسْنَا وَقَاضِلْنَا ، وَبِكَ شَرَّفْنَا ، وَعَلَى يَدِكَ انْتِعَاشُنَا . وَلَكِنْ  
سَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا فِيهَا أَمْرًا . وَمَكَثَ الْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ  
السِّيَرَةِ زَمَانًا يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَهُ بِيَدَيَا وَيُقُومُ بِهِ .

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَبْسَلِيمَ لَمَّا اسْتَقَرَّ لَهُ الْمُلْكُ ، وَسَقَطَ عَنْهُ النَّظَرُ  
فِي أُمُورِ الْأَعْدَاءِ بِمَا قَدْ كَفَاهُ ذَلِكَ بِيَدَيَا ، صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى  
النَّظَرِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي وَضَعَتْهَا فَلَاسِفَةُ الْهِنْدِ لِأَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ ،  
فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ  
وَتَذَكُرُ فِيهِ أَيَّامُهُ كَمَا ذُكِرَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ . فَلَمَّا عَزَمَ  
عَلَى ذَلِكَ ، عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ ذَلِكَ إِلَّا بِيَدَيَا : فَدَعَاهُ وَخَلَا بِهِ ،  
وَقَالَ لَهُ : يَا بَيْدَبَا ، إِنَّكَ حَكِيمُ الْهِنْدِ وَفَيْلَسُوفُهَا . وَإِنِّي فَكَّرْتُ  
وَنَظَرْتُ فِي خَزَائِنِ الْحِكْمَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي ، فَلَمْ أَرَفِيهِمْ  
أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ كِتَابًا يَذَكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ ، وَيُنَبِّئُ عَنِ

أَدِيهِ وَأَهْلٍ مَمْلُوكِيهِ ، فَمِنْهُ مَا وَضَعْتَهُ الْمُلُوكُ لِأَنْفُسِهَا ، وَذَلِكَ  
لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيهَا ، وَمِنْهُ مَا وَضَعْتَهُ حُكَمَاؤُهَا . وَأَخَافُ أَنْ  
يَلْحَقَنِي مَا لَحِقَ أَوْلِيئِكَ مِمَّا لَا حِيلَةَ لِي فِيهِ ، وَلَا يُوجَدُ فِي نَخْرَائِنِي  
كِتَابٌ أَذْكَرُّ بِهِ بَعْدِي ، وَأَنْسَبُ إِلَيْهِ كَمَا ذُكِرَ مِنْ كَانَ قَبْلِي  
بِكُتُبِهِمْ . وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا بَلِيغًا تَسْتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ  
يَكُونُ ظَاهِرُهُ سِيَاسَةَ الْعَامَّةِ وَتَأْدِيبُهَا ، وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقَ الْمُلُوكِ  
وَسِيَاسَتَهَا لِلرَّعِيَّةِ عَلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ وَخِدْمَتِهِ ، فَيَسْقُطُ بِذَلِكَ  
عَنِّي وَعَنْهُمْ كَثِيرٌ مِمَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ الْمَلِكِ . وَأُرِيدُ أَنْ  
يَبْقَى لِي هَذَا الْكِتَابُ بَعْدِي ذِكْرًا عَلَى غَايِرِ الدُّهُورِ . فَلَمَّا سَمِعَ  
بِيدْبَا كَلَامِهِ نَحَرَ لَهُ سَاجِدًا ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ  
السَّعِيدُ جَدُّهُ ، عَلَا نَجْمُكَ ، وَغَابَ نَحْسُكَ ، وَدَامَتْ أَيَّامُكَ ،  
إِنَّ الَّذِي قَدْ طُبِعَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ جَوْدَةِ الْقَرِيحَةِ وَوُفُورِ الْعَقْلِ  
حَرَكَهُ لِعَالِي الْأُمُورِ ، وَسَمَّتْ بِهِ نَفْسَهُ وَهَمَّتْهُ إِلَى أَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ  
مَنْزَلَةً ، وَأَبْعَدَهَا غَايَةً ، وَأَدَامَ اللَّهُ سَعَادَةَ الْمَلِكِ وَأَعَانَهُ عَلَى

مَا عَزَمَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَعَانَنِي عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ . فَلْيَأْمُرِ الْمَلِكُ  
بِمَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ : فَإِنِّي صَائِرٌ إِلَى غَرَضِهِ ، مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي .  
قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا لَمْ تَزَلْ مَوْصُوفًا بِحُسْنِ الرَّأْيِ وَطَاعَةِ  
الْمُلُوكِ فِي أُمُورِهِمْ . وَقَدْ اخْتَبَرْتُ مِنْكَ ذَلِكَ ، وَاخْتَرْتُ أَنْ  
تَضَعَ هَذَا الْكِتَابَ ، وَتُعْمَلَ فِيهِ فِكْرَكَ ، وَتَجْهَدَ فِيهِ نَفْسَكَ ،  
بِغَايَةِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَلَيْكُنْ مُشْتِمِلًا عَلَى الْجِدِّ وَالْهَزْلِ  
وَاللَّهْوِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلَسَفَةِ . فَكَفَّرَ لَهُ بَيْدَبَا وَسَجَدَ ، وَقَالَ : قَدْ  
أَجَبْتُ الْمَلِكَ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمَرَنِي بِهِ ، وَجَعَلْتُ بَيْنِي  
وَبَيْنَهُ أَجَلًا . قَالَ : وَكَمْ هُوَ الْأَجَلُ ؟ قَالَ : سَنَةٌ . قَالَ :  
قَدْ أَجَلْتُكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ تُعِينُهُ عَلَى عَمَلِ الْكِتَابِ  
فَبَقِيَ بَيْدَبَا مُفَكِّرًا فِي الْأَخْذِ فِيهِ ، وَفِي أَيِّ صُورَةٍ يَبْتَدِئُ بِهَا  
فِيهِ وَفِي وَضْعِهِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ نَدَبَنِي لِأَمْرِ  
فِيهِ نَخْرِي وَنَخْرِكُمْ وَنَخْرِي بِلَادِكُمْ ، وَقَدْ جَمَعْتُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ .  
ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ الْمَلِكُ مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ ، وَالْغَرَضَ الَّذِي

قَصَدَ فِيهِ ، فَلَمْ يَقَعْ لَهُمُ الْفِكْرُ فِيهِ . فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُهُ  
فَكَرَّ بِفَضْلِ حِكْمَتِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ إِنَّمَا يَتِمُّ بِاسْتِفْرَاحِ  
الْعَقْلِ وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ ، وَقَالَ : أَرَى السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ  
إِلَّا بِالمَلَّاحِينَ : لِأَنَّهُمْ يُعَدِّلُونَهَا ، وَإِنَّمَا تَسْلُكُ اللُّجَّةُ بِمُدْبِرِهَا  
الَّذِي تَفَرَّدَ بِأَمْرَتِهَا ؛ وَمَتَى سُحِنَتْ بِالرُّكَّابِ الْكَثِيرِينَ وَكَثُرَ  
مَلَّاحُوهَا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْغَرَقِ . وَلَمْ يَزَلْ يُفَكِّرُ فِيهَا يَعْمَلُهُ  
فِي بَابِ الْكِتَابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى الْإِنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ ، مَعَ رَجُلٍ مِنْ  
تَلَامِيذِهِ كَانَ يَثِقُ بِهِ ، فَخَلَا بِهِ مُنْفِرِدًا مَعَهُ ، بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ مِنَ الْوَرَقِ  
الَّذِي كَانَتْ تَكْتُبُ فِيهِ الْهِنْدُ شَيْئًا ، وَمِنْ الْقُوْتِ مَا يَقُومُ بِهِ  
وَيَتَلَمَّذُهُ تِلْكَ الْمُدَّةَ . وَجَلَسَا فِي مَقْصُورَةٍ ، وَرَدَّا عَلَيْهِمَا الْبَابَ  
ثُمَّ بَدَأَ فِي نَظْمِ الْكِتَابِ وَتَصْنِيفِهِ ؛ وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يَمْلِي وَتَلْمِذُهُ  
يَكْتُبُ ، وَيَرْجِعُ هُوَ فِيهِ ؛ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْكِتَابُ عَلَى غَايَةِ الْإِتْقَانِ  
وَالْإِحْكَامِ . وَرَتَّبَ فِيهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَابًا ؛ كُلُّ بَابٍ مِنْهَا قَائِمٌ  
بِنَفْسِهِ . وَفِي كُلِّ بَابٍ مَسْأَلَةٌ وَالْجَوَابُ عَنْهَا ؛ لِيَكُونَ لِمَنْ نَظَرَ

فِيهِ حَظٌّ مِنَ الْهُدَايَةِ . وَضَمَّنَ تِلْكَ الْأَبْوَابَ كِتَابًا وَاحِدًا ،  
وَسَمَّاهُ كِتَابَ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةَ . ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَلْسِنِ الْبَهَائِمِ  
وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ : لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ لِهَوَا الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ ، وَبَاطِنُهُ  
رِيَاضَةً لِعُقُولِ الْخَاصَّةِ . وَضَمَّنَهُ أَيْضًا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ  
سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ  
دِينِهِ وَدُنْيَاةٍ ، وَأَنْحَرْتَهُ وَأَوْلَاهُ ، وَيُحْضُهُ عَلَى حُسْنِ طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ  
وَيُجَنِّبُهُ مَا تَكُونُ مَجَانِبَتُهُ خَيْرًا لَهُ . ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا كَرَسَمِ  
سَائِرِ الْكُتُبِ الَّتِي بِرَسْمِ الْحِكْمَةِ : فَصَارَ الْحَيَوَانُ لِهَوَا ، وَمَا يَنْطِقُ  
بِهِ حِكْمَةً وَأَدَبًا . فَلَمَّا ابْتَدَأَ بَيِّدَبَا بِذَلِكَ جَعَلَ أَوَّلَ الْكِتَابِ  
وَصَفَّ الصَّادِقِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ الصَّادِقَانِ ، وَكَيْفَ تُقَطَّعُ  
الْمَوَدَّةُ الثَّابِتَةُ بَيْنَهُمَا بِحِيلَةِ ذِي النَّمِيمَةِ . وَأَمْرَ تَلْبِيذِهِ أَنْ يَكْتُبَ  
عَلَى لِسَانِ بَيِّدَبَا مِثْلَ مَا كَانَ الْمَلِكُ شَرْطَهُ فِي أَنْ جَعَلَهُ لِهَوَا  
وَحِكْمَةً . فَذَكَرَ بَيِّدَبَا أَنَّ الْحِكْمَةَ مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ النَّقْلَةِ أَفْسَدَهَا  
وَجُهَلَتْ حِكْمَتُهَا . فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتَلْبِيذُهُ يُعْمَلَانِ الْفِكْرَ فِيمَا  
سَأَلَهُ الْمَلِكُ ، حَتَّى فَتَقَ لهُمَا الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُمَا عَلَى لِسَانِ

بِهَيْمَتَيْنِ . فَوَقَعَ لهُمَا مَوْضِعُ اللَّهْوِ وَالْهَزْلِ بِكَلَامِ الْبَهَائِمِ . وَكَانَتْ  
 الْحِكْمَةُ مَا نَطَقَا بِهِ . فَأَصْغَتِ الْحُكْمَاءُ إِلَى حِكْمِهِ وَتَرَكُوا الْبَهَائِمَ  
 وَاللَّهُوَ ، وَعَلِمُوا أَنَّهَا السَّبَبُ فِي الَّذِي وُضِعَ لَهُمْ . وَمَالَتْ إِلَيْهِ  
 الْجُهَّالُ عَجَبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بَهِيمَتَيْنِ ، وَلَمْ يَشْكُوا فِي ذَلِكَ ، وَاتَّخَذُوهُ  
 لَهْوًا ، وَتَرَكُوا مَعْنَى الْكَلَامِ أَنْ يَفْهَمُوهُ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا الْغَرَضَ  
 الَّذِي وُضِعَ لَهُ ، لِأَنَّ الْفَيْلَسُوفَ إِذَا كَانَ غَرَضُهُ فِي الْبَابِ  
 الْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ عَنِ تَوَاصُلِ الْإِخْوَانِ كَيْفَ تَتَأَكَّدُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ  
 عَلَى التَّحْفِظِ مِنْ أَهْلِ السُّعَايَةِ وَالتَّحَرُّزِ مِمَّنْ يُوقِعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ  
 الْمُتَحَابِّينَ : لِيَجْرَّ بِذَلِكَ نَفْعًا إِلَى نَفْسِهِ . فَلَمْ يَزَلْ بَيِّدًا وَتَلْبِيذُهُ  
 فِي الْمَقْصُورَةِ ، حَتَّى اسْتَمْتَا عَمَلَ الْكِتَابِ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا  
 تَمَّ الْحَوْلُ أَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ أَنْ قَدْ جَاءَ الْوَعْدُ فَمَاذَا صَنَعْتَ ؟  
 فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بَيِّدًا : إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ الْمَلِكَ . فَلْيَأْمُرْنِي بِجَمَلِهِ ،  
 بَعْدَ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ لِتَكُونَ قِرَاءَتِي هَذَا الْكِتَابِ بِحَضْرَتِهِمْ ،  
 فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ سُرَّ بِذَلِكَ ، وَوَعَدَهُ يَوْمًا يَجْمَعُ فِيهِ

(١) السُّعَايَةُ : الْوَشَايَةُ وَالنَّمِيمَةُ .



أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ . ثُمَّ نَادَى فِي أَقَاصِي بِلَادِ الْهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ  
 الْكِتَابِ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِبَيْدَبَا  
 سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ ، وَكَرَاسِيٌّ لِأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ . وَأَنْفَذَ  
 فَأَحْضَرَهُ . فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَامَ فَلَبَسَ الثِّيَابَ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا  
 إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ وَهِيَ الْمُسُوحُ السُّودُ ، وَحَمَلَ الْكِتَابَ  
 تَلْمِيذَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ وَثَبَ الْخَلَّائِقُ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَقَامَ  
 الْمَلِكُ شَاكِرًا . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ ، وَلَمْ يَرْفَعْ  
 رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا أَرْفَعُ رَأْسَكَ ، فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ  
 هَنَاءٌ وَفَرَجٌ وَسُرُورٌ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَجْلِسَ . فَحِينَ جَلَسَ لِقِرَاءَةِ  
 الْكِتَابِ ، سَأَلَهُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ ، وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ  
 قَصَدَ فِيهِ . فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ ، وَفِي كُلِّ بَابٍ . فَازْدَادَ الْمَلِكُ  
 مِنْهُ تَعَجُّبًا وَسُرُورًا . فَقَالَ لَهُ : يَا بَيْدَبَا مَا عَدَوْتَ الَّذِي فِي  
 نَفْسِي ، وَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ ، فَاطْلُبْ مَا شِئْتَ وَتَحَكَّمْ .  
 فَدَعَا لَهُ بَيْدَبَا بِالسَّعَادَةِ وَطُولِ الْجَدِّ . وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَمَّا  
 الْمَالُ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَأَمَّا الْكُسُوفُ فَلَا إِخْتَارُ عَلَيَّ لِبَاسِي

هَذَا شَيْئًا ، وَلَسْتُ أُخْلِ الْمَلِكَ مِنْ حَاجَةٍ . قَالَ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا  
مَا حَاجَتُكَ ؟ فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قَبْلَنَا مَقْضِيَةٌ . قَالَ : يَا أَمْرُ الْمَلِكِ  
أَنْ يُدَوَّنَ كِتَابِي هَذَا كَمَا دَوَّنَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ كُتُبِهِمْ ، وَيَأْمُرُ  
بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ : فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ ، فَيَتَنَاوَلَهُ  
أَهْلُ فَارِسَ إِذَا عَلِمُوا بِهِ ، فَالْمَلِكُ يَا أَمْرُ أَلَّا يُخْرَجَ مِنْ بَيْتِ  
الْحِكْمَةِ . ثُمَّ دَعَا الْمَلِكُ بِتَلَامِيذِهِ وَأَحْسَنَ لَهُمُ الْجَوَائِزَ . ثُمَّ إِنَّهُ  
لَمَّا مَلَكَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ وَكَانَ مُسْتَأْثِرًا بِالْكِتَابِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ  
وَالنَّظَرِ فِي أَنْخَبَارِ الْأَوَائِلِ وَقَعَ لَهُ خَبْرُ الْكِتَابِ ، فَلَمْ يَقَرَّ قَرَارَهُ  
حَتَّى بَعَثَ بَرَزَوِيَةَ الطَّيِّبَ وَتَلَطَّفَ حَتَّى أَنْجَرَجَهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ  
فَأَقَرَّهُ فِي نَخْرَائِنِ فَارِسَ .

### بَابُ بَعْثَةِ بَرَزَوِيَةَ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ بِرَحْمَتِهِ ، وَمَنْ عَلَى عِبَادِهِ  
بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَرَزَقَهُمْ مَا يَقْدِرُونَ بِهِ عَلَى إِصْلَاحِ مَعَايِشِهِمْ  
فِي الدُّنْيَا ، وَيُذَرِّكُونَهُ بِهِيَ اسْتِنْقَادَ أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ  
فِي الْآخِرَةِ ، وَافْضَلَ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ بِهِ عَلَيْهِمُ الْعَقْلُ

الَّذِي هُوَ الدُّعَامَةُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، وَالَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا  
 عَلَى إِصْلَاحِ مَعِيشَتِهِ وَلَا إِحْرَازِ نَفْعٍ وَلَا دَفْعِ ضَرَرٍ إِلَّا بِهِ .  
 وَكَذَلِكَ طَالِبُ الْآخِرَةِ الْمُجْتَهِدُ فِي الْعَمَلِ الْمُنْجِي بِهِ رُوحَهُ لَا يَقْدِرُ  
 عَلَى إِتْمَامِ عَمَلِهِ وَإِكْمَالِهِ إِلَّا بِالْعَقْلِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ  
 وَمِفْتَاحُ كُلِّ سَعَادَةٍ . فَلَيْسَ لِأَحَدٍ غِنَى عَنِ الْعَقْلِ . وَالْعَقْلُ  
 مُكْتَسَبٌ بِالتَّجَارِبِ وَالْأَدَبِ . وَلَهُ غَرِيزَةٌ مَكْنُونَةٌ فِي الْإِنْسَانِ  
 كَامِنَةٌ كَالنَّارِ فِي الْحَجَرِ لَا تَظْهَرُ وَلَا يُرَى ضَوْؤُهَا حَتَّى يَقْدَحَهَا  
 قَادِحٌ مِنَ النَّاسِ ؛ فَإِذَا قُدِحَتْ ظَهَرَتْ طَبِيعَتُهَا . وَكَذَلِكَ الْعَقْلُ  
 كَامِنٌ فِي الْإِنْسَانِ لَا يَظْهَرُ حَتَّى يُظْهِرَهُ الْأَدَبُ وَتَقْوِيهِ  
 التَّجَارِبُ . وَمَنْ رَزَقَ الْعَقْلَ وَمَنْ بِهِ عَلَيْهِ وَأَعِينَ عَلَى صِدْقِ  
 قَرِيحَتِهِ بِالْأَدَبِ حَرَصَ عَلَى طَلَبِ سَعْدِ جَدِّهِ ، وَأَدْرَكَ فِي الدُّنْيَا  
 أَمَلَهُ ، وَحَازَ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابَ الصَّالِحِينَ . وَقَدْ رَزَقَ اللَّهُ الْمَلِكَ  
 السَّعِيدَ أَنْوَشِرَوَانَ مِنَ الْعَقْلِ أَفْضَلَهُ ، وَمِنَ الْعِلْمِ أَجْزَلَهُ ؛ وَمِنَ  
 الْمَعْرِفَةِ بِالْأُمُورِ أَصُوبَهَا ، وَمِنَ الْأَفْعَالِ أَسَدَّهَا ، وَمِنَ الْبَحْثِ  
 عَنِ الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ أَنْفَعَهُ ؛ وَبَلَّغَهُ مِنْ فُنُونِ اخْتِلَافِ الْعِلْمِ ،

وَبَلُوغِ مَنْزِلَةِ الْفَلَسَفَةِ ، مَا لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ ؛  
 حَتَّى كَانَ فِيهَا طَلَبٌ وَبَحْثٌ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتَابِ  
 بِالْهِنْدِ ، عَلِمَ أَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ أَدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى  
 كُلِّ مَنْفَعَةٍ ، وَمِفْتَاحُ عَمَلِ الْآخِرَةِ وَعَلِيهَا ، وَمَعْرِفَةُ النَّجَاةِ مِنْ  
 هَوْلِهَا ؛ فَأَمَرَ الْمَلِكُ وَزِيرَهُ بِرُجْمِهِ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ أَدِيبٍ  
 عَاقِلٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، بِصِيرٍ بِلِسَانِ الْفَارِسِيَّةِ ، مَاهِرٍ فِي كَلَامِ  
 الْهِنْدِ ؛ وَيَكُونُ بَلِيغًا بِاللِّسَانَيْنِ جَمِيعًا ، حَرِيصًا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ  
 مُجْتَهِدًا فِي اسْتِعْمَالِ الْأَدَبِ ، مُبَادِرًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَالْبَحْثِ  
 عَنْ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ . فَأَتَاهُ بِرَجُلٍ أَدِيبٍ كَامِلِ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ ،  
 مَعْرُوفٍ بِصِنَاعَةِ الطَّبِّ ، مَاهِرٍ فِي الْفَارِسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ يُقَالُ لَهُ  
 بَرَزَوِيهِ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ كَفَرَ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :  
 يَا بَرَزَوِيهِ : إِنِّي قَدْ أَخَّرْتُكَ لِمَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ ،  
 وَحَرِيصِكَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ كِتَابِ  
 بِالْهِنْدِ مَخْزُونٍ فِي خَزَائِنِهِمْ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ . وَقَالَ لَهُ :  
 تَجَهَّزْ فَإِنِّي مَرَّحُوكَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ ؛ فَتَلَطَّفَ بِعَقْلِكَ وَحُسْنِ

أَدِيكَ وَنَاقِدِ رَأْيِكَ ، لِاسْتِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ وَمِنْ قَبْلِ عُلَمَائِهِمْ ، فَتَسْتَفِيدَ بِذَلِكَ وَتُفِيدَنَا . وَمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ الْهِنْدِ مِمَّا لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِنْهُ شَيْءٌ فَأَحْمِلْهُ مَعَكَ ، وَخُذْ مَعَكَ مِنَ الْمَالِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَعَجِّلْ ذَلِكَ ، وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَإِنْ أَكْثَرْتَ فِيهِ النَّفَقَةَ ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِي خَزَائِنِي مَبْدُولٌ لَكَ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ . وَأَمْرٌ بِإِحْضَارِ الْمُنْجِمِينَ ، فَاخْتَارُوا لَهُ يَوْمًا يَسِيرُ فِيهِ ، وَسَاعَةً صَالِحَةً يَخْرُجُ فِيهَا . وَحَمَلْ مَعَهُ مِنَ الْمَالِ عِشْرِينَ جِرَابًا ، كُلُّ جِرَابٍ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ . فَلَمَّا قَدِمَ بَرَزَوِيهِ بِلَادَ الْهِنْدِ طَافَ بِبَابِ الْمَلِكِ وَمَجَالِسِ السُّوقِ<sup>(١)</sup> ، وَسَأَلَ عَنِ خَوَاصِّ الْمَلِكِ وَالْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفَلَافِةِ ، فَجَعَلَ يَغْشَاهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَيَتَلَقَّاهُمْ بِالتَّحِيَّةِ ، وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدِمَ بِلَادَهُمْ لِطَلَبِ الْعُلُومِ وَالْأَدَبِ ، وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى مُعَاوَنَتِهِمْ فِي ذَلِكَ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا يَتَادَبُ عَنِ عُلَمَاءِ الْهِنْدِ بِمَا هُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِهِ ، وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ

شَيْئًا ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ يَسْتَرُ بَغِيْتَهُ وَحَاجَتَهُ . وَاتَّخَذَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ لِطُولِ مُقَامِهِ أَصْدِقَاءَ كَثِيرَةً مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ وَالشُّوقَةِ وَمِنْ أَهْلِ كُلِّ طَبَقَةٍ وَصِنَاعَةٍ ، وَكَانَ قَدْ اتَّخَذَ مِنْ بَيْنِ أَصْدِقَائِهِ رَجُلًا وَاحِدًا قَدْ اتَّخَذَهُ لِسِرِّهِ وَمَا يُحِبُّ مُشَاوَرَتَهُ فِيهِ ، لِلَّذِي ظَهَرَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَدَبِهِ ، وَاسْتَبَانَ لَهُ مِنْ صِحَّةِ إِخَانِهِ ، وَكَانَ يُشَاوِرُهُ فِي الْأُمُورِ ، وَيَرْتَاحُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ مَا أَهَمَّهُ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ مِنْهُ الْأَمْرَ الَّذِي قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ لِكَيْ يَبْلُوهُ وَيُخْبِرَهُ ، وَيَنْظُرَ هَلْ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى سِرِّهِ . فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَهُمَا جَالِسَانِ : يَا أُنْحَى مَا أُرِيدُ أَنْ أَكْتُمَكَ مِنْ أَمْرِي فَوْقَ الَّذِي كَتَمْتُكَ . فَأَعْلَمَ أَنِّي لِأَمْرٍ قَدِمْتُ ، وَهُوَ غَيْرُ الَّذِي يَظْهَرُ مِنِّي ، وَالْعَاقِلُ يَكْتُمُنِي مِنَ الرَّجُلِ بِالْعَلَامَاتِ مِنْ نَظَرِهِ ، حَتَّى يَعْلَمَ سِرَّ نَفْسِهِ وَمَا يُضْمِرُهُ قَلْبُهُ . قَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ : إِيَّكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بَدَأْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا جِئْتُ لَهُ ، وَإِيَّاهُ تُرِيدُ ، وَأَنْتَ تَكْتُمُ أَمْرًا تَطْلُبُهُ ، وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ ، مَا خَفِيَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْكَ . وَلَكِنِّي لِرَغْبَتِي فِي إِخَائِكَ ، كَرِهْتُ أَنْ أُوَاجِهَكَ بِهِ . وَإِنَّهُ قَدْ

اسْتَبَانَ مَا تُخْفِيهِ مِنِّي . فَأَمَّا إِذْ قَدْ أَظْهَرْتَ ذَلِكَ ، وَأَفْصَحْتَ  
 بِهِ وَبِالْكَلَامِ فِيهِ ، فَلِئَنِّي مُخْبِرُكَ عَنِ نَفْسِكَ ، وَمُظْهِرُكَ لِكَ سِرِّيرَتِكَ ،  
 وَمُعْلِيكَ بِحَالِكَ الَّتِي قَدِمْتَ لَهَا ، فَإِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادِنَا لِتَسْلُبَنَا  
 كُنُوزَنَا النَّفِيسَةَ ، فَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ ، وَتُسْرِبَهَا مَلِكَكَ .  
 وَكَانَ قُدُومَكَ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ . وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صَبْرَكَ ،  
 وَمُواظَبَتَكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَتِكَ ، وَالتَّحْفُظِ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْكَ  
 الْكَلَامُ ، مَعَ طُولِ مُكْنِكَ عِنْدَنَا ، بِشَيْءٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سِرِّيرَتِكَ  
 وَأُمُورِكَ ، أَزْدَدْتُ رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ ، وَثِقَةً بِعَقْلِكَ ، فَأَخْبَيْتُ  
 مَوَدَّتَكَ . فَلِئَنِّي لَمْ أَرَفِ الرُّجَالَ رَجُلًا هُوَ أَرْضَنُ مِنْكَ عَقْلًا ،  
 وَلَا أَحْسَنُ أَدَبًا ، وَلَا أَصْبِرُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَلَا أَكْتَمُ لِسِرِّهِ  
 مِنْكَ ، وَلَا سِيَّيَا فِي بِلَادِ غُرَبَةٍ ، وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ ، عِنْدَ  
 قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَّتَهُمْ . وَإِنَّ عَقْلَ الرَّجُلِ لَيَبِينُ فِي ثَمَانِي خِصَالٍ :  
 الْأُولَى الرَّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَهَا .  
 وَالثَّلَاثَةُ طَاعَةُ الْمُلُوكِ ، وَالتَّحَرُّى لِمَا يُرْضِيهِمْ . وَالرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ

الرَّجُلِ مَوْضِعَ سِرِّهِ ، وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ .  
 وَالْخَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ أَدِيبًا مَلَقَ اللِّسَانَ <sup>(١)</sup> .  
 وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسِرِّهِ وَسِرِّ غَيْرِهِ حَافِظًا . وَالسَّابِعَةُ أَنْ يَكُونَ  
 عَلَى لِسَانِهِ قَادِرًا ، فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يَأْمَنُ تَبِعَتَهُ . وَالثَّامِنَةُ  
 إِنْ كَانَ بِالْمَحْفَلِ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يُسْأَلُ عَنْهُ . فَمَنْ اجْتَمَعَتْ  
 فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ كَانَ هُوَ الدَّاعِي الْخَيْرِ إِلَى نَفْسِهِ . وَهَذِهِ  
 الْخِصَالُ كُلُّهَا قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيكَ ، وَبَانَتْ لِي مِنْكَ . فَاللَّهُ تَعَالَى  
 يَحْفَظُكَ ، وَيُعِينُكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ ، فَمُصَادَقَتِكَ إِيَّايَ ، وَإِنْ  
 كَانَتْ لِتَسْلُبَنِي كَنْزِي وَنَفْرِي وَعِلْمِي ، تَجْعَلُكَ أَهْلًا لِأَنْ تُسَعَفَ  
 بِحَاجَتِكَ ، وَتُسْفَعَ بِطَلِبَتِكَ <sup>(٢)</sup> ، وَتُعْطَى سُؤْلَكَ <sup>(٣)</sup> . فَقَالَ لَهُ بَرَزَوِيهِ :  
 إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَيَّأْتُ كَلَامًا كَثِيرًا ، وَشَعَبْتُ لَهُ شُعُوبًا ، وَأَنْشَأْتُ  
 لَهُ أَصُولًا وَطُرُقًا ، فَلَمَّا أَنْتَهَيْتَ إِلَى مَا بَدَأْتَنِي بِهِ مِنْ أَطْلَاعِكَ  
 عَلَى أَمْرِي وَالَّذِي قَدِمْتُ لَهُ ، وَالْقَيْتَهُ عَلَيَّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ ،  
 وَرَغَبَتِكَ فِيمَا الْقَيْتَ مِنَ الْقَوْلِ ، آكْتَفَيْتُ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْخِطَابِ



مَعَكَ ، وَعَرَفْتُ الْكَبِيرَ مِنْ أُمُورِي بِالصَّغِيرِ مِنَ الْكَلَامِ ،  
 وَاقْتَصَرْتُ بِهِ مَعَكَ عَلَى الْإِيجَازِ . وَرَأَيْتُ مِنْ إِسْعَافِكَ إِتْيَايَ  
 بِحَاجَتِي مَا دَلَّنِي عَلَى كَرَمِكَ وَحُسْنِ وَفَائِكَ : فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا  
 أُتِيَ إِلَى الْفَيْلَسُوفِ ، وَالسَّرَّ إِذَا اسْتُودِعَ إِلَى اللَّيْبِ الْحَافِظِ ،  
 فَقَدْ حُصِّنَ وَبُلِّغَ بِهِ نِهَآيَةَ أَمَلِ صَاحِبِهِ ، كَمَا يُحَصِّنُ الشَّيْءُ  
 النَّفِيسُ فِي الْقِلَاعِ الْحَصِينَةِ . قَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ : لَا شَيْءَ أَفْضَلُ  
 مِنَ الْمَوَدَّةِ . وَمَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَخْلِطَهُ الرَّجُلُ  
 بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَدْنِرَ عَنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَكْتُمُهُ سِرًّا : فَإِنَّ حِفْظَ السَّرِّ  
 رَأْسُ الْأَدَبِ . فَإِذَا كَانَ السَّرُّ عِنْدَ الْأَمِينِ الْكَتُومِ فَقَدْ احْتَرَزَ  
 مِنَ التَّضْيِيعِ ، مَعَ أَنَّهُ خَلِيقٌ إِلَّا يَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَلَا يَتِمُّ سِرٌّ بَيْنَ اثْنَيْنِ  
 قَدْ عَلِمَاهُ وَتَفَاوَضَاهُ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالسَّرِّ اثْنَانِ فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ  
 مِنْ جِهَةِ أَحَدِهِمَا ، فَإِذَا صَارَ إِلَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَذَاعَ ، حَتَّى  
 لَا يَسْتَطِيعُ صَاحِبُهُ أَنْ يَجْعِدَهُ وَيُكَابِرَ عَنْهُ ، كَالغَيْمِ إِذَا كَانَ  
 مُتَقَطِّعًا فِي السَّمَاءِ فَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا غَيْمٌ مُتَقَطِّعٌ ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ  
 عَلَى تَكْذِيبِهِ . وَأَنَا قَدْ يَدَاخِلُنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ وَخِلَطَتِكَ سُرُورٌ<sup>(١)</sup>

لَا يَعِدِلُهُ شَيْءٌ . وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ  
 الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا تُكْتَمُ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْشَوْ وَيُظْهَرَ ، حَتَّى يَحْدُثَ  
 بِهِ النَّاسُ . فَإِذَا فَشَا فَقَدْ سَعَيْتُ فِي هَلَاكِ هَلَاكًا لَا أَقْدِرُ  
 عَلَى الْفِدَاءِ مِنْهُ بِالْمَالِ وَإِنْ كَثُرَ : لِأَنَّ مَلِكًا فَظًّا غَلِيظًا ، يُعَاقِبُ  
 عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ ، فَكَيْفَ مِثْلُ هَذَا الذَّنْبِ  
 الْعَظِيمِ ؟ وَإِذَا حَمَلْتَنِي الْمَوَدَّةُ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَأَسْعَفْتُكَ بِحَاجَتِكَ  
 لَمْ يَرُدَّ عِقَابُهُ عَنِّي شَيْءٌ . قَالَ بَرْزَوِيهِ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتْ  
 الصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ وَأَعَانَهُ عَلَى الْفَوْزِ . وَهَذَا الْأَمْرُ  
 الَّذِي قَدِمْتُ لَهُ ، لِمِثْلِكَ ذَنْبُهُ ، وَبِكَ أَرْجُو بُلُوغَهُ ، وَأَنَا وَاثِقٌ  
 بِكْرَمِ طِبَاعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَحْشَى مِنِّي وَلَا تَخَافُ  
 أَنْ أُبْدِيَهُ ، بَلْ تَحْشَى أَهْلَ بَيْتِكَ الطَّائِفِينَ بِكَ وَبِالْمَلِكِ أَنْ  
 يَسْعَوْا بِكَ إِلَيْهِ . وَأَنَا أَرْجُو إِلَّا يَسْمَعُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ :  
 لِأَنِّي أَنَا ظَاعِنٌ وَأَنْتَ مُقِيمٌ ، وَمَا أَقَمْتُ فَلَا ثَالِثَ بَيْنَنَا . فَتَعَاهَدَا  
 عَلَى هَذَا جَمِيعًا . وَكَانَ الْهِنْدِيُّ خَازِنَ الْمَلِكِ ، وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ  
 خَزَائِنِهِ . فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ .

فَأَكَبَّ عَلَى تَفْسِيرِهِ وَنَقَلَهُ مِنَ اللُّسَانِ الهِنْدِيِّ إِلَى اللُّسَانِ الفَارِسِيِّ ،  
وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ ، وَأَنْصَبَ بَدَنَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ وَجِلٌّ  
وَفَزِعٌ مِنْ مَلِكِ الهِنْدِ ، خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ المَلِكُ  
الكِتَابَ فِي وَقْتٍ وَلَا يُصَادِفُهُ فِي خَزَائِنِهِ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ  
اِنتِسَاحِ الكِتَابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ الكُتُبِ . كَتَبَ إِلَى  
أَنُوشِرْوَانَ يُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الكِتَابُ ، سَرَّ بِذَلِكَ  
سُرُورًا شَدِيدًا ، ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعَاجَلَةَ المَقَادِيرِ أَنْ تُنْغِصَ عَلَيْهِ فَرَحَهُ ،  
فَكَتَبَ إِلَى بَرزويه بِأَمْرِهِ بِتَعْجِيلِ القُدُومِ . فَسَارَ بَرزويه  
مُتَوَجِّهًا نَحْوَ كَسْرَى . فَلَمَّا رَأَى المَلِكُ مَا قَدَّمَ مَسَّهُ مِنَ الشُّحُوبِ <sup>(١)</sup>  
وَالتَّعَبِ وَالنَّصَبِ ، قَالَ لَهُ : أَيُّهَا العَبْدُ النَّاصِحُ الَّذِي يَأْكُلُ ثَمْرَةَ  
مَا قَدَّمَ غَرَسَ ، أَبَشِرْ وَقَرِّ عَيْنًا : فَإِنِّي مُشْرَفُكَ وَبَالِغُكَ أَفْضَلَ  
دَرَجَةٍ . وَأَمْرُهُ أَنْ يَرِيحَ بَدَنَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ اليَوْمَ الثَّامِنُ ،  
أَمَرَ المَلِكُ أَنْ يَجْتَمِعَ إِلَيْهِ الأَمْرَاءُ وَالعُلَمَاءُ . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا ،  
أَمَرَ بَرزويه بِالْحُضُورِ . فَحَضَرَ مَعَهُ الكُتُبُ ، فَفَتَحَهَا وَقَرَأَهَا

(١) تغير اللون من السفر ونحوه .

عَلَى مَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ . فَلَمَّا سَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ  
فَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا ، وَشَكَرُوا لِلَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ ، وَمدَحُوا  
بِرْزَوِيهَ وَأَثَنُوا عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ تُفْتَحَ لِبِرْزَوِيهَ خَزَائِنُ اللُّلُؤِ  
وَالزَّبَرَجَدِ وَالْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ  
الْخَزَائِنِ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ أَوْ كِسُوفَةٍ ، وَقَالَ : يَا بِرْزَوِيهَ إِنِّي قَدْ  
أَمَرْتُ أَنْ تُجْلِسَ عَلَيَّ مِثْلُ سَرِيرِي هَذَا ، وَتُلْبَسَ تَاجًا ،  
وَتَتَرَأَسَ عَلَيَّ بِجَمِيعِ الْأَشْرَافِ . فَسَجَدَ بِرْزَوِيهَ لِلْمَلِكِ وَدَعَا لَهُ  
وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ وَقَالَ : أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلِكَ كَرَامَةَ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ ، وَأَحْسَنَ عَنِّي ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ ، فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مُسْتَعِينٌ  
عَنِ الْمَالِ بِمَا رَزَقَنِي اللَّهُ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْجَدِّ ، الْعَظِيمِ  
الْمَلِكِ ، وَلَا حَاجَةَ لِي بِالْمَالِ ، لَكِن لَمَّا كَلَّفَنِي الْمَلِكُ ذَلِكَ  
وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسْرُهُ ، أَنَا أَمْضِي إِلَى الْخَزَائِنِ فَأَأْخُذُ مِنْهَا طَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ  
وَأَمْتِثَالًا لِأَمْرِهِ . ثُمَّ قَصَدَ خِزَانَةَ الثِّيَابِ فَأَخَذَ مِنْهَا تَحْتًا مِنْ  
طَرَائِفِ خِرَاسَانَ مِنْ مَلَابِسِ الْمُلُوكِ . فَلَمَّا قَبِضَ بِرْزَوِيهَ

مَا أَخْتَارَهُ وَرَضِيَهُ مِنَ الثِّيَابِ قَالَ : أَكْرَمَ اللَّهُ الْمَلِكَ وَمَدَّ  
 فِي عُمُرِهِ أَبَدًا . لَا بُدَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أُكْرِمَ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ ،  
 وَإِنْ كَانَ قَدْ اسْتَوْجَبَهُ تَعَبًا وَمَشَقَّةً فَقَدْ كَانَ فِيهِمَا رِضَا الْمَلِكِ .  
 وَأَمَّا أَنَا فَمَا لَقِيْتُهُ مِنْ عَنَاءٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ ، لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ  
 فِيهِ الشَّرَفَ يَا أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ ! فَيَأْتِي لَمْ أَزَلْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ تَابِعًا  
 رِضَاكُمْ ، أَرَى الْعَسِيرَ فِيهِ يَسِيرًا . وَالشَّاقَّ هَيِّنًا ، وَالنَّصَبَ  
 وَالْأَذَى سُورًا وَوَلَدَةً : لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ رِضًا وَقُرْبَةً عِنْدَكُمْ .  
 وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَاجَةً تُسَعِّفُنِي بِهَا ، وَتُعْطِينِي فِيهَا  
 سُؤْلِي : فَإِنَّ حَاجَتِي يَسِيرَةٌ ، وَفِي قَضَائِهَا فَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ . قَالَ  
 أَنْوَشِرَوَانُ : قُلْ فَكُلِّ حَاجَةٍ لَكَ قَبْلَنَا مَقْضِيَةٌ : فَإِنَّكَ عِنْدَنَا  
 عَظِيمٌ ، وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارَكَتَنَا فِي مَلِكِنَا لَفَعَلْنَا ، وَلَمْ نَرُدَّ طَلِبَتَكَ ،  
 فَكَيْفَ مَا سِوَى ذَلِكَ ؟ فَقُلْ وَلَا تَحْتَشِمْ ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا  
 مَبْدُوءَةٌ لَكَ . قَالَ بَرَزَوِيهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي  
 فِي رِضَاكَ وَانْكَاشِي فِي طَاعَتِكَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزُمُنِي بَدَلُ

مُهَجَّبِي فِي رِضَاكَ ، وَلَوْ لَمْ تَجْزِنِي لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا  
 وَاجِبًا عَلَى الْمَلِكِ ، وَلَكِنْ لِكَرَمِهِ وَشَرَفِ مَنَصِبِهِ عَمَدًا إِلَى مُجَازَاتِي ،  
 وَخَصَّنِي وَأَهْلَ بَيْتِي بِعُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ وَرَفْعِ الدَّرَجَةِ ، حَتَّى لَوْ قَدَّرَ  
 أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَفَعَلَ . بِحِزَاهُ اللَّهُ عَنَا  
 أَفْضَلَ الْجَزَاءِ . قَالَ أَبُو شُرَوَانَ : أَذْكَرَ حَاجَتَكَ ، فَعَلَى مَا يَسُرُّكَ .  
 فَقَالَ بَرَزَوِيهِ : حَاجَتِي أَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكُ ، أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ،  
 وَزِيرَهُ بَزْرَجَمِهْرَ بْنَ الْبَخْتِكَانِ ، وَيُقْسِمَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْمَلَ فِكْرُهُ ،  
 وَيَجْمَعَ رَأْيَهُ ، وَيَجْهَدَ طَاقَتَهُ ، وَيُفْرِغَ قَلْبَهُ فِي نَظْمِ تَأْلِيْفِ  
 كَلَامٍ مُتَقِنٍ مُحْكَمٍ ، وَيَجْعَلُهُ بَابًا يَذْكَرُ فِيهِ أَمْرِي وَيَصِفُ حَالِي ،  
 وَلَا يَدْعُ مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي ذَلِكَ أَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَيَأْمُرُهُ  
 إِذَا اسْتَتَمَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ الَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ الْأَسَدِ  
 وَالشُّورِ : فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ  
 الشَّرَفِ وَأَعْلَى الْمَرَاتِبِ ، وَأَبْقَى لَنَا مَا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًا عَلَى  
 الْأَبَدِ حَيْثَمَا قُرِئَ هَذَا الْكِتَابُ .

فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى أَنُوشِرَوَانَ وَالْعُظَمَاءُ مَقَالَتَهُ وَمَا سَمِعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ  
 مِنْ مَحَبَّةِ إِبْقَاءِ الذُّكْرِ اسْتَحْسَنُوا طَلِبَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ ، وَقَالَ كِسْرَى :  
 حُبًّا وَكَرَامَةً لَكَ يَا بَرَزَوِيهِ ، إِنَّكَ لِأَهْلٌ أَنْ تُسَعَفَ بِحَاجَتِكَ ،  
 فَمَا أَقَلَّ مَا قَنِعْتَ بِهِ وَأَيْسَرُهُ عِنْدَنَا ! وَإِنْ كَانَ خَطَرُهُ عِنْدَكَ  
 عَظِيمًا . ثُمَّ أَقْبَلَ أَنُوشِرَوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ بَرَزَوِيهِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ  
 عَرَفْتَ مُنَاصِحَةَ بَرَزَوِيهِ لَنَا ، وَتَجَشُّمَهُ<sup>(٢)</sup> الْمَخَافِ وَالْمَهَالِكِ فِيمَا يَقْرِبُهُ  
 مِنَّا ، وَإِتْعَابَهُ بَدَنَهُ فِيمَا يَسُرُّنَا ، وَمَا أَتَى بِهِ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ،  
 وَمَا أَفَادَنَا اللَّهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ الْبَاقِي لَنَا نَفْرَهُ ، وَمَا  
 عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِنَا لِنَجْزِيَهُ بِذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَلَمْ تَمَلْ  
 نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ بَغِيْتَهُ وَطَلِبَتَهُ مِنَّا أَمْرًا يَسِيرًا رَأَاهُ  
 هُوَ الثَّوَابَ مِنَّا لَهُ وَالْكَرَامَةَ الْجَلِيلَةَ عِنْدَهُ ، فَلِئِي أَحَبُّ أَنْ نَتَكَلَّمَ  
 فِي ذَلِكَ وَتُسَعِفَهُ بِحَاجَتِهِ وَطَلِبَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسُرُّنِي ،  
 وَلَا تَدْعُ شَيْئًا مِنَ الْإِجْتِهَادِ وَالْمُبَالَغَةِ إِلَّا بَلَّغْتَهُ ، وَإِنْ نَالَكَ فِيهِ  
 مَشَقَّةٌ . وَهُوَ أَنْ تَكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا لِنَتِكَ الْأَبْوَابِ الَّتِي  
 فِي الْكِتَابِ ، وَتَذَكُرَ فِيهِ فَضْلَ بَرَزَوِيهِ ، وَكَيْفَ كَانَ ابْتِدَاءُ

(١) القدر والشرف . (٢) تجشم الأمر : تكلمه على مشقة .

أمره وشأنه ، وتنسبه إليه وإلى حسبه وصناعته ، وتذكر فيه بعثته إلى بلاد الهند في حاجتنا ، وما أقدنا على يديه من هنالك ، وشرفنا به وفضلنا على غيرنا ، وكيف كان حال برزويه وقدمه من بلاد الهند ، فقتل ما تقدر عليه من التفریط والإطناب في مدحه ، وبالغ في ذلك أفضل المبالغة واجتهد في ذلك اجتهادا يسر برزويه وأهل المملكة . وإن برزويه أهل لذلك مني ومن جميع أهل المملكة ومنك أيضا : لمحبتك للعلوم . وأجهد أن يكون غرض هذا الكتاب الذي ينسب إلى برزويه أفضل من أغراض تلك الأبواب عند الخاص والعام ، وأشد مشاكلة لحال هذا العلم : فإنك أسعد الناس كلهم بذلك : لانفرادك بهذا الكتاب ، وأجعله أول الأبواب . فإذا أنت عملته ووضعته في موضعه فأعلمني لأجمع أهل المملكة وتقرأه عليهم ، فيظهر فضلك واجتهادك في محبتنا ، فيكون لك بذلك نحر . فلما سمع برزويه مقالة الملك نحر له ساجدا ، وقال : أدام الله لك أيها الملك البقاء ، وبلغك أفضل منازل الصالحين في الآخرة والأولى ، لقد شرفتني بذلك شرفا باقيا إلى الأبد . ثم نحر برزويه من



عِنْدِ الْمَلِكِ ، فَوَصَفَ بَرَزَوِيهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ أَبَوَاهُ إِلَى الْمُعَلِّمِ ،  
 وَمُضِيَّهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْعَقَاقِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ ؛ وَكَيْفَ تَعَلَّمَ  
 خُطُوطَهُمْ وَلُغَتَهُمْ ؛ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ أَنْوَشِرَوَانُ إِلَى الْهِنْدِ فِي طَلَبِ  
 الْكِتَابِ . وَلَمْ يَدْعُ مِنْ فَضَائِلِ بَرَزَوِيهِ وَحِكْمَتِهِ وَخَلَائِقِهِ  
 وَمَذْهَبِهِ أَمْرًا إِلَّا نَسَقَهُ ، وَأَتَى بِهِ بِأَجُودِ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّرْحِ .  
 ثُمَّ أَعْلَمَ الْمَلِكُ بِفِرَاقِهِ مِنْهُ . فَجَمَعَ أَنْوَشِرَوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ  
 مَمْلَكَتِهِ ، وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ ؛ وَأَمَرَ بَرَزَوِيَّ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ ،  
 وَبَرَزَوِيَّهُ قَائِمًا إِلَى جَانِبِ بَرَزَجِمَهْرَ ، وَابْتَدَأَ بِوَصْفِ بَرَزَوِيهِ  
 حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ . فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بِرَزَجِمَهْرٍ مِنْ  
 الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ . ثُمَّ أَتَى الْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَهُ عَلَى بَرَزَجِمَهْرَ ،  
 وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ ؛ وَأَمَرَ لَهُ الْمَلِكُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَكُسُوفَةٍ وَحُلِيِّ  
 وَأَوَانٍ ؛ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسُوفَةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ  
 الْمُلُوكِ . ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذَلِكَ بَرَزَوِيَّهُ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ ؛ وَأَقْبَلَ  
 بَرَزَوِيَّهُ عَلَى الْمَلِكِ وَقَالَ : أَدَامَ اللَّهُ لَكَ الْمُلْكَ وَالسَّعَادَةَ فَقَدْ  
 بَلَغْتَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ بِمَا أَمَرْتَ بِهِ بِرَزَجِمَهْرَ مِنْ صُنْعِهِ  
 الْكِتَابِ فِي أَمْرِي وَإِبْتِغَاءِ ذِكْرِي .

بَابُ عَرَضِ الْكِتَابِ . تَرْجَمَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ  
 هَذَا كِتَابُ كِيلَةَ وَدِمْنَةَ ، وَهُوَ مِمَّا وَضَعَهُ عَلِيٌّ الْهِنْدِيُّ مِنَ  
 الْأَمْثَالِ وَالْإِحَادِيثِ الَّتِي أُهْمُوا أَنْ يُدْخِلُوا فِيهَا أَبْلَغَ مَا وَجَدُوا  
 مِنَ الْقَوْلِ فِي النَّحْوِ الَّذِي أَرَادُوا . وَلَمْ تَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ  
 مِلَّةٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ عَنْهُمْ ، وَيَحْتَالُونَ فِي ذَلِكَ بِصُنُوفِ  
 الْحَيْلِ ، وَيَبْتَغُونَ إِحْرَاجَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلَلِ ، حَتَّى كَانَ مِنْ  
 تِلْكَ الْعِلَلِ وَضَعُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ . فَاجْتَمَعَ  
 لَهُمْ بِذَلِكَ خِلَالٌ . أَمَّا هُمْ فَوَجَدُوا مُتَصَرِّفًا فِي الْقَوْلِ وَشِعَابًا  
 يَأْخُذُونَ مِنْهَا . وَأَمَّا الْكِتَابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهُوًّا : فَاخْتَارَهُ الْحُكَمَاءُ  
 لِحِكْمَتِهِ . وَالسُّفَهَاءُ لِللَّهُوِّ ، وَالْمُتَعَلِّمُونَ مِنَ الْأَحْدَاثِ نَاشِطٌ  
 فِي حِفْظِ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرْبِطُ فِي صَدْرِهِ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ ،  
 بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَكْتُوبٍ مَرْقُومٍ . وَكَانَ كَالرَّجُلِ  
 الَّذِي لَمَّا اسْتَجَلَ الرَّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبُوهُ قَدْ كَنَزَ لَهُ كَنْزًا وَعَقْدًا  
 لَهُ عَقُودًا اسْتَغْنَى بِهَا عَنِ الْكَدْحِ فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ ؛  
 فَأَغْنَاهُ مَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِكْمَةِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ  
 وَجُوهِ الْأَدَبِ .

وَيَبْغِي لِمَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ الْوُجُوهَ الَّتِي وُضِعَتْ  
 لَهُ ، وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى مُؤَلَّفُهُ فِيهِ عِنْدَ مَا نَسَبَهُ إِلَى الْبَهَائِمِ  
 وَأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ الَّتِي جَعَلَهَا  
 أَمْثَالًا : فَإِنَّ قَارِنَهُ مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ يَدْرِمَا أُرِيدَ بِتِلْكَ الْمَعَانِي ،  
 وَلَا أَيُّ ثَمَرَةٍ يَجْتَنِي مِنْهَا ، وَلَا أَيُّ نَتِيجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ  
 مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ . وَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ غَايَتُهُ اسْتِثْمَامَ قِرَاءَتِهِ إِلَى  
 آخِرِهِ دُونَ مَعْرِفَةِ مَا يَقْرَأُ مِنْهُ لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ .  
 وَمَنْ اسْتَكْتَرَّ مِنْ جَمْعِ الْعُلُومِ وَقِرَاءَةِ الْكُتُبِ ، مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ  
 الرَّوِيَّةِ فِيهَا يَقْرُوهُ ، كَانَ خَلِيقًا إِلَّا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا أَصَابَ الرَّجُلَ  
 الَّذِي زَعَمَتِ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ اجْتَازَ بَعْضَ الْمَفَاوِزِ ، فَظَهَرَ لَهُ مَوْضِعُ  
 آثَارِ كَثْرٍ ، فَجَعَلَ يَحْفِرُ وَيَطْلُبُ ، فَوَقَعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَيْنِ  
 وَوَرِقٍ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ أَنَا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هَذَا الْمَالِ  
 قَلِيلًا قَلِيلًا طَالَ عَلَيَّ ، وَقَطَعَنِي الْإِشْتِغَالُ بِنَقْلِهِ وَإِحْرَازِهِ عَنِ  
 اللَّذَّةِ بِمَا أَصَبْتُ مِنْهُ ، وَلَكِنْ سَأَسْتَأْجِرُ أَقْوَامًا يَحْمِلُونَهُ إِلَى مَنْزِلِي ،  
 وَأَكُونُ أَنَا آخِرَهُمْ ، وَلَا يَكُونُ بَقِي وَرَائِي شَيْءٌ يَشْغَلُ فِكْرِي

يَنْقُلُهُ ؛ وَأَكُونُ قَدْ اسْتَظْهَرْتُ لِنَفْسِي فِي إِرَاحَةٍ بَدَنِي عَنِ الْكَدِّ  
 بِسِيرِ أُجْرَةٍ أُعْطِيهِمْ إِيَّاهَا . ثُمَّ جَاءَ بِالْحَمَّالِينَ ، فَجَعَلَ يَحْمِلُ كُلَّ وَاحِدٍ  
 مِنْهُمْ مَا يُطِيقُ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَيَفُوزُ بِهِ ؛ حَتَّى لَمْ يَبْقَ  
 مِنَ الْكَنْزِ شَيْءٌ . فَانْطَلَقَ خَلْفَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ : فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مِنْ  
 الْمَالِ شَيْئًا ، لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا . وَإِذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَمَّالِينَ  
 قَدْ فَازَ بِمَا حَمَلَهُ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْعَنَاءُ  
 وَالتَّعَبُ : لِأَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي آخِرِ أَمْرِهِ . وَكَذَلِكَ مَنْ قَرَأَ هَذَا  
 الْكِتَابَ ، وَلَمْ يَفْهَمْ مَا فِيهِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ غَرَضَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ،  
 لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا بَدَأَ لَهُ مِنْ خَطِّهِ وَنَقْشِهِ ؛ كَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَدَّمَ لَهُ  
 جَوْزٌ صَحِيحٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكْسِرَهُ ؛ وَكَانَ أَيْضًا كَالرَّجُلِ  
 الَّذِي طَلَبَ عِلْمَ الْفَصِيحِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ؛ فَأَتَى صَدِيقًا لَهُ مِنْ  
 الْعُلَمَاءِ ، لَهُ عِلْمٌ بِالْفَصَاحَةِ ، فَأَعْلَمَهُ حَاجَتَهُ إِلَى عِلْمِ الْفَصِيحِ ؛  
 فَرَسَمَ لَهُ صَدِيقُهُ فِي صَحِيفَةٍ صَفْرَاءَ فَصِيحِ الْكَلَامِ وَتَصَارِيفَهُ  
 وَوُجُوهُهُ ؛ فَانْصَرَفَ الْمُتَعَلِّمُ إِلَى مَنْزِلِهِ ؛ فَجَعَلَ يُكْثِرُ قِرَاءَتَهَا وَلَا

يَقِفُ عَلَى مَعَانِيهَا . ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مُحْفَلٍ مِنْ أَهْلِ  
 الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، فَأَخَذَ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ ، فَخَرَّتْ لَهُ كَلِمَةٌ أَخْطَأَ فِيهَا ،  
 فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْجَمَاعَةِ : إِنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ ، وَالْوَجْهُ غَيْرُ مَا تَكَلَّمْتَ  
 بِهِ . فَقَالَ وَكَيْفَ أَخْطِئُ وَقَدْ قَرَأْتُ الصَّحِيفَةَ الصَّفْرَاءَ ، وَهِيَ  
 فِي مَنْزِلِي ؟ فَكَانَتْ مَقَالَتُهُ لَهُمْ أَوْجَبَ لِحُجَّةٍ عَلَيْهِ وَزَادَهُ ذَلِكَ  
 قُرْبًا مِنَ الْجَهْلِ وَبُعْدًا مِنَ الْأَدَبِ .

ثُمَّ إِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا فَهَمَ هَذَا الْكِتَابَ وَبَلَغَ نِهَايَةَ عَلَيْهِ فِيهِ ،  
 يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عَلِمَ مِنْهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ ، وَيَجْعَلَهُ مِثَالًا  
 لَا يَحِيدُ عَنْهُ . فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، كَانَ مِثْلَهُ كَالرَّجُلِ الَّذِي  
 زَعَمُوا أَنَّ سَارِقًا تَسَوَّرَ عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَنْزِلِهِ ، فَعَلِمَ بِهِ فَقَالَ :  
 وَاللَّهِ لَا أَسْكُتَنَّ حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ ، وَلَا أَذْعُرُهُ ، وَلَا أُعْلِمُهُ  
 أَنْيَ قَدْ عَلِمْتُ بِهِ . فَإِذَا بَلَغَ مُرَادَهُ قُمْتُ إِلَيْهِ ، فَغَضَّتْ ذَلِكَ  
 عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَمْسَكَ عَنْهُ . وَجَعَلَ السَّارِقُ يَتَرَدَّدُ ، وَطَالَ  
 تَرَدُّدُهُ فِي جَمْعِهِ مَا يَجِدُهُ ، فَغَلَبَ الرَّجُلَ النُّعَاسُ فَنَامَ ، وَفَرَّغَ  
 اللَّصُّ مِمَّا أَرَادَ ، وَأَمَكْنَهُ الذَّهَابُ . وَاسْتَيْقِظَ الرَّجُلُ ، فَوَجَدَ

اللصّ قَدْ أَخَذَ الْمَتَاعَ وَفَازَ بِهِ . فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يَلُومُهَا ،  
وَعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ بِاللَّصِّ : إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ فِي أَمْرِهِ  
مَا يَجِبُ . فَالْعِلْمُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعَمَلِ ، وَهُوَ كَالشَّجَرَةِ وَالْعَمَلُ بِهِ  
كَالثَّمَرَةِ . وَإِنَّمَا صَاحِبُ الْعِلْمِ يَقُومُ بِالْعَمَلِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ ، وَإِنْ  
لَمْ يَسْتَعْمِلْ مَا يَعْلَمُ لَا يُسَمَّى عَالِمًا . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَالِمًا  
بِطَرِيقِ مَخُوفٍ ، ثُمَّ سَلَكَ عَلَى عِلْمٍ بِهِ ، سُمِّيَ جَاهِلًا ، وَلَعَلَّهُ إِنْ  
حَاسَبَ نَفْسَهُ وَجَدَهَا قَدْ رَكِبَتْ أَهْوَاءَ هَجَمَتْ بِهَا فِيمَا هُوَ  
أَعْرَفُ بِضَرَرِهَا فِيهِ وَأَذَاهَا مِنْ ذَلِكَ السَّالِكِ فِي الطَّرِيقِ  
الْمَخُوفِ الَّذِي قَدْ جَهَلَهُ . وَمَنْ رَكِبَ هَوَاهُ وَرَفَضَ مَا يَنْبَغِي  
أَنْ يَعْمَلَ بِمَا جَرَّبَهُ هُوَ أَوْ أَعْلَمَهُ بِهِ غَيْرُهُ ، كَانَ كَالْمَرِيضِ الْعَالِمِ  
بِرَدِيءِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَجَيِّدِهِ وَخَفِيفِهِ وَثَقِيلِهِ ، ثُمَّ يَحْمِلُهُ الشَّرُّ  
عَلَى أَكْلِ رَدِيئِهِ وَتَرْكِ مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى النِّجَاةِ وَالتَّخْلِصِ مِنْ  
عَاتِبِهِ . وَأَقْلُ النَّاسِ عُذْرًا فِي اجْتِنَابِ مَحْمُودِ الْأَفْعَالِ وَارْتِكَابِ  
مَذْمُومِهَا مَنْ أَبْصَرَ ذَلِكَ وَمِيزَهُ وَعَرَفَ فَضْلَ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضِ  
كَأَنَّهُ لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا بَصِيرٌ وَالْآخَرُ أَعْمَى سَاقَهُمَا الْأَجَلُ

إِلَى حُفْرَةٍ فَوْقَهَا فِيهَا ، كَانَا إِذَا صَارَا فِي قَاعِهَا بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛  
غَيْرَ أَنَّ الْبَصِيرَ أَقْلٌ عُدْرًا عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الضَّرِيرِ : إِذْ كَانَتْ لَهُ  
عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ؛ وَذَلِكَ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ جَاهِلٌ غَيْرُ عَارِفٍ .

وَعَلَى الْعَالِمِ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَيُودِبَهَا بِعِلْمِهِ ، وَلَا تَكُونَ غَايَتُهُ  
اِقْتِنَاؤُهُ الْعِلْمَ لِمُعَاوَنَةِ غَيْرِهِ ، وَيَكُونُ كَالْعَيْنِ الَّتِي يَشْرَبُ النَّاسُ  
مَاءَهَا وَلَيْسَ لَهَا فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الْمَنْفَعَةِ ، وَكَدُودَةِ الْقِرْزِ الَّتِي  
تُحْكَمُ صَنْعَتُهُ وَلَا تَنْتَفِعُ بِهِ . فَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَبْدَأَ  
بِعِظَةِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقْبِسَهُ<sup>(١)</sup> ؛ فَإِنَّ خِلَالَ مَا يَنْبَغِي  
لِصَاحِبِ الدُّنْيَا أَنْ يَقْتَنِيَهَا وَيُقْبِسَهَا : مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْمَالُ . وَمِنْهَا  
اتِّخَاذُ الْمَعْرُوفِ . وَلَيْسَ لِلْعَالِمِ أَنْ يَعِيبَ أَمْرًا بِشَيْءٍ فِيهِ مِثْلُهُ ،  
وَيَكُونُ كَالْأَعْمَى الَّذِي يُعِيرُ الْأَعْمَى بِعَمَاهُ . وَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ  
أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ غَايَةٌ وَنِهَآيَةٌ ، وَيَعْمَلُ بِهَا ، وَيَقِفَ عِنْدَهَا ؛  
وَلَا يَتَمَادَى فِي الطَّلَبِ ؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ : مَنْ سَارَ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ

(١) أقبسه العلم رقبه إياه يقبسه : أفاده إياه ، ويقال : اقتبست منه علماً رقبست استفدت

يُوشِكُ أَنْ تَنْقَطِعَ بِهِ مَطِيئَتُهُ ، وَأَنَّهُ كَانَ حَقِيقًا <sup>(١)</sup> إِلَّا يَعْنِي نَفْسَهُ  
 فِي طَلَبِ مَا لَا حَدَّ لَهُ ، وَمَا لَمْ يَنْتَلِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَلَا يَتَأَسَفَ  
 عَلَيْهِ ، وَلَا يَكُونُ لِدُنْيَاهُ مَوْثِرًا عَلَى آخِرَتِهِ : فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُعَلِّقْ قَلْبَهُ  
 بِالْغَايَاتِ قَلَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ مُفَارَقَتِهَا . وَقَدْ يُقَالُ فِي أَمْرَيْنِ  
 إِنَّهُمَا يَجْمَلَانِ بِكُلِّ أَحَدٍ <sup>(٢)</sup> : أَحَدُهُمَا النَّسْكُ وَالْآخَرُ الْمَالُ الْحَلَالُ  
 وَلَا يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يُؤْتَبَ نَفْسَهُ عَلَى مَا فَاتَهُ وَابْتَسَ فِي مَقْدُورِهِ ؛  
 فَرُبَّمَا أَتَاكَ اللَّهُ لَهُ مَا يَهْنَأُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِهِ . وَمِنْ أَمْثَالِ  
 هَذَا أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِهِ فَاقَةٌ <sup>ال</sup> وَجُوعٌ وَعُزَّى ، فَأَلْجَأَهُ ذَلِكَ إِلَى  
 أَنْ سَأَلَ أَقَارِبَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ يَعُودُ  
 بِهِ عَلَيْهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنْزِلِهِ إِذْ بَصُرَ سَارِقٍ فِيهِ ؛  
 فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فِي مَنْزِلِي شَيْءٌ أَخَافُ عَلَيْهِ : فَلِيَجْهَدِ السَّارِقُ  
 جُهْدَهُ . فَبَيْنَمَا السَّارِقُ يَجُولُ إِذْ وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى خَائِيَةٍ فِيهَا  
 حِنْطَةٌ ، فَقَالَ السَّارِقُ : وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ عَنَائِي اللَّيْلَةَ  
 بَاطِلًا . وَلَعَلِّي لَا أَصِلُ إِلَى مَوْضِعِ آخِرٍ ، وَلَكِنْ سَأَخِمْ هَذِهِ

(١) يتعبها . (٢) العبادة . (٣) بصربه كظرف وفرح أبصره .



الْحِنْطَةَ . ثُمَّ بَسَطَ قَيْصَهُ لِيَصُبَّ عَلَيْهِ الْحِنْطَةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ :  
 أَيَذْهَبُ هَذَا بِالْحِنْطَةِ وَلَيْسَ وَرَائِي سِوَاهَا ؟ فَيَجْتَمِعُ عَلَيَّ مَعَ  
 الْعُرَى ذَهَابُ مَا كُنْتُ أَقْتَاتُ بِهِ . وَمَا تَجْتَمِعُ وَاللَّهِ هَاتَانِ  
 الْخَلَّتَانِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَهْلَكَاهُ . ثُمَّ صَاحَ بِالسَّارِقِ ، وَأَخَذَ هِرَاوَةً<sup>(١)</sup>  
 كَانَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْسَّارِقِ حِيلَةٌ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ ، وَتَرَكَ  
 قَيْصَهُ وَنَجَا بِنَفْسِهِ ، وَغَدَا الرَّجُلُ بِهِ كَاسِيًا ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ  
 يَرْكَنَ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَيَدْعَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَذَرِ وَالْعَمَلِ فِي  
 مِثْلِ هَذَا لِصَلَاحِ مَعَاشِهِ ، وَلَا يَنْظُرَ إِلَى مَنْ تَوَاتِيهِ الْمَقَادِيرُ  
 وَتُسَاعِدُهُ عَلَى غَيْرِ التَّكَاسِ مِنْهُ : لِأَنَّ أَوْلِيكَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ ،  
 وَالْجُمْهُورُ مِنْهُمْ مَنْ أَتَعَبَ نَفْسَهُ فِي الْكَدِّ وَالسَّعْيِ فِيمَا يُصْلِحُ  
 أَمْرَهُ وَيُنَالُ بِهِ مَا أَرَادَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَرِصُهُ عَلَى مَا طَابَ  
 كَسْبُهُ وَحَسَنَ نَفْعُهُ ، وَلَا يَتَعَرَّضَ لِمَا يَجْلِبُ عَلَيْهِ الْعَنَاءُ  
 وَالشَّقَاءُ ، فَيَكُونُ كَالْحِمَامَةِ الَّتِي تُفْرِخُ الْفِرَاحَ فَتُوَخِّدُ وَتُدْبِجُ ،  
 ثُمَّ لَا يَمْنَعُهَا ذَلِكَ أَنْ تَعُودَ فَتُفْرِخَ مَوْضِعَهَا ، وَتَقِيمَ بِمَكَانِهَا فَتُوَخِّدُ

(١) الهراوة بالكسر : العصا الضخمة .

الثَّانِيَةُ مِنْ فِرَاحِهَا فَتُذَبِّحُ . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ  
لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا يُوقَفُ عَلَيْهِ . وَمَنْ تَجَاوَزَ فِي أَشْيَاءِ حَدِّهَا  
أَوْشَكَ أَنْ يَلْحَقَهُ التَّقْصِيرُ عَنْ بُلُوغِهَا . وَيُقَالُ : مَنْ كَانَ سَعْيُهُ  
لِآخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ فَحْيَاثُهُ لَهُ وَعَلَيْهِ . وَيُقَالُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ يَجِبُ  
عَلَى صَاحِبِ الدُّنْيَا إِضْلَاحُهَا وَبَذْلُ جُهِدِهِ فِيهَا : مِنْهَا أَمْرُ  
مَعِيشَتِهِ ، وَمِنْهَا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمِنْهَا مَا يُكْسِبُهُ الذِّكْرُ  
الْجَمِيلَ بَعْدُ . وَقَدْ قِيلَ فِي أُمُورٍ مِنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ عَمَلٌ .  
مِنْهَا التَّوَانِي ، وَمِنْهَا تَضْيِيعُ الْفُرْصِ ، وَمِنْهَا التَّضَدِيقُ لِكُلِّ  
مُخْبِرٍ . فُرْبٌ مُخْبِرٌ بِشَيْءٍ عَقْلُهُ وَلَا يَعْرِفُ اسْتِقَامَتَهُ فَيُصَدِّقُهُ .  
وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لِهَوَاهُ مَتَّهِمًا ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ  
حَدِيثًا ، وَلَا يَتَمَادَى فِي الْخَطَأِ إِذَا ظَهَرَ لَهُ خَطْوُهُ وَلَا يُقَدِّمُ  
عَلَى أَمْرٍ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الصَّوَابُ ، وَتَتَضَحَّ لَهُ الْحَقِيقَةُ ، وَلَا  
يَكُونُ كَالرَّجُلِ الَّذِي يَحِيدُ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَيَسْتَمِرُّ عَلَى الضَّلَالِ ،  
فَلَا يَزْدَادُ فِي السَّيْرِ إِلَّا جَهْدًا ، وَعَنِ الْقَصْدِ إِلَّا بُعْدًا ،  
وَكَالرَّجُلِ الَّذِي تَقْذَى عَيْنُهُ فَلَا يَزَالُ يُحْكِمُهَا ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ

الْحَكُّ سَبَبًا لِدَهَابِهَا . وَيَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُصَدِّقَ بِالْقَضَاءِ  
وَالْقَدَرِ ، وَيَأْخُذَ بِالْحَزْمِ ، وَيُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَلَا  
يَلْتَمِسَ صَلاَحَ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ  
خَلِيقًا أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ التَّاجِرَ مِنْ رَفِيقِهِ .

فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ تَاجِرٌ ، وَكَانَ لَهُ شَرِيكٌ ، فَاسْتَأْجَرَا  
حَانُوتًا ، وَجَعَلَا مَتَاعَهُمَا فِيهِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ الْمَنْزِلِ مِنَ  
الْحَانُوتِ ؛ فَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَسْرِقَ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ ؛  
وَمَكَرَ الْحِيَلَةَ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنْ أَتَيْتُ لَيْلًا لَمْ أَمِنْ أَنْ أَحْمِلَ  
عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِي أَوْ رِزْمَةً مِنْ رِزْمِي وَلَا أُعْرِفَهَا ؛ فَيَذْهَبَ  
عَنِّي وَتَعْبِي بَاطِلًا . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ ، وَأَلْقَاهُ عَلَى الْعِدْلِ الَّذِي  
أَضْمَرَ أَخْذَهُ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ  
لِيُصْلِحَ أَعْدَالَهُ ، فَوَجَدَ رِدَاءَ شَرِيكِهِ عَلَى بَعْضِ أَعْدَالِهِ ، فَقَالَ :  
وَاللَّهِ هَذَا رِدَاءُ صَاحِبِي ؛ وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ . وَمَا الرَّأْيُ  
أَنْ أَدْعَهُ هَاهُنَا ؛ وَلَكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزْمِهِ ؛ فَلَعَلَّهُ يَسْبِقُنِي إِلَى

(١) الأعدال : الأمتعة . (٢) الرزمة بالكسر : هي التي فيها ضروب من الثياب .

الْحَانُوتِ فَيَجِدُهُ حَيْثُ يُحِبُّ . ثُمَّ أَخَذَ الرَّدَاءَ فَأَلْقَاهُ عَلَى عِدْلِ  
 مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ ، وَأَقْفَلَ الْحَانُوتَ ، وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ . فَلَمَّا  
 جَاءَ اللَّيْلُ أَتَى رَفِيقَهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَّاهُ <sup>(١)</sup> عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ ،  
 وَضَمِنَ لَهُ جُعْلًا عَلَى حَمْلِهِ ؛ فَصَارَ إِلَى الْحَانُوتِ ؛ فَالْتَمَسَ  
 الْإِزَارَ فِي الظِّلْمَةِ فَوَجَدَهُ عَلَى الْعِدْلِ ؛ فَاحْتَمَلَ ذَلِكَ الْعِدْلَ ،  
 وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَالرَّجُلُ ، وَجَعَلَا يَتَرَاوِحَانِ عَلَى حَمْلِهِ ؛ حَتَّى أَتَى  
 مَنْزِلَهُ ، وَرَمَى نَفْسَهُ تَعِبًا . فَلَمَّا أَصْبَحَ أَفْتَقَدَهُ فَإِذَا هُوَ بَعْضُ  
 أَعْدَالِهِ ؛ فَندِمَ أَشَدَّ النَّدَامَةِ . ثُمَّ أَنْطَلَقَ نَحْوَ الْحَانُوتِ ، فَوَجَدَ  
 شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ فَفَتَحَ الْحَانُوتَ وَوَجَدَ الْعِدْلَ مَفْقُودًا :  
 فَاغْتَمَّ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا ؛ وَقَالَ : وَاسْوَأَ تَأَهُ مِنْ رَفِيقِي صَالِحِ  
 قَدْ ائْتَمَنِي عَلَى مَالِهِ وَخَلَّفَنِي فِيهِ ! مَاذَا يَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ ؟  
 وَلَسْتُ أَشْكُ فِي تَهْمَتِهِ إِيَّايَ . وَلَكِنْ قَدْ وَطَّنتُ نَفْسِي عَلَى  
 غَرَامَتِهِ . ثُمَّ أَتَى صَاحِبَهُ فَوَجَدَهُ مُغْتَمًّا ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ؛ فَقَالَ  
 إِنِّي قَدْ افْتَقَدْتُ الْأَعْدَالَ ، وَفَقَدْتُ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِكَ ، وَلَا

أَعْلَمُ بِسَبَبِهِ ؛ وَإِنِّي لَا أَشْكُ فِي تَهْمَتِكَ إِيَّايَ ، وَإِنِّي قَدْ وَطَّنتُ  
 نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي لَا تَغْتَمَّ : فَإِنَّ الْحَيَاةَ  
 شَرُّ مَا عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ ، وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ لَا يُودِيَانِ إِلَى خَيْرٍ ؛  
 وَصَاحِبَهُمَا مَغْرُورًا بَدَأَ ، وَمَا عَادَ وَبَالَ الْبَغْيِ إِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ ؛  
 وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ وَأَخْتَالَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَكَيْفَ  
 كَانَ ذَلِكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ رَفِيقُهُ :  
 مَا مَثَلُكَ إِلَّا مَثَلُ اللَّصِّ وَالتَّاجِرِ . فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟  
 قَالَ : زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا كَانَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ خَاطِبَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَمْلُوءَةٌ  
 حِنْطَةً ، وَالأُخْرَى مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا . فَتَرَقَّبَهُ بَعْضُ اللُّصُوصِ  
 زَمَانًا ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ الأَيَّامِ تَشَاغَلَ التَّاجِرُ عَنِ الْمَنْزِلِ ؛  
 فَتَغَفَّلَهُ اللَّصُّ ، وَدَخَلَ الْمَنْزِلَ ، وَكَمَّنَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهِ . فَلَمَّا  
 هَمَّ بِأَخْذِ الْحَاطِيَةِ الَّتِي فِيهَا الدَّنَانِيرُ أَخَذَ الَّتِي فِيهَا الْحِنْطَةُ ،  
 وَظَنَّهَا الَّتِي فِيهَا الذَّهَبُ ، وَلَمْ يَزَلْ فِي كَدٍّ وَتَعَبٍ حَتَّى أَتَى بِهَا  
 مَنْزِلَهُ فَلَمَّا فَتَحَهَا وَعَلِمَ مَا فِيهَا نَدِمَ . قَالَ لَهُ الْخَائِنُ : مَا أَبْعَدَتْ

(١) أشعر . (٢) الحاطية الجبأى الجرة الضخمة وأصاها الحمز لأنها من خبا . (٣) اعتم عقله .

المثل ، وَلَا تَجَاوَزْتَ الْقِيَّاسَ ، وَقَدْ اعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي وَخَطِيئِي  
عَلَيْكَ ، وَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا كَهَذَا . غَيْرَ أَنَّ النَّفْسَ  
الرَّدِيئَةَ تَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ . فَقَبِلَ الرَّجُلُ مَعْدِرَتَهُ ، وَأَضْرَبَ عَنِ  
تَوْبِيخِهِ وَعَنِ الثُّقَّةِ بِهِ ، وَنَدِمَ هُوَ عِنْدَ مَا عَايَنَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ  
وَتَقْدِيمِ جَهْلِهِ .

وَقَدْ يَدْبِغِي لِلنَّاطِرِ فِي كِتَابِنَا هَذَا أَلَّا تَكُونَ غَايَتُهُ التَّصَفُّحَ  
لِتَزَاوِيَقَهُ ، بَلْ يُشْرِفُ<sup>(١)</sup> عَلَى مَا يَتَّضَمُّ مِنَ الْأَمْثَالِ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ  
مِنْهُ ، وَيَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مَثَلٍ وَكَلِمَةٍ ، وَيُعْمَلُ فِيهَا رَوِيَّتُهُ ،  
وَيَكُونُ مِثْلَ أَصْغَرِ الْإِخْوَةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفَ لَهُمْ أَبُوهُمْ الْمَالَ  
الكَثِيرَ ، فَتَنَازَعُوهُ<sup>(٢)</sup> بَيْنَهُمْ ، فَأَمَّا الْكَبِيرَانِ فَيُنْفِقُهُمَا أَسْرَعًا فِي إِتْلَافِهِ  
وَإِنْفَاقِهِ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ ، وَأَمَّا الصَّغِيرُ فَيُنْفِقُهُ عِنْدَ مَا نَظَرَ مَا صَارَ إِلَيْهِ  
أَخْوَاهُ مِنْ إِسْرَافِهِمَا وَتَخْلِيهِمَا مِنَ الْمَالِ ، أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ  
يُسَاوِرُهَا وَقَالَ : يَا نَفْسِي إِتْمَا الْمَالَ يَطْلُبُهُ صَاحِبُهُ ، وَيَجْمَعُهُ  
مِنْ كُلِّ وَجْهِ : لِبَقَاءِ حَالِهِ ، وَصَلَاحِ مَعَاشِهِ وَدُنْيَاةِ ، وَشَرَفِ

(١) أصل معناه يطلع عليه من فوق والمراد هنا يدقق ويتأمل . (٢) تنازعه : تناولوه .

مَنْزَلَتِهِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، وَأَسْتِغْنَانِهِ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَصَرَفِهِ فِي وَجْهِهِ : مِنْ صَلَاةِ الرَّحْمِ ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْوَلَدِ ، وَالْإِفْضَالِ عَلَى الْإِخْوَانِ . فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَا يُنْفِقُهُ فِي حُقُوقِهِ ، كَانَ كَالَّذِي يُعَدُّ فَقِيرًا وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا . وَإِنْ هُوَ أَحْسَنُ إِمْسَاكُهُ وَالْقِيَامَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَعْدَمِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا مِنْ دُنْيَا تَبَقَى عَلَيْهِ ، وَحَمْدٍ يُضَافُ إِلَيْهِ ، وَمَتَى قَصَدَ إِنْفَاقَهُ عَلَى غَيْرِ الْوُجُوهِ الَّتِي عَلِمْتَ ، لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُتْلِفَهُ وَيَبْقَى عَلَى حَسْرَةٍ وَتَدَامَةٍ . وَلَكِنَّ الرَّأْيَ أَنَّ أَمْسِكَ هَذَا الْمَالَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنِي اللَّهُ بِهِ : وَيُغْنِي أَخَوَى عَلَى يَدَيَّ : فَإِنَّمَا هُوَ مَالُ أَبِي وَمَالُ أَبِيهِمَا . وَإِنَّ أَوْلَى الْإِنْفَاقِ عَلَى صَلَاةِ الرَّحْمِ وَإِنْ بَعُدَتْ ، فَكَيْفَ بِأَخَوَى ؟ فَانْفَذَ فَأَحْضَرَهُمَا وَشَاطَرَهُمَا مَالَهُ ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى قَارِي هَذَا الْكِتَابِ أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ ضَجْرٍ ، وَيَلْتَمِسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهِ ، وَلَا يَظُنَّ أَنَّ نَتِيجَتَهُ الْإِخْبَارُ عَنْ حِيلَةٍ بِهِمَتَيْنِ أَوْ مُحَاوَرَةٍ سَبْعٍ لِثَوْرٍ : فَيَنْصَرِفَ بِذَلِكَ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ . وَيَكُونُ مَثَلُهُ مَثَلِ الصَّيَّادِ الَّذِي كَانَ فِي بَعْضِ الْخُلُجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ

(١) فِي زَوْرِقٍ فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَرْضِ الْمَاءِ صَدْفَةً تَتَلَا لَا حُسْنًا ،  
فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ وَكَانَ قَدِ اتَّقَى شَبَكَّتَهُ فِي الْبَحْرِ ،  
فَاشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوَّتَ يَوْمِهِ ، نَحَلَهَا وَقَدَفَ نَفْسَهُ  
فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدْفَةَ ، فَلَمَّا أَنْجَرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لِأَشْيَاءٍ  
فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ ، وَتَأَسَّفَ  
عَلَى مَافَاتِهِ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي تَنَحَّى عَنِ ذَلِكَ الْمَكَانِ ،  
وَأَتَى شَبَكَّتَهُ ، فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا ، وَرَأَى أَيْضًا صَدْفَةً سَنِيةً ،  
فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا ، وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا ، فَتَرَكَهَا . فَاجْتَازَ بِهَا  
بَعْضُ الصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا .  
وَكَذَلِكَ الْجُهَالُ إِذَا اغْفَلُوا أَمْرَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَتَرَكُوا  
الْوُقُوفَ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهِ ، وَأَخَذُوا بِظَاهِرِهِ . وَمَنْ صَرَفَ  
هَمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي أَبْوَابِ الْهَزْلِ ، كَانَ كَرَجُلٍ أَصَابَ أَرْضًا  
طَيِّبَةً حُرَّةً وَحَبًّا صَحِيحًا ، فَزَرَعَهَا وَسَقَاهَا ، حَتَّى إِذَا قُرِبَ خَيْرُهَا



وَأَيُّنَعَتْ ، تَشَاغَلَ عَنْهَا بِجَمْعِ مَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرِ وَقَطَعَ الشَّوْكَ ،  
فَأَهْلَكَ بِتَشَاغُلِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ فَايِدَةً وَأَجْمَلَ عَائِدَةً .

وَيَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةٍ  
أَعْرَاضٍ : أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَهَائِمِ  
غَيْرِ النَّاطِقَةِ لِيَسَارِعَ إِلَى قِرَاءَتِهِ أَهْلُ الْهَزْلِ مِنَ الشُّبَّانِ ،  
فَتُسْتَمَالَ بِهِ قُلُوبُهُمْ : لِأَنَّهُ الْغَرَضُ بِالنَّوَادِرِ مِنْ حِيلِ الْحَيَوَانِ .  
وَالثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ الْحَيَوَانِ بِصُنُوفِ الْأَصْبَاغِ وَالْأَلْوَانِ :  
لِيَكُونَ أُنْسًا لِقُلُوبِ الْمُلُوكِ ، وَيَكُونَ حِرْصُهُمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ لِلنُّزْهَةِ  
فِي تِلْكَ الصُّورِ . وَالثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ : فَيَتَّخِذُهُ  
الْمُلُوكُ وَالسُّوقَةَ ، فَيَكْتَرُ بِذَلِكَ انْتِسَاخُهُ ، وَلَا يَبْطُلُ فَيَخْلُقَ عَلَى  
مُرُورِ الْأَيَّامِ ، وَلِيَنْتَفِعَ بِذَلِكَ الْمُصَوِّرُ وَالنَّاسِخُ أَبَدًا . وَالْغَرَضُ  
الرَّابِعُ ، وَهُوَ الْأَقْصَى ، وَذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِالْفَيَّاسُوفِ خَاصَّةً .

## بَابُ بَرَزَوِيهِ تَرْجَمَهُ بَرْزَجَمِهْرُ بْنُ الْبَخْتِكَانِ

قَالَ بَرَزَوِيهِ رَأْسُ أَطِبَّاءِ فَارِسَ ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى انْتِسَاخَ  
 هَذَا الْكِتَابِ ، وَتَرْجَمَهُ مِنْ كُتُبِ الْهِنْدِ ( وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ ذَلِكَ  
 مِنْ قَبْلُ ) : أَبِي كَانَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَكَانَتْ أُمِّي مِنْ عُظَمَاءِ بِيُوتِ  
 الزَّمَازِمَةِ . وَكَانَ مَنْشِيٌّ فِي نِعْمَةٍ كَامِلَةٍ ، وَكُنْتُ أَكْرَمَ وَلَدِ أَبِي  
 عَلَيْهِمَا ، وَكَانَا بِي أَشَدَّ احْتِفَاطًا مِنْ دُونِ إِخْوَتِي ، حَتَّى إِذَا  
 بَلَغْتُ سَبْعَ سِنِينَ ، أَسْلَمَانِي إِلَى الْمُؤَدِّبِ ، فَلَمَّا حَدِثْتُ  
 الْكِتَابَةَ ، شَكَرْتُ أَبِي ، وَنَظَرْتُ فِي الْعِلْمِ ، فَكَانَ أَوَّلَ  
 مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ ، وَحَرَصْتُ عَلَيْهِ ، عِلْمُ الطَّبِّ : لِأَنِّي كُنْتُ عَرَفْتُ  
 فَضْلَهُ . وَكَلَّمَا أَزْدَدْتُ مِنْهُ عِلْمًا أَزْدَدْتُ فِيهِ حِرْصًا ، وَلَهُ اتِّبَاعًا .  
 فَلَمَّا هَمَّتُ نَفْسِي بِمُدَاوَاةِ الْمَرْضَى ، وَعَزَمْتُ عَلَى ذَلِكَ أَمْرَتَهَا  
 ثُمَّ خَيْرَتَهَا بَيْنَ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا النَّاسُ ، وَفِيهَا يَرْغَبُونَ ،  
 وَلَهَا يَسْعَوْنَ . فَقُلْتُ : أَيُّ هَذِهِ الْخِلَالِ ابْتَغِي فِي عِلْمِي ؟ وَأَيُّهَا  
 أُخْرَى بِي فَأَدْرِكُ مِنْهُ حَاجَتِي ؟ الْمَالُ ، أَمْ الذَّكْرُ ، أَمْ اللَّذَاتُ

أم الآخرة ؟ وكنت وجدت في كتب الطب أن أفضل الأطباء  
 من واطب على طبه ، لا يتغنى إلا الآخرة . فرأيت أن أطلب  
 الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة : لئلا أكون كالتاجر الذي باع  
 ياقوتة ميمنة بخزرة لا تساوي شيئاً ، مع أنني قد وجدت في كتب  
 الأولين أن الطبيب الذي يتغنى بطبه أجر الآخرة لا ينقصه  
 ذلك حظه من الدنيا . وإن مثله مثل الزارع الذي يعمر أرضه  
 ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ، ثم هي لا محالة نابت فيها ألوان  
 العشب مع يانع الزرع . فاقبلت على مداواة المرضى ابتغاء أجر  
 الآخرة ، فلم أدع مريضاً أرجو له البرء ، وآخر لا أرجو له  
 ذلك ، إلا أنني أطمع أن يخف عنه بعض المرض ، إلا بالفت  
 في مداواته ما أمكنتي القيام عليه بنفسى ، ومن لم أقدر على  
 القيام عليه وصفت له ما يصلح ، وأعطيته من الدواء ما يعالج  
 به . ولم أزد ممن فعلت معه ذلك جزاءً ولا مكافأة ، ولم أغبط  
 أحداً من نظرائي الذين هم دوني في العلم وفوق في الجاه والمال  
 وغيرهما مما لا يجوز به صلاح ولا حسن سيرة قولاً ولا عملاً .

(١)  
 وَلَمَّا تَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَى غَشْيَانِهِمْ وَتَمَنَّتْ مَنَازِلَهُمْ أَثَبْتُ لَهَا الْخُصُومَةَ؛  
 فَقُلْتُ لَهَا : يَا نَفْسُ ، أَمَا تَعْرِفِينَ نَفْعَكَ مِنْ ضُرِّكَ ؟ أَلَا تَنْتَهِينَ  
 عَنْ تَمَنِّي مَا لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ إِلَّا قَلَّ انْتِفَاعُهُ بِهِ ، وَكَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ ،  
 وَاشْتَدَّتْ الْمُتُونَةُ عَلَيْهِ وَعَظُمَتِ الْمَشَقَّةُ لَدَيْهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ ؟ يَا نَفْسِي ،  
 أَمَا تَذَكِّرِينَ مَا بَعْدَ هَذِهِ الدَّارِ : فَيُنْسِيكَ مَا تَشْرَهينَ إِلَيْهِ مِنْهَا ؟  
 أَلَا تَسْتَحِينِ مِنْ مُشَارَكَةِ الْفُجَّارِ فِي حُبِّ هَذِهِ الْعَاجِلَةِ الْفَانِيَةِ  
 الَّتِي مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا فَلَيْسَ لَهُ ، وَلَيْسَ يَبَاقِ عَلَيْهِ ؛  
 فَلَا يَأْلُفُهَا إِلَّا الْمُغْتَرُونَ الْجَاهِلُونَ ؟ يَا نَفْسُ انظُرِي فِي أَمْرِكَ ،  
 وَانصُرِي عَنِ هَذَا السَّفْهِ ، وَأَقْبِلِي بِقُوَّتِكَ وَسَعِيكَ عَلَى تَقْدِيمِ  
 الْخَيْرِ ، وَإِيَّاكَ وَالشَّرَّ ، وَأَذْكُرِي أَنَّ هَذَا الْجَسَدَ مَوْجُودٌ لِآفَاتٍ ،  
 وَأَنَّهُ مَمْلُوءٌ أَخْلَاطًا فَاسِدَةً قَدِيرَةً ، تَعْقِدُهَا الْحَيَاةُ ، وَالْحَيَاةُ إِلَى  
 نَفَادٍ ؛ كَالصَّنَمِ الْمَفْصَلَةِ أَعْضَاؤُهُ إِذَا رَكِبَتْ وَوَضِعَتْ ، يَجْمَعُهَا  
 مِسْمَارٌ وَاحِدٌ ، وَيَضُمُّ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا أَخَذَ ذَلِكَ الْمِسْمَارُ  
 تَسَاقَطَتِ الْأَوْصَالُ . يَا نَفْسُ ، لَا تَغْتَرِّي بِصُحْبَةِ أَحِبَّائِكَ

وَأَصْحَابِكَ ، وَلَا تَحْرِصِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّ الْحَرْصِ : فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ -  
 عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الشَّرُورِ - كَثِيرَةٌ الْمُتُونَةُ ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ الْفِرَاقُ .  
 وَمِثْلُهَا مِثْلُ الْمِغْرَفَةِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي جِدَّتِهَا لِسُخُونَةِ الْمَرْقِ ،  
 فَإِذَا انْكَسَرَتْ صَارَتْ وَقُودًا . يَا نَفْسُ ، لَا يَحْمِلَنَّكَ أَهْلُكَ وَأَقَارِبُكَ  
 عَلَى جَمْعِ مَا تَهْلِكُ فِيهِ ، إِرَادَةَ صَلَاتِهِمْ ، فَإِذَا أَنْتِ كَالدُّخْنَةِ  
 الْأَرْجَةِ الَّتِي تَحْتَرِقُ وَيَذْهَبُ آخَرُونَ بِرِيحِهَا . يَا نَفْسُ ، لَا يَبْعُدُ  
 عَلَيْكَ أَمْرُ الْآخِرَةِ فَتَمِيلِي إِلَى الْعَاجِلَةِ فِي اسْتِعْجَالِ الْقَلِيلِ وَبَيْعِ  
 الْكَثِيرِ بِالْيَسِيرِ ، كَالتَّاجِرِ الَّذِي كَانَ لَهُ مِلءُ بَيْتٍ مِنَ الصَّنَدَلِ ،  
 فَقَالَ : إِنْ بَعْتَهُ وَزَنَا طَالَ عَلَيَّ ، فَبَاعَهُ جُزْأً بِأَبْخَسِ الثَّمَنِ .  
 وَقَدْ وَجَدْتُ آرَاءَ النَّاسِ مُخْتَلِفَةً وَأَهْوَاءَهُمْ مُتَبَايِنَةً ، وَكُلُّ عَلَى  
 كُلِّ رَادٍ ، وَلَهُ عَدُوٌّ وَمُغْتَابٌ ، وَلِقَوْلِهِ مُخَالِفٌ . فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ  
 لَمْ أَجِدْ إِلَى مُتَابَعَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَبِيلًا ، وَعَرَفْتُ أَنَّي إِنْ صَدَقْتُ  
 أَحَدًا مِنْهُمْ لَا عِلْمَ لِي بِحَالِهِ ، كُنْتُ فِي ذَلِكَ كَالْمُصَدِّقِ الْمَخْدُوعِ

(١) الدخنة : بخور تجر به الثياب أو البيت .

(٢) ذات الرائحة الطيبة .

(٣) مثلث الفاء أي بالحدس والتقدير .

الَّذِي زَعَمُوا فِي شَأْنِهِ أَنَّ سَارِقًا عَلَا ظَهْرَ بَيْتِ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ،  
وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَاسْتَيْقَظَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مِنْ  
حَرَكَةِ أَقْدَامِهِمْ ، فَعَرَفَ أَمْرَاتَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا : رُوَيْدًا إِنِّي  
لَأَحْسِبُ اللَّصُوصَ عَلَاؤُا الْبَيْتِ ، فَأَيْقِظِينِي بِصَوْتِ يَسْمَعُهُ  
اللُّصُوصُ وَقُولِي أَلَا تُخْبِرُنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ عَنْ أَمْوَالِكَ هَذِهِ الْكَثِيرَةِ  
وَكُنُوزِكَ الْعَظِيمَةِ ؟ فَإِذَا نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ فَأَلْحِي عَلَيَّ  
بِالسُّؤَالِ . فَفَعَلَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ وَسَأَلَتْهُ كَمَا أَمَرَهَا ، وَأَنْصَتَتْ  
اللُّصُوصَ إِلَى سَمَاعِ قَوْلِهِمَا . فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ : أَيُّهَا الْمَرْأَةُ ، قَدْ  
سَأَلْتُ الْقَدْرَ إِلَى رِزْقٍ وَاسِعٍ كَثِيرٍ : فَكُلِّي وَأَسْكِنِي ، وَلَا تَسْأَلِي  
عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِهِ لَمْ أَمِنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ  
مَا أَكْرَهُ وَتَكْرَهِي . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : أَخْبِرْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَلَعَمْرِي  
مَا يَقْرُبُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَنَا . فَقَالَ لَهَا : فَإِنِّي أَخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجْمَعْ  
هَذِهِ الْأَمْوَالَ إِلَّا مِنَ السَّرِيقَةِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ وَمَا  
كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ قَالَ : ذَلِكَ لِعَلِّمِ أَصْبَتَهُ فِي السَّرِيقَةِ ، وَكَانَ  
الْأَمْرُ عَلَى يَسِيرٍ ، وَأَنَا آمِنٌ مِنْ أَنْ يَتَّهَمَنِي أَحَدٌ أَوْ يَرْتَابَ فِيَّ .

قَالَتْ : فَأَذْكُرِي ذَلِكَ ، قَالَ : كُنْتُ أَذْهَبُ فِي اللَّيْلَةِ الْمُقَمَّرَةِ ،  
 أَنَا وَأَصْحَابِي ، حَتَّى أَعْلُو دَارَ بَعْضِ الْأَغْنِيَاءِ مِثْلِنَا ، فَأَتَيْتُ إِلَى  
 الْكَوَّةِ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الضَّوُّ فَأَرَقِي بِهَذِهِ الرَّقِيَّةِ وَهِيَ شَوْلَمُ شَوْلَمُ  
 سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَأَعْتَنُقُ الضَّوُّ ، فَلَا يُحْسِبُ بِوُقُوعِي أَحَدًا ، فَلَا  
 أَدْعُ مَالًا وَلَا مَتَاعًا إِلَّا أَخَذْتُهُ . ثُمَّ أَرَقِي بِتِلْكَ الرَّقِيَّةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ،  
 وَأَعْتَنُقُ الضَّوُّ ، فَيَجْذِبُنِي ، فَأَصْعَدُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَنَمِضِي  
 سَالِمِينَ آمِنِينَ . فَلَمَّا سَمِعَ اللُّصُوصُ ذَلِكَ قَالُوا : قَدْ ظَفِرْنَا  
 اللَّيْلَةَ بِمَا نُرِيدُ مِنَ الْمَالِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَطَالُوا الْمُسْكُثَ حَتَّى ظَنُّوا  
 أَنَّ صَاحِبَ الدَّارِ وَزَوْجَتَهُ قَدْ هَجَعَا ، فَقَامَ قَائِدُهُمْ إِلَى مَدْخَلِ  
 الضَّوِّ ، وَقَالَ : شَوْلَمُ شَوْلَمُ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَعْتَنُقُ الضَّوُّ  
 لِيَنْزِلَ إِلَى أَرْضِ الْمَنْزِلِ ، فَوَقَعَ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ مِنْكَسًا . فَوَثَبَ إِلَيْهِ  
 الرَّجُلُ بِهَرَاوَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الْمُصَدِّقُ  
 الْمَخْدُوعُ الْمُغْتَرَّبُ بِمَا لَا يَكُونُ أَبَدًا ، وَهَذِهِ ثَمْرَةُ رُقِيَّتِكَ . فَلَمَّا تَحَرَّزْتُ  
 مِنْ تَصَدِيقِ مَا لَا يَكُونُ ، وَلَمْ أَمِنْ إِنْ صَدَّقْتَهُ أَنْ يُوقِعَنِي فِي مَهْلَكَةٍ  
 عُدْتُ إِلَى طَلَبِ الْأَدْيَانِ وَالْتِمَاسِ الْعَدْلِ مِنْهَا ، فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ

أَحَدٍ مِّنْ كَلِمَتِهِ جَوَابًا فِيهَا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فِيهَا ، وَلَمْ أَرَ فِيهَا كَلِمُونِي بِهِ  
شَيْئًا يَحِقُّ لِي فِي عَقْلِي أَنْ أُصَدِّقَ بِهِ وَلَا أَنْ أَتَّبِعَهُ . فَقُلْتُ لِمَا  
لَمْ أَجِدْ ثِقَةً أَخَذَ مِنْهُ ، الرَّأْيُ أَنْ أَلْزِمَ دِينَ آبَائِي وَأَجْدَادِي الَّذِي  
وَجَدْتُهُمْ عَلَيْهِ . فَلَمَّا ذَهَبْتُ التَّمِسُ الْعُذْرَ لِنَفْسِي فِي لُزُومِ دِينِ  
الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، لَمْ أَجِدْ لَهَا عَلَى الثُّبُوتِ عَلَى دِينِ الْآبَاءِ طَاقَةً ،  
بَلْ وَجَدْتُهَا تُرِيدُ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِلْبَحْثِ عَنِ الْأَدْيَانِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهَا ،  
وَلِلنَّظَرِ فِيهَا ، فَهَجَسَ فِي قَلْبِي وَخَطَرَ عَلَى بَالِي قُرْبُ الْأَجَلِ  
وَسُرْعَةُ انْقِطَاعِ الدُّنْيَا وَاعْتِبَاطُ أَهْلِهَا وَتَحْرِمُ الدَّهْرِ حَيَاتِهِمْ .  
فَفَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا خِفْتُ مِنَ التَّرَدُّدِ وَالتَّحْوِيلِ ، رَأَيْتُ الْآ  
أَتَعَرَّضُ لِمَا أَتَخَوَّفُ مِنْهُ الْمَكْرُوهَ ، وَأَنْ أَقْتَصِرَ عَلَى عَمَلٍ تَشْهَدُ  
النَّفْسُ أَنَّهُ يُوَافِقُ كُلَّ الْأَدْيَانِ . فَكَفَفْتُ يَدِي عَنِ الْقَتْلِ  
وَالضَّرْبِ ، وَطَرَحْتُ نَفْسِي عَنِ الْمَكْرُوهِ وَالغَضَبِ وَالسَّرِيقَةِ  
وَالخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ وَالغَيْبَةِ ، وَأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي الْآ  
أَبْغَى عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا أَكْذِبُ بِالْبَعْثِ وَلَا الْقِيَامَةِ وَلَا الثَّوَابِ وَلَا

(١) وقع وخطر وبابه ضرب . (٢) هلاكهم بدون مرض . (٣) القطع والاستئصال .



الْعِقَابِ؛ وَزَايَلْتُ الْأَشْرَارَ بِقَلْبِي ، وَحَاوَلْتُ الْجُلُوسَ مَعَ الْأَخْيَارِ  
 بِجُهْدِي ، وَرَأَيْتُ الصَّلَاحَ لَيْسَ كَمَثَلِهِ صَاحِبٌ وَلَا قَرِينٌ ،  
 وَوَجَدْتُ مَكْسَبَهُ إِذَا وَفَّقَ اللَّهُ وَأَعَانَ يَسِيرًا ؛ وَوَجَدْتَهُ يَدُلُّ عَلَى  
 الْخَيْرِ وَيُشِيرُ بِالنُّصْحِ ، فِعْلَ الصَّدِيقِ بِالصَّدِيقِ ؛ وَوَجَدْتَهُ  
 لَا يَنْقُصُ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِنْهُ ؛ بَلْ يَزْدَادُ جِدَّةً وَحُسْنًا ؛ وَوَجَدْتَهُ  
 لَا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَغْضِبَهُ ، وَلَا مِنَ الْمَاءِ أَنْ  
 يُغْرِقَهُ ، وَلَا مِنَ النَّارِ أَنْ تُحْرِقَهُ ، وَلَا مِنَ اللَّصُوصِ أَنْ تَسْرِقَهُ ،  
 وَلَا مِنَ السَّبَاعِ وَجَوَارِحِ الطَّيْرِ أَنْ تُمَزِّقَهُ ؛ وَوَجَدْتُ الرَّجُلَ  
 السَّاهِيَ اللَّاهِيَّ الْمُؤْتِرَ الْيَسِيرَ يَنَالُهُ فِي يَوْمِهِ وَيَعْدِمُهُ فِي غَدِهِ عَلَى  
 الْكَثِيرِ الْبَاقِي نَعِيمُهُ ، يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ التَّاجِرَ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ  
 كَانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفِيسٌ ، فَاسْتَأْجَرَ لِثَقْبِهِ رَجُلًا ، الْيَوْمَ بِمِائَةِ دِينَارٍ ؛  
 وَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَعْمَلَ ، وَإِذَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ صَنْجٌ<sup>(٢)</sup>  
 مَوْضُوعٌ . فَقَالَ التَّاجِرُ لِلصَّانِعِ : هَلْ تُحْسِنُ أَنْ تَلْعَبَ بِالصَّنْجِ؟

(١) هي ضد البلى . (٢) الصنج نوعان : ما يتخذ من الصفر يضرب به مع الدف

(ويسمى عند عوام مصر بالكاسات) وما له أوتار .

قَالَ : نَعَمْ . وَكَانَ يَلْعَبُهُ مَاهِرًا . فَقَالَ التَّاجِرُ : دُونَكَ وَالصَّنَجِ  
 فَأَسْمِعْنَا ضَرْبَكَ بِهِ . فَأَخَذَ الرَّجُلُ الصَّنَجَ ، وَلَمْ يَزَلْ يُسْمِعُ التَّاجِرَ  
 الضَّرْبَ الصَّحِيحَ ، وَالصَّوْتَ الرَّفِيعَ ، وَالتَّاجِرُ يُشِيرُ بِيَدِهِ وَرَأْسِهِ  
 طَرِبًا ، حَتَّى أَمْسَى . فَلَمَّا حَانَ الْغُرُوبُ قَالَ الرَّجُلُ لِلتَّاجِرِ :  
 مَرِلِي بِالْأَجْرَةِ . فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : وَهَلْ عَمِلْتَ شَيْئًا تَسْتَحِقُّ بِهِ  
 لِأَجْرَةٍ ؟ فَقَالَ لَهُ : عَمِلْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، وَأَنَا أَجِيرُكَ ، وَمَا  
 سَتَعَمَلْتَنِي عَمِلْتُ ؛ وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى اسْتَوَفَى مِنْهُ مِائَةَ دِينَارٍ .  
 وَبَقِيَ جَوْهَرُهُ غَيْرَ مَثْقُوبٍ . فَلَمْ أَزْدَدْ فِي الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا نَظْرًا ، إِلَّا  
 أَزْدَدْتُ فِيهَا زَهَادَةً وَمِنْهَا هَرَبًا . وَوَجَدْتُ <sup>(١)</sup> النَّسْكَ هُوَ الَّذِي  
 يَمُهَّدُ لِلْعِبَادَةِ كَمَا يَمُهَّدُ الْوَالِدُ لِوَلَدِهِ ؛ وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْبَابُ الْمَفْتُوحُ  
 إِلَى النَّعِيمِ الْمُقِيمِ ؛ وَوَجَدْتُ النَّاسِكَ قَدْ تَدَبَّرَ فِعْلَتَهُ بِالسَّكِينَةِ  
 فَشَكَرَ ، وَتَوَاضَعَ وَقَنِعَ فَاسْتَغْنَى ، وَرَضِيَ وَلَمْ يَهْتَمَّ ، وَخَلَعَ الدُّنْيَا  
 فَنَجَا مِنَ الشُّرُورِ ، وَرَفَضَ الشَّهَوَاتِ فَصَارَ طَاهِرًا ، وَأَطْرَحَ  
 الْحَسَدَ فَوَجِبَتْ لَهُ الْمَحَبَّةُ ، وَسَخَّتْ نَفْسُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ وَاسْتَعْمَلَ

(١) النسك مثلثة النون وبضمين : العبادة .

الْعَقْلَ وَأَبْصَرَ الْعَاقِبَةَ فَأَمِنَ النَّدَامَةَ ، وَلَمْ يَخَفِ النَّاسَ وَلَمْ يَدْبِ  
 إِلَيْهِمْ فَسَلِمَ مِنْهُمْ . فَلَمْ أَزِدْ فِي أَمْرِ النَّسِكِ نَظْرًا ، إِلَّا أَزِدْتُ  
 فِيهِ رَغْبَةً ، حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ . ثُمَّ تَخَوَّفْتُ  
 إِلَّا أَصْبِرَ عَلَى عَيْشِ النَّاسِ ، وَلَمْ أَمِنْ إِنْ تَرَكْتُ الدُّنْيَا وَأَخَذْتُ  
 فِي النَّسِكِ ، أَنْ أضعِفَ عَنْ ذَلِكَ ؛ وَرَفَضْتُ أَعْمَالَ كُنْتُ أَرْجُو  
 عَائِدَتَهَا ، وَقَد كُنْتُ أَعْمَلُهَا فَأَنْتَفِعُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَيَكُونُ  
 مَثَلِي فِي ذَلِكَ مَثَلِ الْكَلْبِ الَّذِي مَرَّ بِنَهْرٍ وَفِي فِيهِ ضِلَعٌ ؛ فَرَأَى  
 ظِلَّهَا فِي الْمَاءِ ، فَهَوَى لِيَأْخُذَهَا ، فَأَتَلَفَ مَا كَانَ مَعَهُ ، وَلَمْ يَجِدْ  
 فِي الْمَاءِ شَيْئًا . فَهَبْتُ النَّسِكَ مَهَابَةً شَدِيدَةً ، وَخِفتُ مِنَ  
 الضَّجَرِ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ ، وَأَرَدْتُ الثَّبُوتَ عَلَى حَالَتِي الَّتِي كُنْتُ  
 عَلَيْهَا . ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ أُسْبِرَ مَا أَخَافُ إِلَّا أَصْبِرَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَذَى  
 وَالضُّبِقِ وَالخُشُونَةِ فِي النَّسِكِ ؛ وَمَا يُصِيبُ صَاحِبَ الدُّنْيَا مِنَ  
 الْبَلَاءِ ؛ وَكَانَ عِنْدِي أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَدَاتِهَا

إِلَّا وَهُوَ مُتَحَوِّلٌ إِلَى الْأَذَى وَمَوْلِدٌ لِلْحَزَنِ . فَالْدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمِنْجِ  
الَّذِي لَا يَزْدَادُ شَارِبُهُ شُرْبًا ، إِلَّا آزْدَادَ عَطْشًا . وَهِيَ كَالْعَظْمِ  
الَّذِي يُصِيبُهُ الْكَلْبُ فَيَجِدُ فِيهِ رِيحَ اللَّحْمِ ، فَلَا يَزَالُ يَطْلُبُ  
ذَلِكَ حَتَّى يُدْمِيَ فَاهُ . وَكَالْحِدَاةِ الَّتِي تَنْظُرُ بِقِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ ،  
فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ ، فَلَا تَزَالُ تَدُورُ وَتَدَّابُ حَتَّى تَغِيَا  
وَتَتَّعَبَ ، فَإِذَا تَعِبَتْ أَلْقَتْ مَا مَعَهَا . وَكَالْكُوزِ مِنَ الْعَسَلِ  
الَّذِي فِي أَسْفَلِهِ السَّمُّ الَّذِي يُدَاقُ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَأَخِرُهُ مَوْتٌ  
ذُعَافٌ<sup>(١)</sup> ، وَكَأَحْلَامِ النَّائِمِ الَّتِي يَفْرَحُ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ ،  
فَإِذَا اسْتَيْقَظَ ذَهَبَ الْفَرَحُ . فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ ،  
رَجَعْتُ إِلَى طَلَبِ النَّسْكِ ، وَهَزَّنِي الْأَشْتِيَاقُ إِلَيْهِ ،  
فَمَّا خَاصَمْتُ نَفْسِي إِذْ هِيَ فِي شُرُورِهَا سَارِحَةً ، وَقَدْ لَا تَثْبُتُ  
عَلَى أَمْرٍ تَعَزِّمُ عَلَيْهِ : كَقَاضِ سَمِيعٍ مِنْ خَضَمٍ وَاحِدٍ فَحَكَمَ لَهُ ،  
فَلَمَّا حَضَرَ الْخَضَمُ الثَّانِي عَادَ إِلَى الْأَوَّلِ وَقَضَى عَلَيْهِ .

(١) ذعاف : سريع .

ثُمَّ نَظَرْتُ فِي الَّذِي أَكْبَدُهُ مِنْ أَحْتِمَالِ النَّسْكِ وَضَيْقِهِ ، فَقُلْتُ :  
 مَا أَصْغَرَ هَذِهِ الْمَشَقَّةَ فِي جَانِبِ رَوْحِ الْأَبَدِ وَرَاحَتِهِ . ثُمَّ نَظَرْتُ  
 فِيمَا تَشْرَهُ إِلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا ، فَقُلْتُ : مَا أَمْرٌ هَذَا  
 وَأَوْجَعُهُ ، وَهُوَ يَدْفَعُ إِلَى عَذَابِ الْأَبَدِ وَأَهْوَالِهِ ! وَكَيْفَ لَا يَسْتَحْلِي  
 الرَّجُلُ مَرَارَةً قَلِيلَةً تَعْقُبُهَا حَلَاوَةٌ طَوِيلَةٌ ؟ وَكَيْفَ لَا تَمُرُّ عَلَيْهِ  
 حَلَاوَةٌ قَلِيلَةٌ تَعْقُبُهَا مَرَارَةٌ دَائِمَةٌ ؟ وَقُلْتُ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا  
 عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ مِائَةَ سَنَةٍ ، لَا يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ وَاحِدٌ  
 إِلَّا بَضْعَ مِنْهُ بَضْعَةٌ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ أُعِيدَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يُشْرَطُ لَهُ ،  
 أَنَّهُ إِذَا اسْتَوْفَى السِّنِينَ الْمِائَةَ ، نَجَا مِنْ كُلِّ أَلَمٍ وَأَذَى ، وَصَارَ  
 إِلَى الْأَمْنِ وَالسُّرُورِ ، كَانَ حَقِيقًا إِلَّا يَرَى تِلْكَ السِّنِينَ شَيْئًا .  
 وَكَيْفَ يَأْتِي الصَّبْرَ عَلَى أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَعِيشُهَا فِي النَّسْكِ ، وَأَذَى  
 تِلْكَ الْأَيَّامِ قَلِيلٌ يُعْقِبُ خَيْرًا كَثِيرًا ؟ فَلْنَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا كَلَّهَا بَلَاءٌ  
 وَعَذَابٌ . أَوْ لَيْسَ الْإِنْسَانُ إِتْمًا يَتَقَلَّبُ فِي عَذَابِ الدُّنْيَا مِنْ

حِينَ يَكُونُ جَنِينًا إِلَى أَنْ يَسْتَوِيَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ؟ فَإِذَا كَانَ طِفْلًا  
ذَاقَ مِنَ الْعَذَابِ الْوَانَا : إِنْ جَاعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِطْعَامٌ ،  
أَوْ عَطِشَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِسْقَاءٌ ، أَوْ وَجِعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِغَاثَةٌ ،  
مَعَ مَا يَلْقَى مِنَ الْوَضْعِ وَالْجَمَلِ وَاللَّفِ وَالذَّهْنِ وَالْمَسْحِ ،  
إِنْ أُنِجَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ تَقَلُّبًا ، ثُمَّ يَلْقَى أَصْنَافَ الْعَذَابِ  
مَا دَامَ رَضِيعًا ، فَإِذَا أُفْلِتَ مِنَ عَذَابِ الرِّضَاعِ ، أَخَذَ فِي عَذَابِ  
الْأَدَبِ ، فَأَذِيقَ مِنْهُ الْوَانَا : مِنْ عُنْفِ الْمُعَلِّمِ ، وَخَجَرِ  
الدَّرْسِ ، وَسَامَةِ الْكِتَابَةِ ، ثُمَّ لَهُ مِنَ الدَّوَاءِ وَالْحِمِيَةِ وَالْأَسْقَامِ  
وَالْأَوْجَاعِ أَوْفَى حَظٍّ . فَإِذَا أَدْرَكَ كَانَتْ هِمَّتُهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ  
وَتَرْبِيَةِ الْوَلَدِ وَمُخَاطَرَةِ الطَّلِبِ وَالسَّغْيِ وَالنَّكَدِ وَالتَّعَبِ . وَهُوَ مَعَ  
ذَلِكَ يَتَقَلَّبُ مَعَ أَعْدَائِهِ الْبَاطِنِيَّةِ اللَّازِمَةِ لَهُ : وَهِيَ الصَّفَرَاءُ  
وَالسُّودَاءُ وَالرَّيْحُ وَالْبَلْغَمُ وَالذَّمُّ وَالسَّمُّ الْمُمِيتُ وَالْحِمِيَةُ اللَّاذِعَةُ ،  
مَعَ الْخَوْفِ مِنَ السِّبَاعِ وَالْهَوَامِّ ، مَعَ صَرْفِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ  
وَالْمَطَرِ وَالرِّيَّاحِ ، ثُمَّ أَنْوَاعِ عَذَابِ الْهَرَمِ لِمَنْ يَبْلُغُهُ . فَلَوْلَمْ

يَخَفُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ شَيْئًا ، وَكَانَ قَدْ أَمِنَ وَوَثِقَ بِالسَّلَامَةِ مِنْهَا  
فَلَمْ يُفَكِّرْ فِيهَا ، لَوَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَبَّرَ بِالسَّاعَةِ الَّتِي يُحْضِرُهُ فِيهَا  
الْمَوْتُ ، فَيُفَارِقُ الدُّنْيَا ، وَيَتَذَكَّرُ مَا هُوَ نَازِلٌ بِهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ :  
مِنْ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ وَالْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَكُلِّ مَضْنُونٍ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا ،  
وَالْإِشْرَافِ عَلَى الْهَيُولِ الْعَظِيمِ بَعْدَ الْمَوْتِ . فَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ،  
لَكَانَ حَقِيقًا أَنْ يُعَدَّ عَاجِزًا مُفْرَطًا مُحِبًّا لِلدَّنَاءَةِ مُسْتَحِقًّا لِلنُّومِ ،  
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْلَمُ وَلَا يَحْتَالُ لِغَدِ جُهْدَهُ فِي الْحِيلَةِ ، وَيَرْفُضُ  
مَا يَشْغَلُهُ وَيُلْهِمُهُ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَغُرُورِهَا ؟ وَلَا سِوَا فِي هَذَا  
الزَّمَانِ الشَّبِيهِ بِالصَّافِي وَهُوَ كَدْرٌ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ حَازِمًا عَظِيمَ  
الْمَقْدَرَةِ ، رَفِيعِ الْهِمَّةِ بَلِيغِ الْفَخْرِ ، عَدَلًا مَرْجُوعًا صَدُوقًا  
شَكُورًا ، رَحْبَ الدِّرَاعِ مُفْتَقِدًا مُوَظَّبًا مُسْتَمِرًّا عَالِمًا بِالنَّاسِ  
وَالْأُمُورِ ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْخَيْرِ وَالْأَخْيَارِ ، شَدِيدًا عَلَى الظَّالِمَةِ ، غَيْرَ  
جَبَانٍ وَلَا خَفِيفِ الْقِيَادِ ، رَفِيقًا بِالتَّوَسُّعِ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِيهَا يُحِبُّونَ ،  
وَالدَّفْعِ لِمَا يَكْرَهُونَ ، فَإِنَّا قَدْ نَرَى الزَّمَانَ مُدْبِرًا بِكُلِّ مَكَانٍ ،  
فَكَانَ أُمُورَ الصِّدْقِ قَدْ نُرِعَتْ مِنَ النَّاسِ ، فَأَصْبَحَ مَا كَانَ

عَزِيزًا فَقَدَهُ مَفْقُودًا ، وَمَوْجُودًا مَا كَانَ ضَائِرًا وَجُودَهُ . وَكَانَ  
الْخَيْرَ أَصْبَحَ ذَائِلًا وَالشَّرَّ أَصْبَحَ نَاضِرًا . وَكَانَ الْفَهْمَ أَصْبَحَ قَدْ  
زَالَتْ سَبِيلَهُ . وَكَانَ الْحَقَّ وَلِيَّ كَسِيرًا وَأَقْبَلَ الْبَاطِلَ تَابِعَهُ . وَكَانَ  
اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ وَإِضَاعَةَ الْحِكْمِ أَصْبَحَ بِالْحُكْمِ مُوَكَّلًا ، وَأَصْبَحَ  
الْمَظْلُومُ بِالْحَيْفِ مُقْرًا وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ مُسْتَطِيلًا . وَكَانَ الْحِرْصَ  
أَصْبَحَ فَاغِرًا فَاهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَتَلَقَّفُ مَا قُرِبَ مِنْهُ وَمَا بَعُدَ .  
وَكَانَ الرِّضَا أَصْبَحَ مَجْهُولًا . وَكَانَ الْأَشْرَارَ يَقْصِدُونَ السَّمَاءَ  
صُعُودًا . وَكَانَ الْأَخْيَارَ يُرِيدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ ؛ وَأَصْبَحَتِ  
الْمُرُوءَةُ مَقْدُوفًا بِهَا مِنْ أَعْلَى شَرَفٍ إِلَى أَسْفَلِ دَرَكٍ ؛ وَأَصْبَحَتِ  
الدَّنَاءَةُ مَكْرَمَةً مُمْكِنَةً ؛ وَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ مُنْتَقِلًا عَنِ أَهْلِ الْفَضْلِ  
إِلَى أَهْلِ النَّقْصِ . وَكَانَ الدُّنْيَا جَذَلَةً مَسْرُورَةً تَقُولُ : قَدْ غُيِّبَتْ  
الْخَيْرَاتُ وَأُظْهِرَتِ السَّيِّئَاتُ . فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَأُمُورِهَا ؛  
وَأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ أَشْرَفُ الْخَلْقِ فِيهَا وَأَفْضَلُهُ ؛ ثُمَّ هُوَ لَا يَتَقَلَّبُ  
إِلَّا فِي الشُّرُورِ وَالْهُمُومِ ، عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ ذُو عَقْلٍ يَعْلَمُ



ذَلِكَ ثُمَّ لَا يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ فِي النَّجَاةِ؛ فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ الْعَجَبِ .  
 ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا الْإِنْسَانُ لَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْإِحْتِيَالِ لِنَفْسِهِ إِلَّا لَذَّةً  
 صَغِيرَةً حَقِيرَةً غَيْرَ كَبِيرَةٍ مِنَ الشَّمِّ وَالذَّوْقِ وَالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَاللَّمْسِ :  
 فَعَلَّهُ يُصِيبُ مِنْهَا الطَّفِيفَ أَوْ يَقْتَنِي مِنْهَا الْيَسِيرَ ؛ فَإِذَا ذَلِكَ  
 يَسْغَلُهُ وَيَذْهَبُ بِهِ عَنِ الْإِهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ وَطَلَبِ النَّجَاةِ لَهَا .  
 فَالْتَمَسْتُ لِلْإِنْسَانِ مَثَلًا ، فَإِذَا مَثَلُهُ مِثْلُ رَجُلٍ تَجَا مِنْ خَوْفِ  
 فِيلٍ هَائِجٍ إِلَى بَيْرٍ ، فَتَدَلَّى فِيهَا ، وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ كَانَا عَلَى  
 سَمَائِهَا ، فَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فِي طَى الْبَيْرِ . فَإِذَا حَيَاتٌ  
 أَرْبَعٌ قَدْ أَخْرَجْنَ رُءُوسَهُنَّ مِنْ أَجْحَارِهِنَّ ، ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا فِي قَاعِ  
 الْبَيْرِ تَيْنِ<sup>(١)</sup> فَاتِحٌ فَاهُ مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذُهُ ؛ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى  
 الْغُصْنَيْنِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِمَا جُرْدَانٌ أَسْوَدٌ وَأَبْيَضٌ ، وَهُمَا يَقْرِضَانِ  
 الْغُصْنَيْنِ دَائِبِينَ لَا يَفْتَرَانِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي النَّظَرِ لِأَمْرِهِ وَالْإِهْتِمَامِ  
 لِنَفْسِهِ ، إِذْ أَبْصَرَ قَرِيبًا مِنْهُ كِوَارَةً فِيهَا عَسَلٌ نَحْلٍ ؛ فَذَاقَ

(١) ضرب من الحيات . (٢) مثنى جرد : ضرب من الفأر . (٣) شئ . يتخذ للنحل

من القضبان وهي الخلية .

الْعَسَلُ ، فَشَغَلَتْهُ حَلَاوَتُهُ وَأَهْتَهُ لَذَّتُهُ عَنِ الْفِكْرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ  
 أَمْرِهِ ، وَأَنْ يَأْتِمِسَ الْخَلَّاصَ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ عَلَى  
 حَيَاتٍ أَرْبَعٍ لَا يَدْرِي مَتَى يَقَعُ عَلَيْهِنَّ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ الْجُرْدَيْنِ  
 دَائِبَانِ فِي قَطْعِ الْغُضْنَيْنِ ، وَمَتَى انْقَطَعَا وَقَعَ عَلَى التَّنِينِ . فَلَمْ  
 يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا مَشْغُولًا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ التَّنِينِ  
 فَهَلَكَ . فَشَبَّهْتُ بِالْبِئْرِ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُورًا ،  
 وَمَخَافَاتٍ وَعَاهَاتٍ ، وَشَبَّهْتُ بِالْحَيَاتِ الْأَرْبَعِ الْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعَةَ  
 الَّتِي فِي الْبَدَنِ : فَإِنَّهَا مَتَى هَاجَتْ أَوْ أَحْدَهَا كَانَتْ كَحْمَةٍ<sup>(١)</sup>  
 الْأَفَاعِي وَالسَّمِّ الْمُمِيتِ ، وَشَبَّهْتُ بِالْغُضْنَيْنِ الْأَجَلَ الَّذِي لَا بُدَّ  
 مِنْ انْقِطَاعِهِ ، وَشَبَّهْتُ بِالْجُرْدَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
 اللَّذَيْنِ هُمَا دَائِبَانِ فِي إِفْنَاءِ الْأَجْلِ ، وَشَبَّهْتُ بِالتَّنِينِ الْمَصِيرِ  
 الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَشَبَّهْتُ بِالْعَسَلِ هَذِهِ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي  
 يَنَالُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ فَيَطْعَمُ وَيَسْمَعُ وَيَشْمُ وَيَنْهَسُ ، وَيَتَشَاغَلُ عَنْ  
 نَفْسِهِ ، وَيَلْهُو عَنْ شَأْنِهِ ، وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ قَصْدِهِ . فَحَيْذُ

(١) إبرة النحلة ونحوها .

صَارَ أَمْرِي إِلَى الرِّضَا بِحَالِي وَإِصْلَاحِ مَا اسْتَطَعْتُ إِصْلَاحَهُ  
 مِنْ عَمَلِي : لَعَلِّي أَصَادِفُ بَاقِيَ أَيَّامِي زَمَانًا أُصِيبُ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى  
 هُدَايَ ، وَسُلْطَانًا عَلَى نَفْسِي <sup>(١)</sup> ، وَقِيَامًا لِأَمْرِي ، فَأَقَمْتُ عَلَى هَذِهِ  
 الْحَالِ وَانْتَسَخْتُ كُتُبًا كَثِيرَةً ، وَانصَرَفْتُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ ، وَقَدْ  
 نَسَخْتُ هَذَا الْكِتَابَ . ( انقضى باب برزويه المتطبب )

### بَابُ الْأَسَدِ وَالثَّوْرِ وَهُوَ أَوَّلُ الْكِتَابِ

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ ، وَهُوَ رَأْسُ الْبِرَاهِمَةِ :  
 أَضْرِبْ لِي مَثَلًا لِمُتَحَابِّينِ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا الْكُذُوبُ الْمُحْتَالَ ، حَتَّى  
 يَحْمِلُهُمَا عَلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ . قَالَ بَيْدَبَا : إِذَا أَبْتَلِيَ الْمُتَحَابِّانِ  
 بِأَنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا الْكُذُوبُ الْمُحْتَالَ ، لَمْ يَلْبَثَا أَنْ يَتَقَاطَعَا  
 وَيَتَدَابَّرَا . وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ دَسْتَاوَنْدَ رَجُلٌ  
 شَيْخٌ ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ . فَلَمَّا بَاغَوْا أَشَدَّهُمْ أَسْرَفُوا فِي مَالِ  
 آبَائِهِمْ ، وَلَمْ يَكُونُوا أَحْتَرَفُوا حِرْفَةً يَكْسِبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِهَا خَيْرًا .

فَلَا مَهْمُ أَبُوهُمْ ، وَوَعَّظَهُمْ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ :  
 يَا بَنِيَّ إِنْ صَاحِبَ الدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ لَنْ يَدْرِكَهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةِ  
 أَشْيَاءَ . أَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَطْلُبُ ، فَالسَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَالْمَنْزِلَةُ  
 فِي النَّاسِ وَالزَّادِلِلَاحِرَةَ ، وَأَمَّا الأَرْبَعَةُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دَرِكِ  
 هَذِهِ الثَّلَاثَةِ ، فَالْكَتْسَابُ الْمَالِ مِنْ أَحْسَنِ وَجْهِ يَكُونُ ،  
 ثُمَّ حُسْنُ الْقِيَامِ عَلَى مَا اكْتَسَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ اسْتِثَارُهُ ، ثُمَّ إِنْفَاقَهُ  
 فِيمَا يُصْلِحُ الْمَعِيشَةَ وَيُرِضِي الأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ ، فَيَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ  
 فِي الآخِرَةِ . فَمَنْ ضَيَّعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأَحْوَالِ لَمْ يَدْرِكْ مَا أَرَادَ  
 مِنْ حَاجَتِهِ : لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ  
 بِهِ ، وَإِنْ هُوَ كَانَ ذَا مَالٍ وَاكْتَسَابٍ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ الْقِيَامَ عَلَيْهِ ،  
 أَوْشَكَ الْمَالُ أَنْ يَفْنَى وَيَبْقَى مُعْدِمًا ، وَإِنْ هُوَ وَضَعَهُ وَلَمْ  
 يَسْتَثْمِرْهُ ، لَمْ تَمْنَعْهُ قِلَّةُ الإِنْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ الذَّهَابِ : كَالْكُحْلِ  
 الَّذِي لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارُ المِيلِ ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ سَرِيعٌ فَنَآوَهُ .  
 وَإِنْ أَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ ، وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَاخْطَأَ  
 بِهِ مَوَاضِعَ اسْتِحْقَاقِهِ ، صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْفَقِيرِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ ،

ثُمَّ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ مَالَهُ مِنَ التَّلَفِ بِالْحَوَادِثِ وَالْعِلَلِ الَّتِي تَجْرِي  
 عَلَيْهِ ؛ كَمَحْبِسِ الْمَاءِ الَّذِي لَا تَزَالُ الْمِيَاهُ تُنْصَبُ فِيهِ ، فَإِنْ لَمْ  
 يَكُنْ لَهُ مَخْرَجٌ وَمَفِيزٌ وَمَتَنَفَسٌ يُخْرِجُ الْمَاءَ مِنْهُ بِقَدْرِ  
 مَا يَنْبَغِي ، نَحْرَبَ وَسَالَ وَتَزَمَ مِنْ نَوَاجِحِ كَثِيرَةٍ ، وَرُبَّمَا أَنْبَثَ الْبَثْقَ  
 الْعَظِيمَ فَذَهَبَ الْمَاءُ ضَيَاعًا . ثُمَّ إِنَّ بَنِي الشَّيْخِ اتَّعَظُوا بِقَوْلِ  
 أَبِيهِمْ وَأَخَذُوا بِهِ وَعَلِمُوا أَنَّ فِيهِ الْخَيْرَ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ ؛ فَأَنْطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ  
 نَحْوَ أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا مَيُونُ ، فَأَتَى فِي طَرِيقِهِ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ وَحَلٌ  
 كَثِيرٌ ؛ وَكَانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ يَجْرُهَا ثُورَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا شَتْرَبَةٌ  
 وَلِلْآخَرِ بَنْدَبَةٌ ؛ فَوَحَلَ شَتْرَبَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَعَابَلِحَهُ الرَّجُلُ  
 وَأَضْحَابُهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ الْجَهْدُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِحْرَاجِهِ ؛  
 فَذَهَبَ الرَّجُلُ وَخَلَّفَ عِنْدَهُ رَجُلًا يُسَارِفُهُ : لَعَلَّ الْوَحَلَ يَنْشَفُ  
 فَيَتَّبَعُهُ بِالثَّوْرِ . فَلَمَّا بَاتَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ ، تَبَرَّمَ بِهِ  
 وَأَسْتَوْحَشَ ؛ فَتَرَكَ الثَّوْرَ وَالتَّحَقَّ بِصَاحِبِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الثَّوْرَ قَدْ  
 مَاتَ ؛ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا انْقَضَتْ مَدَّتُهُ وَحَانَتْ مَنِيَّتُهُ

(١) انشق وانفجر . (٢) خجر .

فَهُوَ وَإِنْ أَجْتَهَدَ فِي التَّوَقُّي مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَخَافُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ  
الْهَلَاكَ لَمْ يَغْنِ ذَلِكَ عَنْهُ شَيْئًا ، وَرُبَّمَا عَادَ اجْتِهَادَهُ فِي تَوَقُّيهِ  
وَحَذَرُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ (١) .

كَالَّذِي قِيلَ : إِنَّ رَجُلًا سَلَكَ مَفَازَةً فِيهَا خَوْفٌ مِنَ السَّبَاعِ ،  
وَكَانَ الرَّجُلُ خَيْرًا يَوْعِثُ تِلْكَ الْأَرْضِ وَخَوْفِهَا ، فَلَمَّا سَارَ  
غَيْرَ بَعِيدٍ اعْتَرَضَ لَهُ ذِئْبٌ مِنْ أَحَدِ الذَّنَابِ وَأَضْرَاهَا ،  
فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّ الذِّئْبَ قَاصِدٌ نَحْوَهُ خَافَ مِنْهُ ، وَنَظَرَ  
يَمِينًا وَشِمَالًا لِيَجِدَ مَوْضِعًا يَتَحَرَّزُ فِيهِ مِنَ الذِّئْبِ فَلَمْ يَرَ إِلَّا  
قَرْيَةً خَلْفَ وَادٍ ، فَذَهَبَ مُسْرِعًا نَحْوَ الْقَرْيَةِ ، فَلَمَّا أَتَى الْوَادِي  
لَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةً ، وَرَأَى الذِّئْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ،  
وَهُوَ لَا يُحْسِنُ السِّبَاحَةَ ، وَكَادَ يَغْرُقُ ، لَوْلَا أَنَّ بَصْرِيهِ قَوْمٌ  
مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، فَتَوَاقَعُوا لِإِنْخِرَاجِهِ فَأَخْرَجُوهُ ، وَقَدْ أَشْرَفَ  
عَلَى الْهَلَاكِ ، فَلَمَّا حَصَلَ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ  
مِنْ غَائِلَةِ الذِّئْبِ رَأَى عَلَى عُدْوَةِ الْوَادِي بَيْتًا مُفْرَدًا ، فَقَالَ :

(١) وخيم العاقبة . (٢) العدو بصم العين وكسرها : جانب الوادي .

أَدْخُلُ هَذَا الْبَيْتَ فَاسْتَرِجُ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَمَاعَةً  
مِنَ اللَّصُوبِ قَدْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ التُّجَّارِ ،  
وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ مَالَهُ ، وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذَلِكَ  
حَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَضَى نَحْوَ الْقَرْيَةِ ، فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ  
مِّنْ حَيْطَانِهَا لِيَسْتَرِجَ مِمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْإِغْيَاءِ ، إِذْ سَقَطَ  
الْحَائِطُ عَلَيْهِ فَمَاتَ . قَالَ التَّاجِرُ : صَدَقْتَ ، قَدْ بَلَغَنِي  
هَذَا الْحَدِيثُ . وَأَمَّا الثَّورُ فَإِنَّهُ خَلَصَ مِنْ مَكَانِهِ وَانْبَعَثَ ، فَلَمْ  
يَزَلْ فِي مَرَجٍ مُّخْصِبٍ كَثِيرِ الْمَاءِ وَالْكَلَاءِ ، فَلَمَّا سَمِنَ وَآمِنَ  
جَعَلَ يَنْحُورُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْحَوَارِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ أَجْمَةٌ فِيهَا  
إِسْدٌ عَظِيمٌ ، وَهُوَ مَلِكُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَمَعَهُ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ وَذِيَابٌ  
وَبَنَاتٌ آوَى وَثَعَالِبٌ وَفُهُودٌ وَنَمُورٌ ، وَكَانَ هَذَا الْأَسْدُ مُنْفَرِدًا  
بِرَأْيِهِ دُونَ أَخْذِ بَرَأْيِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ خُورَ  
الثَّورِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَأَى ثُورًا قَطُّ ، وَلَا سَمِعَ خُورَهُ ، لِأَنَّهُ  
كَانَ مُقِيمًا مَكَانَهُ لَا يَبْرُحُ وَلَا يَنْشَطُ ، بَلْ يُؤْتَى بِرِزْقِهِ كُلِّ يَوْمٍ  
عَلَى يَدِ جُنْدِهِ . وَكَانَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ السِّبَاعِ ابْنَا آوَى يُقَالُ

لِأَحَدِهِمَا كَلِيلَةٌ وَلِلْآخَرِ دِمْنَةٌ ، وَكَانَا ذَوِي دَهَاءٍ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ .  
فَقَالَ دِمْنَةُ لِأَخِيهِ كَلِيلَةُ : يَا أُخِي مَا شَأْنُ الْأَسَدِ مُقِيمًا مَكَانَهُ  
لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشُطُ ؟ قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ : مَا شَأْنُكَ أَنْتَ وَالْمَسْأَلَةَ عَنْ  
هَذَا ؟ نَحْنُ عَلَى بَابِ مَلِكِنَا آخِذِينَ بِمَا أَحَبَّ وَتَارِكِينَ مَا يَكْرَهُ ؛  
وَلَسْنَا مِنْ أَهْلِ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي يَتَنَاقَلُ أَهْلُهَا كَلَامَ الْمُلُوكِ وَالنَّظَرَ  
فِي أُمُورِهِمْ . فَأَمْسِكَ عَنْ هَذَا ، وَأَعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ الْقَوْلِ  
وَالْفِعْلِ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْقِرْدَ مِنَ النَّجَارِ .  
قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا  
رَأَى نَجَّارًا يَسُقُ خَشَبَةً بَيْنَ وَتَدَيْنِ ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا ؛ فَأَعْجَبَهُ  
ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ . فَقَامَ الْقِرْدُ ؛ وَتَكَلَّفَ  
مَا لَيْسَ مِنْ شُغْلِهِ ، فَرَكِبَ الخَشَبَةَ ، وَجَعَلَ ظَهْرَهُ قِبَلَ الْوَتِدِ ،  
وَوَجْهَهُ قِبَلَ الخَشَبَةِ ؛ فَتَدَلَّى ذَنْبُهُ فِي الشَّقِ ، وَنَزَعَ الْوَتِدَ فَلَزِمَ  
الشَّقَ عَلَيْهِ نَحْرٌ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ وَافَاهُ فَرَأَاهُ مَوْضِعَهُ ،  
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ . فَكَانَ مَا لَقِيَ مِنَ النَّجَّارِ مِنَ الضَّرْبِ أَشَدَّ



مِمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْحَشَبَةِ . قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ ،  
 وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْنُو مِنَ الْمُلُوكِ لَيْسَ يَدْنُو مِنْهُمْ لِبَطْنِهِ ،  
 وَإِنَّمَا يَدْنُو مِنْهُمْ لِيَسَّرَ الصَّدِيقَ وَيَكْتِبَ الْعَدُوَّ . وَإِنَّ مِنَ  
 النَّاسِ مَنْ لَا مَرْوَةَ لَهُ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِالْقَلِيلِ وَيَرْضَوْنَ  
 بِالذُّونِ ، كَالْكَلْبِ الَّذِي يُصِيبُ عَظْمًا يَابِسًا فَيَفْرَحُ بِهِ . وَأَمَّا  
 أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْمُرُوَّةِ فَلَا يُقْنِعُهُمُ الْقَلِيلُ ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ ،  
 دُونَ أَنْ تَسْمُوَ بِهِ نَفْسُهُمْ إِلَى مَا هُمْ أَهْلٌ لَهُ ، وَهُوَ أَيْضًا لَهُمْ  
 أَهْلٌ ، كَالْأَسَدِ الَّذِي يَفْتَرِسُ الْأَرْنَ بَ ، فَإِذَا رَأَى الْبَعِيرَ تَرَكَهَا  
 وَطَلَبَ الْبَعِيرَ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْكَلْبَ يُبْضِضُ<sup>(١)</sup> بِذَنَبِهِ . حَتَّى  
 تَرْمِي لَهُ الْكِسْرَةَ ، وَأَنَّ الْفَيْلَ الْمُعْتَرِفَ بِفَضْلِهِ وَقُوَّتِهِ إِذَا قُدِمَ إِلَيْهِ  
 عَلَفَهُ لَا يَعْتَلِفُهُ حَتَّى يَمْسَحَ وَيَتَمَلَّقَ لَهُ . فَمَنْ عَاشَ ذَا مَالٍ وَكَانَ  
 ذَا فَضْلٍ وَإِفْضَالٍ عَلَى أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ فَهُوَ وَإِنْ قَلَّ عُمُرُهُ طَوِيلُ  
 الْعُمُرِ . وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشِهِ ضَيْقٌ وَقَلَّةٌ وَإِمْسَاكٌ<sup>(٢)</sup> عَلَى نَفْسِهِ وَذَوِيهِ

(١) يحرك ذنبه .

فَالْمَقْبُورُ أَحْيَا مِنْهُ . وَمَنْ عَمِلَ لِبَطْنِهِ وَقَنِعَ وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ  
عُدَّ مِنَ الْبَهَائِمِ .

قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتَ ، فَرَا جِعَ عَمَلُكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ  
لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا . فَإِنْ كَانَ فِي مَنْزِلَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا  
مُتَمَسِّكًا ، كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَقْنَعَ . وَلَيْسَ لَنَا مِنَ الْمَنْزِلَةِ مَا يَحُطُّ  
حَالَنَا الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا . قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الْمَنَازِلَ مُتَنَازِعَةٌ مُشْتَرِكَةٌ  
عَلَى قَدْرِ الْمُرُوءَةِ ، فَالمرءُ تَرْفَعُهُ مُرُوءَتُهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ إِلَى  
الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ ، وَمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُحُطُّ نَفْسَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ  
إِلَى الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ . وَإِنْ الارتفاعُ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الشَّرِيفَةِ شَدِيدٌ ،  
وَالانْحِطَاطُ مِنْهَا هَيِّنٌ ، كَالْحَجْرِ الثَّقِيلِ : رَفَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى  
الْعَاقِبِ عَسِرٌ ، وَوَضَعَهُ إِلَى الْأَرْضِ هَيِّنٌ . فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَرُومَ  
مَا فَوْقَنَا مِنَ الْمَنَازِلِ ، وَأَنْ نَلْتَمِسَ ذَلِكَ بِمُرُوءَتِنَا . ثُمَّ كَيْفَ نَقْنَعُ  
بِهَا وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ التَّحَوُّلَ عَنْهَا ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : فَمَا الَّذِي اجْتَمَعَ  
عَلَيْهِ رَأْيُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلْأَسَدِ عِنْدَ هَذِهِ  
الْفُرْصَةِ : فَإِنَّ الْأَسَدَ ضَعِيفُ الرَّأْيِ . وَلَعَلِّي عَلَى هَذِهِ الْحَابِ

أَدْنُو مِنْهُ فَاصِيبٌ <sup>بِأَذْنِهِ</sup> عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ وَمَكَانَةٌ . قَالَ كِيلَةُ : وَمَا يُدْرِيكَ  
 أَنَّ الْأَسَدَ قَدِ التَّبَسَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : بِالْحِسِّ وَالرَّأْيِ  
 أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ : فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الرَّأْيِ يَعْرِفُ حَالَ صَاحِبِهِ  
 وَبَاطِنَ أَمْرِهِ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنْ دَلِّهِ وَشَكْلِهِ . قَالَ كِيلَةُ : فَكَيْفَ  
 تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ بِصَاحِبِ السُّلْطَانِ ، وَلَا لَكَ عِلْمٌ  
 بِخِدْمَةِ السَّلَاطِينِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ لَا يُعْجِزُهُ  
 الْحِمْلُ الثَّقِيلُ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ الْحِمْلَ ، وَالرَّجُلُ الضَّعِيفُ  
 لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِنَاعَتِهِ . قَالَ كِيلَةُ : فَإِنَّ  
 السُّلْطَانَ لَا يَتَوَخَّى بِكَرَامَتِهِ فَضْلَاءَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ ، وَلَكِنَّهُ يُوَثِّرُ  
 الْأَدْنَى وَمَنْ قَرِبَ مِنْهُ . وَيُقَالُ : إِنَّ مَثَلَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ  
 مَثَلُ شَجَرِ الْكَرْمِ الَّذِي لَا يَعْلُقُ إِلَّا بِأَقْرَبِ الشَّجَرِ . وَكَيْفَ  
 تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ تَدْنُو مِنْهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ فَهِمْتُ  
 كَلَامَكَ بِجَمِيعِهِ وَمَا ذَكَرْتَ ، وَأَنْتَ صَادِقٌ . لَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي  
 هُوَ قَرِيبٌ مِنَ السُّلْطَانِ وَلَا ذَلِكَ مَوْضِعُهُ وَلَا تِلْكَ مَنْزِلَتُهُ ،

لَيْسَ كَمَنْ دَنَا مِنْهُ بَعْدَ الْبُعْدِ وَلَهُ حَقٌّ وَحَرْمَةٌ ، وَأَنَا مَلْتَمِسٌ بُلُوغِ  
مَكَانَتِهِمْ بِجُهْدِي . وَقَدْ قِيلَ : لَا يَؤَاطِبُ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ  
إِلَّا مَنْ يَطْرَحُ الْأَنْفَةَ وَيَحْمِلُ الْأَذَى وَيَكْظِمُ الْغَيْظَ وَيَرْفُقُ بِالنَّاسِ  
وَيَكْتُمُ السِّرَّ ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ مُرَادَهُ . قَالَ كَلِيلَةُ :  
هَبْكَ وَصَلْتَ إِلَى الْأَسَدِ ، فَمَا تَوْفِيقُكَ عِنْدَهُ الَّذِي تَرْجُو أَنْ  
تَسَالَ بِهِ الْمَنْزِلَةَ وَالْحُظُورَةَ لَدَيْهِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : لَوَدِدْتُ مِنْهُ  
وَعَرَفْتُ أَخْلَاقَهُ ، لَرَفَقْتُ فِي مُتَابَعَتِهِ وَقِلَّةِ الْخِلَافِ لَهُ . وَإِذَا  
أَرَادَ أَمْرًا هُوَ فِي نَفْسِهِ صَوَابٌ ، زَيْنَتَهُ لَهُ وَصَبْرَتَهُ عَلَيْهِ ، وَعَرَفْتَهُ  
بِمَا فِيهِ مِنَ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ ، وَشَجَعْتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ ،  
حَتَّى يَزْدَادَ بِهِ سُرُورًا . وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا يُخَافُ عَلَيْهِ ضَرَّهُ وَشَيْنَهُ ،  
بَصْرَتَهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الضَّرِّ وَالشَّيْنِ ، وَأَوْقَفْتَهُ عَلَى مَا فِي تَرْكِهِ مِنَ  
النَّفْعِ وَالزَّيْنِ ، بِحَسَبِ مَا أَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَأَنَا أَرْجُو أَنْ  
أَزْدَادَ بِذَلِكَ عِنْدَ الْأَسَدِ مَكَانَةً وَيَرَى مِنِّي مَا لَا يَرَاهُ مِنْ غَيْرِي :  
فَإِنَّ الرَّجُلَ الْأَدِيبَ الرَّفِيقَ لَوْ شَاءَ أَنْ يُبْطَلَ حَقًّا أَوْ يُحَقَّ بِاطِّلًا

لَفَعَلَ : كَالْمُصَوِّرِ الْمَاهِرِ الَّذِي يُصَوِّرُ فِي الْحَيْطَانِ صُورًا كَأَنَّهَا  
خَارِجَةٌ وَلَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ ، وَأُخْرَى كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ .  
قَالَ كَلِيلَةٌ : أَمَا إِنْ قُلْتَ هَذَا أَوْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ  
مِنَ السُّلْطَانِ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ خَطِرَةٌ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنْ أُمُورًا  
ثَلَاثَةٌ لَا يَجْتَرِي عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَهْوَجُ ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْهِنَّ إِلَّا قَلِيلٌ ،  
وَهِيَ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ، وَائْتِمَانُ النَّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَشُرْبُ  
السَّمِّ لِلتَّجْرِبَةِ . وَإِذَا شَبَّهَ الْعُلَمَاءُ السُّلْطَانَ بِالْحَبْلِ الصَّغْبِ  
الْمُرْتَقَى الَّذِي فِيهِ التَّمَارُ الطَّيِّبَةُ وَالْجَوَاهِرُ النَّفِيسَةُ وَالْأَدْوِيَةُ النَّافِعَةُ .  
وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَعْدِنُ السَّبَاعِ وَالثَّمُورِ وَالذَّنَابِ وَكُلِّ ضَارٍّ مَخُوفٍ .  
فَالِارْتِقَاءُ إِلَيْهِ شَدِيدٌ ، وَالْمُقَامُ فِيهِ أَشَدُّ . قَالَ دِمْنَةُ : صَدَقْتَ  
فِيمَا ذَكَرْتَ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ ، لَمْ يَنْلِ الرِّغَائِبَ ،  
وَمَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ الَّذِي لَعَلَّهُ يَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتَهُ هَيْبَةً وَمَخَافَةً لِمَا لَعَلَّهُ  
أَنْ يَتَوَقَّاهُ ، فَلَيْسَ بِبَالِغٍ جَسِيًّا . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ خِصَالًا ثَلَاثًا  
لَنْ يَسْتَطِيعَهَا أَحَدٌ إِلَّا بِمَعُونَةٍ مِنْ عُلُوِّ هِمَّةٍ وَعَظِيمِ خَطَرٍ : مِنْهَا

عَمَلُ السُّلْطَانِ وَتِجَارَةُ الْبَحْرِ وَمُنَاجَزَةُ الْعَدُوِّ . وَقَدِ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ  
 فِي الرَّجُلِ الْفَاضِلِ الرَّشِيدِ : إِنَّهُ لَا يَرَى إِلَّا فِي مَكَانَيْنِ ، وَلَا  
 يَلِيقُ بِهِ غَيْرُهُمَا : إِمَّا مَعَ الْمُلُوكِ مُكْرَمًا ، وَإِمَّا مَعَ النَّسَاكِ مُتَعَبِدًا ،  
 كَالْفَيْلِ إِتْمًا بِجَمَالِهِ وَبِهَاوِهِ فِي مَكَانَيْنِ : إِمَّا أَنْ تَرَاهُ وَخَشِيًّا وَإِمَّا  
 مَرْجَبًا لِلْمُلُوكِ . قَالَ كَلِيلَةُ : خَارَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ .

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ انْطَلَقَتْ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ  
 الْأَسَدُ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ .  
 قَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَبَاهُ . ثُمَّ سَأَلَهُ أَيْنَ تَكُونُ ؟ قَالَ :  
 لَمْ أَزَلْ مُلَازِمًا بَابَ الْمَلِكِ ، رَجَاءً أَنْ يَحْضُرَ أَمْرًا فَأُعِينَ الْمَلِكَ  
 فِيهِ بِنَفْسِي وَرَأْيِي : فَإِنَّ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ تَكْثُرُ فِيهَا الْأُمُورَ الَّتِي  
 رُبَّمَا يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى الَّذِي لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَصْغُرُ  
 أَمْرُهُ إِلَّا وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ بَعْضُ الْغَنَاءِ وَالْمَنَافِعِ عَلَى قَدْرِهِ ،  
 حَتَّى الْعُودُ الْمُلْتَقَى فِي الْأَرْضِ رُبَّمَا نَفَعَ ، فَيَأْخُذُهُ الرَّجُلُ فَيَكُونُ  
 عِدَّتُهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ قَوْلَ دِمْنَةَ أَعْجَبَهُ ،

وَظَنَّ أَنَّ عِنْدَهُ نَصِيحَةً وَرَأْيًا . فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَ فَقَالَ :  
 إِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْعِلْمِ وَالْمُرُوءَةِ يَكُونُ خَامِلًا <sup>كذلك</sup> الذِّكْرِ خَافِضَ الْمَنْزِلَةِ ،  
 فَتَابِي مَنْزِلَتَهُ إِلَّا أَنْ تَشَبَّ وَتَرْتَفِعَ ، كَالشَّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يَضْرِبُهَا  
 صَاحِبُهَا وَتَابِي إِلَّا أَرْتَفَاعًا . فَلَمَّا عَرَفَ دِمْنَةَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ  
 عَجِبَ مِنْهُ قَالَ : إِنَّ رَعِيَّةَ الْمَلِكِ تَحْضُرُ بَابَ الْمَلِكِ ، رَجَاءً  
 أَنْ يَعْرِفَ مَا عِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ وَأَفْرِ . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ الْفَضْلَ  
 فِي أَمْرَيْنِ : فَضْلُ الْمُقَاتِلِ عَلَى الْمُقَاتِلِ وَالْعَالِمِ عَلَى الْعَالِمِ .  
 وَإِنْ كَثُرَ الْأَعْوَانُ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُحْتَبَرِينَ <sup>أرسل</sup> رَبَّمَا تَكُونُ مَضْرَّةً عَلَى  
 الْعَمَلِ : فَإِنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ رَجَاؤُهُ بِكَثْرَةِ الْأَعْوَانِ وَلَكِنْ بِصَالِحِي  
 الْأَعْوَانِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَحْمِلُ الْحِجْرَ الثَّقِيلَ ،  
 فَيُثْقَلُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَلَا يَجِدُ لَهُ ثَمَنًا . وَالرَّجُلُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى  
 الْحَذْوَعِ لَا يَجْزِيهِ الْقَصَبُ وَإِنْ كَثُرَ . فَأَنْتَ الْآنَ أَيُّهَا الْمَلِكُ  
 حَقِيقٌ إِلَّا تَحْقِرَ مَرُوءَةً أَنْتَ تَجِدُهَا عِنْدَ رَجُلٍ صَغِيرِ الْمَنْزِلَةِ :  
 فَإِنَّ الصَّغِيرَ رُبَّمَا عَظُمَ ، كَالْعَصَبِ يُؤْخَذُ مِنَ الْمَيْتَةِ فَإِذَا عَمِلَ مِنْهُ  
 الْقَوْسُ أَكْرَمَ ، فَتَقْبِضُ <sup>يُدْرِي</sup> عَلَيْهِ الْمُلُوكُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْبَاسِ وَاللَّهْوِ .

وَأَحَبَّ دِمْنَةً أَنْ يَرَى الْقَوْمَ أَنَّ مَا نَالَهُ مِنْ كَرَامَةِ الْمَلِكِ إِنَّمَا  
هُوَ لِرَأْيِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَعَقْلِهِ : لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ  
لِمَعْرِفَتِهِ أَبَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَقْرِبُ الرَّجَالَ لِقُرْبِ  
آبَائِهِمْ ، وَلَا يَبْعِدُهُمْ لِبُعْدِهِمْ ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى كُلِّ  
رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ : لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ  
وَمِنْ جَسَدِهِ مَا يَدْوِي حَتَّى يُوْذِيَهُ وَلَا يُدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِالذَّوَاءِ  
الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِ .

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةً مِنْ مَقَالَتِهِ هَذِهِ أُعْجِبَ الْمَلِكُ بِهِ إِعْجَابًا شَدِيدًا ،  
وَأَحْسَنَ الرَّدَّ عَلَيْهِ ، وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ . ثُمَّ قَالَ لِجُلَسَانِهِ : يَنْبَغِي  
لِلسُّلْطَانِ أَلَّا يَلْجَأَ فِي تَضْيِيعِ حَقِّ ذَوِي الْحُقُوقِ . وَالنَّاسُ  
فِي ذَلِكَ رَجُلَانِ : رَجُلٌ طَبَعَهُ الشَّرَاسِيَّةُ ، فَهُوَ كَالْحَيَّةِ إِنْ وَطَّئَهَا  
الْوِاطِئِيُّ فَلَمْ تَلْدَغْهُ ، لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا أَنْ يَغْرَهُ ذَلِكَ مِنْهَا ، فَيَعُودُ  
إِلَى وَطَّئِهَا ثَانِيًا فَتَلْدَغُهُ ، وَرَجُلٌ أَصْلُ طَبَاعِهِ السُّهُولَةُ ، فَهُوَ  
كَالصَّنَدَلِ الْبَارِدِ الَّذِي إِذَا أَفْرِطَ فِي حِكِّهِ صَارَ حَارًّا مُوْذِيًا .



ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ اسْتَأْنَسَ بِالْأَسَدِ وَخَلَا بِهِ . فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : أَرَى الْمَلِكَ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَا يَبْرَحُ مِنْهُ ، فَمَا سَبَبُ ذَلِكَ ؟ فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِذْ خَارَ شَتْرِبَةٌ خُورًا شَدِيدًا : فَهَبَجَ الْأَسَدُ وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَ دِمْنَةَ بِمَا نَالَهُ ، وَعَلِمَ دِمْنَةَ أَنَّ ذَلِكَ الصَّوْتُ قَدْ أَدْخَلَ عَلَى الْأَسَدِ رَيْبَةً وَهَيْبَةً <sup>(١)</sup> . فَسَأَلَهُ : هَلْ رَأَى الْمَلِكَ سَمِعَ هَذَا الصَّوْتِ ؟ قَالَ لَمْ يَرِنِي شَيْءٌ سِوَى ذَلِكَ . قَالَ دِمْنَةُ : لَيْسَ الْمَلِكُ بِحَقِيقٍ أَنْ يَدَعَ مَكَانَهُ لِأَجْلِ صَوْتٍ . فَقَدَتْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كُلِّ الْأَصْوَاتِ تَجِبُ الْهَيْبَةُ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا مِثْلُ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجْمَةً <sup>(٢)</sup> فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ ، وَكَلِمًا هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ حَرَكَتَهَا ، فَضْرَبَتْ الطَّبْلَ فَسَمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ ، فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ نَحْوَهُ لِأَجْلِ مَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ ، فَلَمَّا أَتَاهُ وَجَدَهُ ضَخْمًا ، فَأَيَّقَنَ

(١) ظننا لما يخاف منه . (٢) الشجر الكثير الملتف .

فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ الشَّحْمِ وَاللَّحْمِ . فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ  
 أَجُوفَ لَا شَيْءَ فِيهِ ، قَالَ : لَا أُدْرِى لَعَلَّ أَفْشَلَ الْأَشْيَاءِ  
 أَجْهَرُهَا صَوْتًا وَأَعْظَمُهَا جُثَّةً . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ  
 لِتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الصَّوْتَ الَّذِي رَاعَنَا ، لَوْ وَصَلْنَا إِلَيْهِ ، لَوَجَدْنَاهُ  
 أَيْسَرِمًا فِي أَنْفُسِنَا . فَإِنْ شَاءَ الْمَلِكُ بَعَثَنِي وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ  
 حَتَّى آتِيَهُ بِبَيَانِ هَذَا الصَّوْتِ . فَوَافَقَ الْأَسَدَ قَوْلَهُ ، فَأَذِنَ لَهُ  
 بِالذَّهَابِ نَحْوَ الصَّوْتِ . فَانْطَلَقَ دِمْنَةٌ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ  
 شَرَبَةٌ . فَلَمَّا فَصَلَ دِمْنَةٌ مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ ، فَكَّرَ الْأَسَدُ فِي أَمْرِهِ ،  
 وَنَدِمَ عَلَى إِرْسَالِ دِمْنَةٍ حَيْثُ أُرْسِلَهُ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :  
 مَا أَصَبْتُ فِي آثِمَانِي دِمْنَةً ، وَقَدْ كَانَ بِبَابِي مَطْرُوحًا ،  
 فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ يَحْضُرُ بَابَ الْمَلِكِ ، وَقَدْ أُبْطِلَتْ حُقُوقُهُ مِنْ  
 غَيْرِ جُرْمٍ كَانَ مِنْهُ ، أَوْ كَانَ مَبْغِيًّا عَلَيْهِ عِنْدَ سُلْطَانِهِ ، أَوْ كَانَ  
 عِنْدَهُ مَعْرُوفًا بِالشَّرِّ وَالْحَرِصِ ، أَوْ كَانَ قَدْ أَصَابَهُ ضَرْبٌ وَضِيقٌ  
 فَلَمْ يَنْعِشْهُ ، أَوْ كَانَ قَدْ أَجْتَرَمَ جُرْمًا فَهُوَ يَخَافُ الْعُقُوبَةَ مِنْهُ ، أَوْ  
 كَانَ يَرْجُو شَيْئًا يَضُرُّ الْمَلِكَ وَلَهُ مِنْهُ نَفْعٌ ، أَوْ يَخَافُ فِي شَيْءٍ

مِمَّا يَنْفَعُهُ ضُرًّا ، أَوْ كَانَ لَعَدُوِّ الْمَلِكِ مُسَالِمًا ، وَلِمُسَالِمِهِ مُحَارِبًا ،  
 فَلَيْسَ السُّلْطَانُ بِحَقِيقِي أَنْ يَعْجَلَ بِالِاسْتِرْسَالِ إِلَيْهِ . وَالثِّقَةُ بِهِ ،  
 وَالِإِثْمَانُ لَهُ : فَإِنَّ دَمَنَةَ دَاهِيَةٌ أَرِيْبٌ . وَقَدْ كَانَ بِبَابِي  
 مَطْرُوحًا مَجْمُوعًا . وَلَعَلَّهُ قَدْ احْتَمَلَ عَلَىٰ بِذَلِكَ ضِعْفًا ، وَلَعَلَّ  
 ذَلِكَ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ خِيَانَتِي وَإِعَانَةِ عَدُوِّي وَتَقْبِيصَتِي عِنْدَهُ ، وَلَعَلَّهُ  
 صَادَفَ صَاحِبَ الصَّوْتِ أَقْوَىٰ سُلْطَانًا مِنِّي فَيَرْتَبِّبُ بِهِ عَنِّي  
 وَيَمِيلَ مَعَهُ عَلَىٰ . ثُمَّ قَامَ مِنْ مَكَانِهِ فَمَشَىٰ غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَبَصُرَ  
 بِدَمَنَةَ مُقْبِلًا نَحْوَهُ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَىٰ مَكَانِهِ ،  
 وَدَخَلَ دَمَنَةَ عَلَىٰ الْأَسَدِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا صَنَعْتَ ؟ وَمَاذَا رَأَيْتَ ؟  
 قَالَ : رَأَيْتُ ثُورًا هُوَ صَاحِبُ الْخَوَارِ وَالصَّوْتِ الَّذِي سَمِعْتَهُ .  
 قَالَ : فَمَا قُوَّتُهُ ؟ قَالَ : لَا شَوْكَةَ لَهُ . وَقَدْ دَنَوْتُ مِنْهُ وَحَاوَرْتَهُ  
 مُحَاوَرَةَ الْأَكْفَاءِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِي شَيْئًا . قَالَ الْأَسَدُ : لَا يَغُرِّكَ  
 ذَلِكَ مِنْهُ وَلَا يَضْغُرَنَّ عِنْدَكَ أَمْرُهُ : فَإِنَّ الرِّيحَ الشَّدِيدَةَ لَا تَعْبَأُ  
 بِضَعِيفِ الْحَشِيشِ ، لَكِنَّهَا تُحَطِّمُ طَوَالَ النَّخْلِ وَعَظِيمَ الشَّجَرِ .

قَالَ دِمْنَةُ : لِأَتِهَابِنَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ أَمْرُهُ : فَأَنَا آتِيكَ بِهِ لِيَكُونَ لَكَ عَبْدًا سَامِعًا مُطِيعًا . قَالَ الْأَسَدُ : دُونَكَ وَمَا بَدَا لَكَ .

فَانْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى الثَّوْرِ ، فَقَالَ لَهُ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا مُكْتَرِثٍ : إِنَّ الْأَسَدَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأَتِيَهُ بِكَ . وَأَمْرِنِي ، إِنْ أَنْتَ عَجِلْتَ إِلَيْهِ طَائِعًا ، أَنْ أَوْمِنَكَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِكَ فِي التَّأَخُّرِ عَنْهُ وَتَرَكَّكَ لِقَاءَهُ ، وَإِنْ أَنْتَ تَأَخَّرْتَ عَنْهُ وَأَجْمَمْتَ ، أَنْ أُعَجِّلَ الرَّجْعَةَ إِلَيْهِ فَأُخْبِرَهُ . قَالَ لَهُ شَثْرَبَةُ : وَمَنْ هُوَ هَذَا الْأَسَدُ الَّذِي أَرْسَلَكَ إِلَيَّ ؟ وَأَيْنَ هُوَ ؟ وَمَا حَالُهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : هُوَ مَلِكُ السَّبَاعِ ، وَهُوَ بِمَكَانٍ كَذَا ، وَمَعَهُ جُنْدٌ كَثِيرٌ مِنْ جِنْسِهِ فُرِعِبَ شَثْرَبَةُ مِنْ ذِكْرِ الْأَسَدِ وَالسَّبَاعِ . وَقَالَ : إِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِي الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِي أَقْبَلْتُ مَعَكَ إِلَيْهِ . فَأَعْطَاهُ دِمْنَةُ مِنَ الْأَمَانِ مَا وَثِقَ بِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ وَالثَّوْرُ مَعَهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَأَحْسِنَ الْأَسَدُ إِلَى الثَّوْرِ وَقَرَّبَهُ ، وَقَالَ لَهُ : مَتَى قَدِمْتَ هَذِهِ الْبِلَادَ ؟ وَمَا أَقْدَمَكَهَا ؟ فَقَصَّ شَثْرَبَةُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ أَصْحَبَنِي وَالزَّمَنِي : فَإِنِّي مُكْرَمُكَ . فَدَعَا لَهُ الثَّوْرَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ قَرَّبَ شَتْرَبَةَ وَأَكْرَمَهُ وَأَنَسَ بِهِ وَأَتَمَّنَهُ عَلَى أَسْرَارِهِ  
 وَشَاوَرَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَمْ تَزِدْهُ الْأَيَّامُ إِلَّا عَجَبًا بِهِ وَرَغْبَةً فِيهِ  
 وَتَقْرِيبًا مِنْهُ ؛ حَتَّى صَارَ أَخَصَّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً . فَلَمَّا رَأَى  
 دِمْنَةً أَنَّ الثَّورَ قَدْ اخْتَصَّ بِالْأَسَدِ دُونَهُ وَدُونَ أَصْحَابِهِ ، وَأَنَّهُ قَدْ  
 صَارَ صَاحِبَ رَأْيِهِ وَخَلَوَاتِهِ وَهَوَاهُ ، حَسَدَهُ حَسَدًا عَظِيمًا ، وَبَلَغَ  
 مِنْهُ غَيْظُهُ كُلَّ مَبْلَغٍ : فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أُخِيهِ كَلِيلَةَ ، وَقَالَ لَهُ :  
 أَلَا تَعْجَبُ يَا أُخِي مِنْ عَجْزِ رَأْيِي ، وَصُنْعِي بِنَفْسِي ؟ وَنَظْرِي  
 فِيمَا يَنْفَعُ الْأَسَدَ ، وَأَغْفَلْتُ نَفْعَ نَفْسِي حَتَّى جَلَبْتُ إِلَى الْأَسَدِ  
 ثُورًا غَلَبَنِي عَلَى مَنْزِلَتِي .

قَالَ كَلِيلَةُ : أَخْبِرْنِي عَنْ رَأْيِكَ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَعْرِمَ عَلَيْهِ  
 فِي ذَلِكَ . قَالَ دِمْنَةُ : أَمَا أَنَا فَلَسْتُ الْيَوْمَ أَرْجُو أَنْ تَزْدَادَ  
 مَنْزِلَتِي عِنْدَ الْأَسَدِ فَوْقَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنْ أَلْتَمِسُ أَنْ أَعُودَ  
 إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ : فَإِنَّ أُمُورًا ثَلَاثَةً الْعَاقِلُ جَدِيرٌ بِالنَّظَرِ فِيهَا ،  
 وَالْأَخْتِيَالُ لَهَا يُجْهَدُ : مِنْهَا النَّظَرُ فِيمَا مَضَى مِنَ الضَّرِّ وَالنَّفْعِ ،

فِيحْتَرِسُ مِنَ الضَّرِّ الَّذِي أَصَابَهُ فِيمَا سَلَفَ لَيْثًا يَعُودُ إِلَى ذَلِكَ  
الضَّرِّ ، وَيَلْتَمِسُ النَّفْعَ الَّذِي مَضَى وَيَحْتَالُ لِمُعَاوَدَتِهِ ، وَمِنْهَا  
النَّظَرُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ ، وَالِاسْتِثْقَابُ بِمَا  
يَنْفَعُ وَالْهَرَبُ بِمَا يَضُرُّ ، وَمِنْهَا النَّظَرُ فِي مُسْتَقْبَلِ مَا يَرْجُو مِنْ  
قَبْلِ النَّفْعِ ، وَمَا يَخَافُ مِنْ قَبْلِ الضَّرِّ ، فَيَسْتَتِمُّ مَا يَرْجُو وَيَتَوَقَّى  
مَا يَخَافُ بِجُهْدِهِ . وَإِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي بِهِ أَرْجُو  
أَنْ تَعُودَ مَنْزِلَتِي ، وَمَا غُلِبْتُ عَلَيْهِ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ ، لَمْ أَجِدْ  
حِيلَةً وَلَا وَجْهًا إِلَّا الْإِحْتِيَالَ لِأَكْلِ الْعُشْبِ هَذَا ، حَتَّى أُفْرِقَ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ : فَإِنَّهُ إِنْ فَارَقَ الْأَسَدَ عَادَتْ لِي مَنْزِلَتِي .  
وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَكُونُ خَيْرًا لِلْأَسَدِ : فَإِنَّ إِفْرَاطَهُ فِي تَقْرِيْبِ الثَّوْرِ  
خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ . قَالَ كِيلَةُ : مَا أَرَى عَلَى  
الْأَسَدِ فِي رَأْيِهِ فِي الثَّوْرِ وَمَكَانِهِ مِنْهُ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ شَيْنًا وَلَا شَرًّا .  
قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّمَا يُوتَى السُّلْطَانَ وَيُفْسَدُ أَمْرُهُ مِنْ قَبْلِ سِتَّةِ  
أَشْيَاءَ : الْحِرْمَانِ وَالْفِتْنَةِ وَالْهَوَى وَالْفِظَاظَةَ وَالزَّمَانَ وَالْحَرْقَ .

فَأَمَّا الْحَرَمَانُ فَإِنَّ يُحْرَمَ صَالِحَ الْأَعْوَانِ وَالنُّصَحَاءِ وَالسَّاسَةِ مِنْ  
 أَهْلِ الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَتَرَكَ التَّفَقُّدَ لِمَنْ هُوَ كَذَلِكَ . وَأَمَّا  
 الْفِتْنَةُ فَهِيَ تَحَارِبُ النَّاسِ وَوُقُوعُ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ . وَأَمَّا الْهُوَى  
 فَالْغَرَامُ بِالْحَدِيثِ وَاللَّهُوِ وَالشَّرَابِ وَالصَّيْدِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَأَمَّا  
 الْفِظَاطَةُ فَهِيَ إِفْرَاطُ الشَّدَّةِ حَتَّى يَجْمَحَ اللِّسَانُ بِالشَّتْمِ وَالْيَدُ  
 بِالْبَطْشِ فِي غَيْرِ مَوْضِعَيْهِمَا . وَأَمَّا الزَّمَانُ فَهُوَ مَا يُصِيبُ النَّاسَ  
 مِنَ السِّنِينَ وَالْمَوْتِ وَنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَالْغَزَوَاتِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ .  
 وَأَمَّا الْخُرْقُ فَإِعْمَالُ الشَّدَّةِ فِي مَوْضِعِ اللِّينِ ، وَاللِّينُ فِي مَوْضِعِ  
 الشَّدَّةِ . وَإِنَّ الْأَسَدَ قَدْ أُغْرِمَ بِالثَّوْرِ إِغْرَامًا شَدِيدًا هُوَ الَّذِي  
 ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيُضْرَهُ فِي أَمْرِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ :  
 وَكَيْفَ تُطِيقُ الثَّورَ وَهُوَ أَشَدُّ مِنْكَ وَأَكْرَمُ عَلَى الْأَسَدِ مِنْكَ  
 وَأَكْثَرُ أَعْوَانًا ؟ قَالَ دِمْنَةُ : لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِي وَضَعْفِي :  
 فَإِنَّ الْأُمُورَ لَيْسَتْ بِالضَّعْفِ وَلَا الْقُوَّةَ وَلَا الصِّغَرِ وَلَا الْكِبَرِ  
 فِي الْجُثَّةِ : فَرُبُّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ قَدْ بَلَغَ بِجِيلَتِهِ وَدَهَائِهِ وَرَأْيِهِ  
 مَا يَعْجِزُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ . أَوْلَمْ يَبَاغِكَ أَنَّ غُرَابًا ضَعِيفًا  
 اخْتَالَ لِأَسْوَدَ حَتَّى قَتَلَهُ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةٌ : زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا كَانَ لَهُ وَكَرُّ فِي شَجَرَةٍ عَلَى جَبَلٍ ،  
وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ بِحَرِّ ثُعْبَانٍ أَسْوَدَ ، فَكَانَ الْغُرَابُ إِذَا فَرَّخَ عَمَدَ  
الْأَسْوَدِ إِلَى فِرَاحِهِ فَأَكَلَهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الْغُرَابِ وَأَحْزَنَهُ ،  
فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ بَنَاتِ آوَى ، وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ  
مُشَاوَرَتَكَ فِي أَمْرٍ قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ  
الْغُرَابُ : قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْأَسْوَدِ إِذَا نَامَ ، فَأَنْقُرَ  
عَيْنَيْهِ ، فَأَفْقَاهُمَا ، لَعَلِّي أَسْتَرِيحُ مِنْهُ . قَالَ ابْنُ آوَى : بِئْسَ  
الْحِيلَةُ الَّتِي أَحْتَلْتُ ، فَالْتَمِسْ أَمْرًا تُصِيبُ فِيهِ بَغِيَّتَكَ مِنْ  
الْأَسْوَدِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُغَرَّرَ بِنَفْسِكَ وَتُخَاطِرَ بِهَا . وَإِيَّاكَ أَنْ  
يَكُونَ مِثْلَكَ مِثْلَ الْعُلْجُومِ <sup>(١)</sup> الَّذِي أَرَادَ قَتْلَ السَّرَطَانِ <sup>(٢)</sup> فَقَتَلَ  
نَفْسَهُ . قَالَ الْغُرَابُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ ابْنُ آوَى : زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا عَشَّشَ فِي أَجْمَةٍ كَثِيرَةٍ  
السَّمَكِ ، فَعَاشَ بِهَا مَا عَاشَ ، ثُمَّ هَرِمَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا ،  
فَأَصَابَهُ جُوعٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ ، فَجَلَسَ حَزِينًا يَلْتَمِسُ الْحِيلَةَ

(١) طائر أبيض . (٢) حيوان بحري معروف .



فِي أَمْرِهِ ، فَمَرَّ بِهِ سَرَطَانٌ ، فَرَأَى حَالَتَهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَآبَةِ  
 وَالْحُزْنِ ، فَدَنَا مِنْهُ وَقَالَ : مَا لِي أُرَاكَ أَيُّهَا الطَّائِرُ هَكَذَا حَزِينًا  
 كَثِيبًا ؟ قَالَ الْعُلْجُومُ : وَكَيْفَ لَا أُحْزَنُ وَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ  
 صَيْدِ مَا هَاهُنَا مِنَ السَّمَكِ ؟ وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ صَيَّادِينَ قَدْ  
 مَرَّ بِهَذَا الْمَكَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : إِنَّ هَاهُنَا سَمَكًا  
 كَثِيرًا أَفَلَا نَصِيدُهُ أَوْلًا ؟ فَقَالَ الْآخَرُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَكَانٍ  
 كَذَا سَمَكًا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا السَّمَكِ ، فَلَنَبْدَأُ بِذَلِكَ ، فَإِذَا فَرَّغْنَا  
 مِنْهُ جِئْنَا إِلَى هَذَا فَأَقْنِينَاهُ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا إِذَا فَرَّغَا مِمَّا  
 هُنَاكَ ، أَتَيْتُمَا إِلَى هَذِهِ الْأَجْمَةِ فَاصْطَادَا مَا فِيهَا ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ  
 فَهُوَ هَلَاكِي وَتَفَادُ مَدَّتِي . فَاذْطَلَقَ السَّرَطَانُ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى  
 جَمَاعَةِ السَّمَكِ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلْنَ إِلَى الْعُلْجُومِ فَاسْتَشَرْنَهُ ،  
 وَقُلْنَ لَهُ : إِنَّا أَتَيْنَاكَ لِتُشِيرَ عَلَيْنَا : فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ لَا يَدْعُ مُشَاوَرَةَ  
 عَدُوِّهِ . قَالَ الْعُلْجُومُ : أَمَّا مَكَابِرَةُ الصَّيَّادِينَ فَلَا طَاقَةَ لِي بِهِمَا ،  
 وَلَا أَعْلَمُ حِيلَةً إِلَّا الْمَصِيرَ إِلَى غَدِيرٍ قَرِيبٍ مِنْ هَاهُنَا ، فِيهِ سَمَكٌ  
 وَمِيَاهُ عَظِيمَةٌ وَقَصَبٌ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتِنِ الْإِنْتِقَالَ إِلَيْهِ ، كَانَ فِيهِ

صَلَاحُكُمْ وَخِصْبُكُمْ . فَقُلْنَا لَهُ : مَا يَمُنُّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ غَيْرُكَ .  
 فَعَلَّ الْعُلْجُومُ يَحْمِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَمَكَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمَا إِلَى  
 بَعْضِ التِّلَالِ<sup>(١)</sup> فَيَأْكُلُهُمَا ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ لِأَخْذِ  
 السَّمَكَيْنِ ؛ فَجَاءَهُ السَّرَطَانُ ؛ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَيْضًا قَدْ أَشْفَقْتُ  
 مِنْ مَكَانِي هَذَا وَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ فَأَذْهَبُ بِي إِلَى ذَلِكَ الْغَدِيرِ ؛  
 فَاحْتَمَلَهُ وَطَارَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ التِّلِ<sup>(٢)</sup> الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ  
 السَّمَكَ فِيهِ نَظَرَ السَّرَطَانُ فَرَأَى عِظَامَ السَّمَكِ بِمَجْمُوعَةٍ هُنَاكَ ؛  
 فَعَلِمَ أَنَّ الْعُلْجُومَ هُوَ صَاحِبُهَا ؛ وَأَنَّهُ يَرِيدُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ . فَقَالَ  
 فِي نَفْسِهِ : إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا  
 هَالِكٌ ، سِوَاءَ قَاتِلٍ أَمْ لَمْ يُقَاتِلْ ؛ كَانَ حَقِيقًا أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ  
 نَفْسِهِ كَرَمًا وَحِفَاطًا ، ثُمَّ أَهْوَى بِكَلْبَتَيْهِ عَلَى عُنُقِ الْعُلْجُومِ ،  
 فَعَصَرَهُ فَمَاتَ ؛ وَتَخَلَّصَ السَّرَطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ السَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ  
 بِذَلِكَ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْحِيلَةِ

(١) أفة . (٢) كلبنا السَّرَطَانُ : هما قرناء اللذان يشبهان الأداة التي يأخذ بها

الحداد الحديد المحي أو التي يخرج بها التجار المسامير من الخشب (الكاشة) .

مَهْلِكَةٌ لِلْمُحْتَالِ وَلَكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ ، إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهِ ،  
كَانَ فِيهِ هَلَاكُ الْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُهْلِكَ بِهِ نَفْسَكَ ، وَتَكُونَ  
فِيهِ سَلَامَتُكَ . قَالَ الْغُرَابُ : وَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ ابْنُ آوَى : تَنْطَلِقُ فَتَبْصُرُ فِي طَيْرَانِكَ : لَعَلَّكَ أَنْ تَظْفَرَ  
بِشَيْءٍ مِنْ حَلِيِّ النِّسَاءِ فَتَخْطِفُهُ ، وَلَا تَزَالُ طَائِرًا وَاقِعًا ، بِحَيْثُ  
لَا تَفُوتُ الْعَيُونَ ، حَتَّى تَأْتِيَ جُحْرَ الْأَسْوَدِ فَتَرْمِي بِالْحَلِيِّ عِنْدَهُ .  
فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَخَذُوا حَلِيهِمْ وَأَرَا حُوكَ مِنَ الْأَسْوَدِ .  
فَانْطَلَقَ الْغُرَابُ مُحَلِّقًا فِي السَّمَاءِ ، فَوَجَدَ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ الْعُظَمَاءِ  
فَوْقَ سَطْحٍ تَغْتَسِلُ ، وَقَدْ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا وَحَلِيَهَا نَاحِيَةً ، فَانْقَضَ  
وَاخْتَطَفَ مِنْ حَلِيهَا عِقْدًا ، وَطَارَ بِهِ ، فَتَبِعَهُ النَّاسُ ، وَلَمْ يَزَلْ  
طَائِرًا وَاقِعًا ، بِحَيْثُ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى جُحْرِ  
الْأَسْوَدِ ، فَأَلْقَى الْعِقْدَ عَلَيْهِ ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَتَوْهُ  
أَخَذُوا الْعِقْدَ وَقَتَلُوا الْأَسْوَدَ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ  
لِتَعْلَمَ أَنَّ الْحِيلَةَ تُجْرِي مَالًا تُجْرِي الْقُوَّةَ . قَالَ كَلِيلَةُ : إِنْ الثَّوْرَ

لَوْ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ شِدَّتِهِ رَأْيُهُ لَكَانَ كَمَا تَقُولُ . وَلَكِنَّ لَهُ مَعَ  
 شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ حُسْنَ الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ . فَمَاذَا تَسْتَطِيعُ لَهُ ؟ قَالَ  
 دِمْنَةٌ : إِنَّ الثَّورَ لَكَأَ ذَكَرْتَ فِي قُوَّتِهِ وَرَأْيِهِ ، وَلَكِنَّهُ مُقَرَّرٌ لِي  
 بِالْفَضْلِ ؛ وَأَنَا خَلِيقٌ أَنْ أَصْرَعُهُ كَمَا صَرَعَتِ الْأَرْبُ الْأَسَدَ .  
 قَالَ كَلِيلَةٌ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةٌ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ  
 وَالْعُشْبِ ؛ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ مِنَ الْوُحُوشِ فِي سَعَةِ الْمِيَاهِ  
 وَالْمَرْعَى شَيْءٌ كَثِيرٌ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذَلِكَ لِخَوْفِهَا مِنَ  
 الْأَسَدِ ؛ فَاجْتَمَعَتْ وَأَتَتْ إِلَى الْأَسَدِ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ  
 لَتُصِيبُ مِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ ؛ وَقَدْ رَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فِيهِ  
 صَلَاحٌ لَكَ وَأَمْنٌ لَنَا . فَإِنَّ أَنْتَ أَمْنَتِنَا وَلَمْ تُخَفِّنَا ، فَلَكَ عَلَيْنَا  
 فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نُرْسِلُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ : فَرَضِيَ الْأَسَدُ  
 بِذَلِكَ ، وَصَالِحَ الْوُحُوشِ عَلَيْهِ ، وَوَفَّيْنَاهُ بِهِ . ثُمَّ إِنَّ أَرْبًا  
 أَصَابَتْهَا الْقُرْعَةُ ، وَصَارَتْ غَدَاءَ الْأَسَدِ ؛ فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ :  
 إِنَّ أَنْتُمْ رَفَقْتُمْ بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكُمْ ؛ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنْ

الأَسَدِ . فَقَالَتِ الْوُحُوشُ : وَمَا الَّذِي تُكَلِّفِينَا مِنَ الْأُمُورِ ؟  
 قَالَتْ : تَأْمُرُنَ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى الْأَسَدِ أَنْ يَمْهَلَنِي رِيثًا <sup>بمهلة</sup>  
 أَبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْإِبْطَاءِ . فَقُلْنَ لَهَا ذَلِكَ لَكَ . فَاَنْطَلَقَتْ  
 الْأَرْنبُ مُتَبَاطِئَةً ، حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ يَتَغَدَّى فِيهِ  
 الْأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَخَدَهَا رُوَيْدًا ، وَقَدْ جَاعَ ، فَغَضِبَ  
 وَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا ، فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ ؟ قَالَتْ :  
 أَنَا رَسُولُ الْوُحُوشِ إِلَيْكَ : بَعَثَنِي <sup>ببها</sup> وَمَعِيَ أَرْنبٌ لَكَ ، فَتَسْبِعْنِي  
 أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ الطَّرِيقِ ، فَأَخَذَهَا مِنِّي ، وَقَالَ : أَنَا أَوْلَى  
 بِهَذِهِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْوَحْشِ . فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا غَدَاءُ الْمَلِكِ  
 أَرْسَلَنِي بِهِ الْوُحُوشُ إِلَيْهِ . فَلَا تَغْضِبْنَهُ ، فَسَبَّكَ وَشَتَمَكَ .  
 فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً لِأَخْبِرَكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : انْطَلِقِي مَعِيَ فَأَرِينِي  
 مَوْضِعَ هَذَا الْأَسَدِ . فَاَنْطَلَقَتْ الْأَرْنبُ إِلَى جُوبٍ فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ  
 صَافٍ ، فَاطَّلَعَتْ فِيهِ ، وَقَالَتْ : هَذَا الْمَكَانُ . فَاطَّاعَ <sup>ببها</sup> الْأَسَدُ ،  
 فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ الْأَرْنبِ فِي الْمَاءِ ، فَلَمْ يَسُكْ فِي قَوْلِهَا ، وَوَثَبَ  
 إِلَيْهِ لِيُقَاتِلَهُ ، فَغَرِقَ فِي الْجُوبِ . فَاَنْقَلَبَتِ الْأَرْنبُ إِلَى الْوُحُوشِ

فَاعَلَمْتَهُنَّ صَنِيعَهَا بِالْأَسَدِ . قَالَ كَيْلَةُ : إِنْ قَدَرْتَ عَلَى هَلَاكِ  
 الثَّورِ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ مَضْرَةٌ لِلْأَسَدِ فَشَانِكِ <sup>بِشَيْءٍ</sup> : فَإِنَّ الثَّورَ قَدْ أَضْرَبَ  
 وَبِكَ وَبَغَيْرِنَا مِنَ الْجُنْدِ ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرِ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِهَلَاكِ  
 الْأَسَدِ ، فَلَا تُقَدِّمِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ غَدْرٌ مِنِّي وَمِنْكَ . ثُمَّ إِنْ دِمْنَةُ  
 تَرَكَ الدُّخُولَ عَلَى الْأَسَدِ أَيَّامًا كَثِيرَةً ، ثُمَّ أَتَاهُ عَلَى خَلْوَةٍ مِنْهُ ،  
 فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا حَبَسَكَ عَنِّي ؟ مُنْذُ زَمَانٍ لَمْ أَرَكَ . أَلَا لِحَيْرٍ  
 كَانَ انْقِطَاعُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : فَلْيَكُنْ خَيْرًا أَيُّهَا الْمَلِكُ . قَالَ الْأَسَدُ :  
 وَهَلْ حَدَّثَ أَمْرٌ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَ مَا لَمْ يَكُنِ الْمَلِكُ يُرِيدُهُ  
 وَلَا أَحَدٌ مِنْ جُنْدِهِ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : كَلَامٌ فَظِيعٌ .  
 قَالَ : أَخْبِرْنِي بِهِ . قَالَ دِمْنَةُ إِنَّهُ كَلَامٌ يَكْرَهُهُ سَامِعُهُ ، وَلَا  
 يَشْجَعُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ . وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَذُو فَضِيلَةٍ ، وَرَأْيُكَ يَدُلُّكَ  
 عَلَى أَنْ يُوَجِّعَنِي أَنْ أَقُولَ مَا تَكْرَهُ ، وَاتَّقِ بِكَ أَنْ تَعْرِفَ نَصِيحِي  
 وَإِثَارِي إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِي . وَإِنَّهُ لَيَعْرِضُ لِي أَنَّكَ غَيْرُ مُصَدِّقٍ  
 فِيمَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ ، وَلَكِنِّي إِذَا تَدَثَّرْتُ وَتَفَكَّرْتُ أَنْ نَفُوسَنَا ، مَعَاشِرَ  
 الْوُحُوشِ ، مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ أَدَاءِ الْحَقِّ الَّذِي يَلْزَمُنِي

وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْنِي وَخِيفْتُ إِلَّا تَقْبِلَ مِنِّي فَإِنَّهُ يُقَالُ : مَنْ كَتَمَ  
السُّلْطَانَ نَصِيحَتَهُ وَالْإِخْوَانَ رَأْيَهُ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ . قَالَ الْأَسَدُ :  
فَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَنِي الْأَمِينُ الصَّدُوقُ عِنْدِي أَنَّ شَتْرِبَةَ خَلَا  
بِرْعُوسَ جُنْدِكَ ، وَقَالَ : قَدْ خَبَرْتُ الْأَسَدَ وَبَلَوْتُ رَأْيَهُ وَمَكِيدَتَهُ  
وَقُوَّتَهُ : فَاسْتَبَانَ لِي أَنَّ ذَلِكَ يَتَوَلَّى مِنْهُ إِلَى ضَعْفٍ وَعَجْزٍ ،  
وَسَيَكُونُ لِي وَلَهُ شَأْنٌ مِنَ الشُّئُونِ . فَلَمَّا بَلَغَنِي ذَلِكَ عَلِمْتُ  
أَنَّ شَتْرِبَةَ خَوَانَ غَدَارًا ، وَأَنَّكَ أَكْرَمْتَهُ الْكِرَامَةَ كُلَّهَا ، وَجَعَلْتَهُ  
نَظِيرَ نَفْسِكَ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مِثْلُكَ . وَأَنَّكَ مَتَى زِلْتَ عَنْ مَكَانِكَ  
صَارَ لَهُ مُدْكُكَ ، وَلَا يَدْعُ جُهْدًا إِلَّا بَلَغَهُ فِيكَ . وَقَدْ كَانَ  
يُقَالُ : إِذَا عَرَفَ الْمَلِكُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ قَدْ سَاوَاهُ فِي الْمَنْزِلَةِ  
وَالْحَالِ ، فَلْيَصْرَعْهُ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ذَلِكَ ، كَانَ هُوَ الْمَصْرُوعَ .  
وَشَتْرِبَةُ أَعْلَمُ بِالْأُمُورِ وَأَبْلَغُ فِيهَا ، وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَحْتَمِلُ لِلْأَمْرِ  
قَبْلَ تَمَامِهِ وَوُقُوعِهِ : فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ وَلَا تَسْتَدْرِكُهُ .  
فَإِنَّهُ يُقَالُ : الرَّجَالُ ثَلَاثَةٌ : حَازِمٌ وَأَحْزَمٌ مِنْهُ وَعَاجِزٌ ، فَأَحَدُ

الْحَازِمِينَ مَنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ لَهُ ، وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ  
 شَعَاعًا ، وَلَمْ تَعِيَ بِهِ حِيلَتُهُ وَمَكِيدَتُهُ الَّتِي يَرْجُو بِهَا الْخُرْجَ مِنْهُ ؛  
 وَأَحْزَمٌ مِنْ هَذَا الْمُتَقَدِّمِ ذُو الْعُدَّةِ الَّذِي يَعْرِفُ الْإِبْتِلَاءَ قَبْلَ  
 وَقُوعِهِ ؛ فَيُعِظُمُهُ إِعْظَامًا ، وَيَحْتَسِلُ لَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ لَزِمَهُ ؛  
 فَيَحْسِمُ الدَّاءَ قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِهِ ؛ وَيَدْفَعُ الْأَمْرَ قَبْلَ وَقُوعِهِ .  
 وَأَمَّا الْعَاجِزُ فَهُوَ فِي تَرَدُّدٍ وَتَمَنٍّ وَتَوَانٍ حَتَّى يَهْلِكَ . وَمِنْ أَمْثَالِ  
 ذَلِكَ مَثَلُ السَّمَكَاتِ الثَّلَاثِ . قَالَ الْأَسَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟  
 قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ سَمَكَاتٍ : كَيْسَةُ  
 وَأَكْيَسُ مِنْهَا وَعَاجِزَةٌ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ الْغَدِيرُ بِنَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ  
 لَا يَكَادُ يَقْرِبُهُ أَحَدٌ ؛ وَيَقْرِبُهُ نَهْرٌ جَارٍ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ اجْتَازَ بِذَلِكَ  
 النَّهْرِ صَيَّادَانِ ؛ فَأَبْصَرَ الْغَدِيرَ ، فَتَوَاعَدَا أَنْ يَرْجِعَا إِلَيْهِ بِشِبَا كِلَيْهِمَا  
 فَيَصِيدَا مَا فِيهِ مِنَ السَّمَكِ . فَسَمِعَ السَّمَكَاتُ قَوْلَهُمَا : فَأَمَّا  
 أَكْيَسُهُنَّ لَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُمَا ، وَارْتَابَتْ بِهِمَا ، وَتَخَوَّفَتْ مِنْهُمَا ؛  
 فَلَمْ تَعْرِجْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى نَحَرَجَتْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ



الماء من النهر إلى الغدير . وأما الكيسة فإنها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان ، فلما رأتهما ، وعرفت ما يريدان ، ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء ، فإذا بهما قد سدا ذلك المكان فحيدت قالت : فرطت ، وهذه عاقبة التفريط ، فكيف الحيلة على هذه الحال ؟ وقلما تنجع حيلة العجلة والإرهاق ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ، ولا يئس على حال ، ولا يدع الرأي والجهد . ثم إنها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة ، وتارة على بطنها ، فأخذها الصيادان فوضعاها على الأرض بين النهر والغدير ، فوثبت إلى النهر فنجت . وأما العاجزة فلم تزل في إقبان وإدبار حتى صيدت .

قال الأسد : قد فهمت ذلك ، ولا أظن الثور يغشني ويرجو لي الغوائل . وكيف بفعل ذلك ولم يرمني سوءاً قط ؟ ولم أدع خيراً إلا فعلته معه ؟ ولا أؤمنه إلا بلغته إياها ؟ . قال دمنة : إن اللئيم لا يزال نافعاً ناصحاً حتى يرفع إلى المنزلة التي ليس لها

بِأَهْلِ ۚ فَإِذَا بَلَغَهَا التَّمَسَّ مَا فَوْقَهَا ۚ وَلَا سِيَّأَ أَهْلُ الْحَيَاةِ  
 وَالْفُجُورِ : فَإِنَّ اللَّئِيمَ الْفَاجِرَ لَا يَخْدُمُ السُّلْطَانَ وَلَا يَنْصَحُ لَهُ إِلَّا  
 مِنْ فَرْقٍ . فَإِذَا اسْتَعْنَى وَذَهَبَتِ الْهَيْبَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ ۚ كَذَنبِ  
 الْكَلْبِ الَّذِي يَرْبُطُ لِيَسْتَقِيمَ فَلَا يَزَالُ مُسْتَوِيًّا مَا دَامَ مُرْبُوطًا ۚ  
 فَإِذَا حُلَّ انْحَنَى وَاعْوَجَ كَمَا كَانَ . وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ  
 مِنْ نَصْحَانِهِ مَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ مِمَّا يَنْصَحُونَ لَهُ بِهِ ، لَمْ يَحْمَدِ رَأْيَهُ ۚ  
 كَالْمَرِيضِ الَّذِي يَدْعُ مَا يَبْعَثُ لَهُ الطَّيِّبُ ۚ وَيَعْمَدُ إِلَى  
 مَا يَسْتَهِيهِ . وَحَقٌّ عَلَى مُوَازِرِ السُّلْطَانَ أَنْ يُبَالِغَ فِي التَّخَضُّعِ  
 لَهُ عَلَى مَا يَزِيدُ سُلْطَانَهُ قُوَّةً وَيَزِينُهُ ۚ وَالْكَفَّ عَمَّا يَضُرُّهُ وَيَسِينُهُ ۚ  
 وَخَيْرُ الْإِخْوَانِ وَالْأَعْوَانِ أَقْلَهُمْ مَدَاهِنَةً فِي النَّصِيحَةِ ۚ وَخَيْرُ  
 الْأَعْمَالِ أَحْلَاهَا عَاقِبَةً ۚ وَخَيْرُ النِّسَاءِ الْمُوَافِقَةُ لِبَعْلِهَا ۚ وَخَيْرُ  
 النِّسَاءِ مَا كَانَ عَلَى أَفْوَاهِ الْأَخْيَارِ ۚ وَأَشْرَفُ الْمُلُوكِ مَنْ لَمْ يُخَالِطْهُ  
 بَطْرٌ ۚ وَخَيْرُ الْأَخْلَاقِ أَعُونَهَا عَلَى النُّورِ . وَقَدْ قِيلَ : لَوْ أَنَّ  
 أَمْرًا تَوَسَّدَ النَّارَ وَافْتَرَشَ الْحَيَاتِ ، كَانَ أَحَقَّ أَلَّا يَهْنَتْهُ النَّوْمُ .

وَالرَّجُلُ إِذَا أَحَسَّ مِنْ صَاحِبِهِ بَعْدَاوَةَ يُرِيدُهُ بِهَا ، لَا يَطْمَئِنُّ  
إِلَيْهِ ، وَأَعْجَزُ الْمُلُوكِ آخِذُهُمْ بِالْهُوَيْنِ ، وَأَقْلَهُمْ نَظْرًا فِي مُسْتَقْبَلِ  
الْأُمُورِ ، وَأَشْبَهُهُمْ بِالْفَيْلِ الْهَائِجِ الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ :  
فَإِنْ حَزِبَهُ أَمْرٌ تَهَاوَنَ بِهِ ، وَإِنْ أَضَاعَ الْأُمُورَ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى  
قُرْنَانِهِ . قَالَ لَهُ الْأَسَدُ : لَقَدْ أَغْلَظْتَ فِي الْقَوْلِ ، وَقَوْلُ النَّاصِحِ  
مَقْبُولٌ مَحْمُولٌ . وَإِنْ كَانَ شَرِبَةً مُعَادِيًا لِي ، كَمَا تَقُولُ ، فَإِنَّهُ  
لَا يَسْتَطِيعُ لِي ضَرًّا ، وَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ آكِلُ عُشْبٍ  
وَأَنَا آكِلُ لَحْمٍ ؟ وَإِنَّمَا هُوَ لِي طَعَامٌ ، وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ .  
ثُمَّ لَيْسَ إِلَى الْغَدْرِ بِهِ سَبِيلٌ بَعْدَ الْأَمَانِ الَّذِي جَعَلْتَهُ لَهُ ، وَبَعْدَ  
إِكْرَامِي لَهُ ، وَثَنَائِي عَلَيْهِ . وَإِنْ غَيَّرْتُ مَا كَانَ مِنِّي وَبَدَّلْتَهُ ،  
سَفَهْتُ رَأْيِي وَجَهَلْتُ نَفْسِي وَغَدَرْتُ بِدِمَّتِي . قَالَ دِمْنَةُ :  
لَا يَغُرُّكَ قَوْلُكَ : هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ : فَإِنَّ شَرِبَةَ  
إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْكَ بِنَفْسِهِ اخْتَالَ لَكَ مِنْ قَبْلِ غَيْرِهِ . وَيُقَالُ :  
إِنْ اسْتَضَافَكَ ضَيْفٌ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ  
فَلَا تَأْمَنُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تَأْمَنُ أَنْ يَصِلَكَ مِنْهُ أَوْ بِسَبَبِهِ  
مَا أَصَابَ الْقَمَلَةَ مِنَ الْبُرْغُوثِ . قَالَ الْأَسَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةٌ : زَعَمُوا أَنَّ قَمَلَةً لَزِمَتْ فِرَاشَ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ  
 دَهْرًا فَكَانَتْ تُصِيبُ مِنْ دَمِهِ وَهُوَ نَائِمٌ لَا يَشْعُرُ ، وَتَدَبُّ  
 دَيْبًا رَفِيقًا ، فَكَثُرَتْ كَذَلِكَ حِينًا حَتَّى اسْتَضَافَهَا لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي  
 بَرُغُوثٌ ، فَقَالَتْ لَهُ : بَيْتَ اللَّيْلَةِ عِنْدَنَا فِي دَمٍ طَيِّبٍ وَفِرَاشٍ لَيِّنٍ ،  
 فَأَقَامَ الْبَرُغُوثُ عِنْدَهَا حَتَّى إِذَا أَوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ وَثَبَّ عَلَيْهِ  
 الْبَرُغُوثُ فَلَدَغَهُ لَدَغَةً أَيْقَظَتْهُ ، وَأَطَارَتْ النَّوْمَ عَنْهُ ، فَقَامَ الرَّجُلُ  
 وَأَمَرَ أَنْ يُفْتَشَ فِرَاشَهُ ، فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ إِلَّا الْقَمَلَةَ ، فَأَخَذَتْ  
 فُقِصَعَتِ<sup>(١)</sup> وَفَرَّ الْبَرُغُوثُ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ  
 أَنَّ صَاحِبَ الشَّرِّ لَا يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهِ أَحَدٌ ، وَإِنْ هُوَ ضَعُفَ عَنِ  
 ذَلِكَ جَاءَ الشَّرُّ بِسَبَبِهِ . وَإِنْ كُنْتَ لَا تَخَافُ مِنْ شَتْرَبَةٍ ، نَخَفَ  
 غَيْرُهُ مِنْ جُنْدِكَ الَّذِينَ قَدْ حَمَلَهُمْ عَلَيْكَ وَعَلَى عَدَاوَتِكَ . فَوَقَعَ  
 فِي نَفْسِ الْأَسَدِ كَلَامُ دِمْنَةَ . فَقَالَ : فَمَا الَّذِي تَرَى إِذَا ؟  
 وَبِمَاذَا تُشِيرُ ؟ قَالَ دِمْنَةٌ : إِنَّ الضُّرْسَ لَا يَزَالُ مُتَأَكِّلًا ، وَلَا  
 يَزَالُ صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي أَلِيمٍ وَأَذَى حَتَّى يُفَارِقَهُ . وَالطَّعَامُ الَّذِي

(١) قتلت بالظفر . (٢) أغرام .

قَدْ عَفِنَ فِي الْبَطْنِ ، الرَّاحَةُ فِي قَدْفِهِ . وَالْعَدِيُّوُ الْمَخُوفُ ، دَوَاوُهُ  
 قَتْلُهُ . قَالَ الْأَسَدُ : لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَكْرَهُ مَجَاوِرَةَ شَتْرِبَةَ إِيَّايَ ،  
 وَأَنَا مُرْسِلٌ إِلَيْهِ ، وَذَاكَ لَهُ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ ، ثُمَّ أَمْرُهُ  
 بِاللَّحَاقِ حَيْثُ أَحَبَّ . فَكَّرَهُ دِمْنَةُ ذَلِكَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْأَسَدَ مَتَى  
 كَلَّمَ شَتْرِبَةَ فِي ذَلِكَ وَسَمِعَ مِنْهُ جَوَابًا عَرَفَ بِاطِّلَ مَا أَتَى بِهِ ،  
 وَاطَّلَعَ عَلَى غَدْرِهِ وَكَذِبِهِ ، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَقَالَ لِلْأَسَدِ :  
 أَمَا إِسْأَلُكَ إِلَى شَتْرِبَةَ فَلَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا وَلَا حَزْمًا ، فَلْيَنْظُرِ الْمَلِكُ  
 فِي ذَلِكَ : فَإِنَّ شَتْرِبَةَ مَتَى شَعَرَ بِهَذَا الْأَمْرِ ، خِيفَتْ أَنْ يُعَاجِلَ  
 الْمَلِكُ بِالْمُكَابَرَةِ . وَهُوَ إِنْ قَاتَلَكَ قَاتَلَكَ مُسْتَعِدًّا ، وَإِنْ  
 فَارَقَكَ ، فَارَقَكَ فِرَاقًا يَلِيكَ مِنْهُ النَّقْصُ ، وَيَلْزَمُكَ مِنْهُ الْعَارُ .  
 مَعَ أَنَّ ذَوِي الرَّأْيِ مِنَ الْمُلُوكِ لَا يُعْلِنُونَ عُقُوبَةَ مَنْ لَمْ يُعْلِنِ  
 ذَنْبَهُ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ ذَنْبٍ عِنْدَهُمْ عُقُوبَةٌ : فَلِذَنْبِ الْعَلَانِيَةِ عُقُوبَةٌ  
 الْعَلَانِيَّةُ ، وَلِذَنْبِ السَّرِّ عُقُوبَةٌ السَّرُّ . قَالَ الْأَسَدُ : إِنْ الْمَلِكُ  
 إِذَا عَاقَبَ أَحَدًا عَنْ ظَنَّةٍ ظَنَّهَا مِنْ غَيْرِ تَيَقُّنٍ بِجُرْمِهِ ، فَنَفْسُهُ

عَاقَبَ وَإِيَّاهَا ظَلَمَ . قَالَ دِمْنَةُ : أَمَا إِذَا كَانَ هَذَا رَأَى الْمَلِكِ ،  
فَلَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ شُرْبَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لَهُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصِيبَكَ  
مِنْهُ غُرَّةٌ أَوْ غَفْلَةٌ : فَإِنِّي لَا أَحْسِبُ الْمَلِكَ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا  
سَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ بِعَظِيمَةٍ . وَمِنْ عِلَامَاتِ ذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى  
لَوْنَهُ مُتَغَيِّرًا ، وَتَرَى أَوْصَالَه تَرَعْدُ ، وَتَرَاهُ مُلْتَفِتًا يَمِينًا وَشِمَالًا ،  
وَتَرَاهُ يَهْرُقُ قَرْنِيهِ فِعْلَ الَّذِي هَمَّ بِالنِّطَاحِ وَالْقِتَالِ . قَالَ الْأَسَدُ :  
سَأَكُونُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ ، وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْتَ  
عَلِمْتُ أَنَّ مَا فِي أَمْرِهِ شَكٌّ .

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ حَمْلِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّورِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ  
وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ يَلْتَمِسُ ، وَأَنَّ الْأَسَدَ سَيَتَحَدَّرُ الثَّورَ ،  
وَيَتَهَيَّأُ لَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ الثَّورَ لِيُغْرِبَهُ بِالْأَسَدِ ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ  
إِثْيَانَهُ مِنْ قِبَلِ الْأَسَدِ مَخَافَةً أَنْ يَبْلُغَهُ ذَلِكَ فَيَتَأَدَّى بِهِ . فَقَالَ :  
أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَّا آتِي شُرْبَةٌ فَأَنْظُرْ إِلَى حَالِهِ وَأَمْرِهِ ، وَأَسْمَعْ  
كَلَامَهُ : لَعَلِّي أَطَّلِعُ عَلَى سِرِّهِ ، فَأُطَّلِعَ الْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ ، وَعَلَى  
مَا يَظْهَرُ لِي مِنْهُ ؟ فَأَذِنَ لَهُ الْأَسَدُ فِي ذَلِكَ . فَأَنْطَلَقَ فَدَخَلَ

عَلَى شَتْرَبَةَ كَالْكَيْبِ الْحَزِينِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الثَّورُ رَحَّبَ بِهِ ،  
 وَقَالَ : مَا كَانَ سَبَبَ انْقِطَاعِكَ عَنِّي ؟ فَإِنِّي لَمْ أَرَكَ مُنْذُ أَيَّامٍ ،  
 وَلَعَلَّكَ فِي سَلَامَةٍ ! قَالَ دِمْنَةُ : وَمَتَى كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّلَامَةِ  
 مَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ ، وَأَمْرُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ فَمَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ ، وَلَا  
 يَنْفِكُ عَلَى خَطَرٍ وَخَوْفٍ . حَتَّى مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ وَيَأْمَنُ فِيهَا  
 عَلَى نَفْسِهِ . قَالَ شَتْرَبَةُ : وَمَا الَّذِي حَدَّثَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ :  
 حَدَّثَ مَا قُدِّرَ وَهُوَ كَائِنٌ . وَمَنْ ذَا الَّذِي غَالَبَ الْقَدَرَ ؟ وَمَنْ  
 ذَا الَّذِي بَلَغَ مِنَ الدُّنْيَا جَسْمًا مِنَ الْأُمُورِ فَلَمْ يَبْطُرْ ؟ وَمَنْ  
 ذَا الَّذِي بَلَغَ مِنْهَا فَلَمْ يَغْتَرَّ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ  
 يَخْسَرْ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي طَلَبَ مِنَ اللَّثَامِ فَلَمْ يُحْرَمْ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي  
 خَالَطَ الْأَشْرَارَ فَسَلِمَ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي صَحِبَ السُّلْطَانَ فَدَامَ لَهُ  
 مِنْهُ الْأَمْنُ وَالْإِحْسَانُ ؟ قَالَ شَتْرَبَةُ : إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ كَلَامًا يَدُلُّ  
 عَلَى أَنَّهُ قَدْ رَأَيْتَ مِنَ الْأَسَدِ رَيْبًا ، وَهَالِكًا مِنْهُ أَمْرًا . قَالَ  
 دِمْنَةُ : أَجَلٌ ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي أَمْرِ نَفْسِي .  
 قَالَ شَتْرَبَةُ : فَنَفْسٍ مِنْ رَأَيْتَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ تَعَلَّمُ مَا بَيْنِي

وَبَيْنَكَ ، وَتَعْلَمُ حَقَّكَ عَلَيَّ ، وَمَا كُنْتُ جَعَلْتُ لَكَ مِنَ الْعَهْدِ  
 وَالْمِيثَاقِ أَيَّامَ أَرْسَلَنِي الْأَسَدُ إِلَيْكَ ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ حِفْظِكَ  
 وَإِطْلَاعِكَ عَلَيَّ مَا أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ . قَالَ  
 شَرَبَةُ : وَمَا الَّذِي بَلَغَكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَنِي الْخَبِيرُ الصَّدُوقُ  
 الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِي قَوْلِهِ أَنَّ الْأَسَدَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ :  
 قَدْ أُعْجِبَنِي سَمْنُ الثَّورِ ، وَلَيْسَ لِي إِلَى حَيَاتِهِ حَاجَةٌ ، فَأَنَا آكِلُهُ  
 وَمُطْعِمُ أَصْحَابِي مِنْ لَحْمِهِ . فَلَمَّا بَلَغَنِي هَذَا الْقَوْلُ ، وَعَرَفْتُ  
 غَدْرَهُ وَنَقْضَ عَهْدِهِ ، أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ لِأَقْضِيَ حَقَّكَ ، وَتَحْتَالَ  
 أَنْتَ لِأَمْرِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ شَرَبَةُ كَلَامَ دِمْنَةَ ، وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ  
 دِمْنَةُ جَعَلَ لَهُ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، وَفَكَرَفِي أَمْرَ الْأَسَدِ ، ظَنَّ  
 أَنَّ دِمْنَةَ قَدْ صَدَقَهُ وَنَصَحَ لَهُ ، وَرَأَى أَنَّ الْأَمْرَ شَبِيهُ بِمَا قَالَ  
 دِمْنَةُ . فَأَهَمَّهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَا كَانَ لِلْأَسَدِ أَنْ يَغْدِرَ بِي وَلَمْ  
 آتِ إِلَيْهِ ذَنْبًا ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ جُنْدِهِ ، مُنْذُ صَحِبْتَهُ ، وَلَا  
 أَظُنُّ الْأَسَدَ إِلَّا قَدْ حَمَلَ عَلَيَّ بِالْكَذِبِ وَشَبِهَ عَلَيْهِ أَمْرِي : فَإِنَّ  
 الْأَسَدَ قَدْ صَحِبَهُ قَوْمٌ سَوَاءٌ ، وَجَرَّبَ مِنْهُمْ الْكَذِبَ وَأُمُورًا هِيَ



تُصَدِّقُ عِنْدَهُ مَا بَلَغَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ : فَإِنَّ صُحْبَةَ الْأَشْرَارِ رُبَّمَا  
أُورِثَتْ صَاحِبَهَا سُوءَ ظَنٍّ بِالْأَخْيَارِ ، وَحَمَلَتْهُ تَجْرِبَتُهُ عَلَى الْخَطَا  
كَخَطَا الْبَطَّةِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ ، فَظَنَّتْهُ  
سَمَكَةً ، فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا ، فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِرَارًا ،  
عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ فَتَرَكَتُهُ . ثُمَّ رَأَتْ مِنْ غَدِ ذَلِكَ  
الْيَوْمِ سَمَكَةً ، فَظَنَّتْ أَنَّهَا مِثْلُ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ ، فَتَرَكَتَهَا  
وَلَمْ تَطْلُبْ صَيْدَهَا . فَإِنْ كَانَ الْأَسَدُ بَلَغَهُ عَنِّي كَذِبٌ فَصَدَقَهُ  
عَلَى وَصِيغَتِهِ فِي ، فَمَا جَرَى عَلَى غَيْرِي يَجْرِي عَلَى . وَإِنْ كَانَ  
لَمْ يَبْلُغْهُ شَيْءٌ ، وَأَرَادَ السُّوءَ بِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ  
أَعْجَبَ الْأُمُورِ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : إِنْ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَطْلُبَ  
الرَّجُلُ رِضًا صَاحِبِهِ وَلَا يَرْضَى . وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَلْتَمِسَ  
رِضَاهُ فَيَسْخَطَ . فَإِذَا كَانَتِ الْمَوْجِدَةُ <sup>(١)</sup> عَنْ عِلَّةٍ ، كَانَ الرِّضَا  
مَوْجُودًا وَالْعَفْوُ مَأْمُولًا . وَإِذَا كَانَتْ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ، انْقَطَعَ  
الرَّجَاءُ : لِأَنَّ الْعِلَّةَ إِذَا كَانَتِ الْمَوْجِدَةَ فِي وُجُودِهَا ، كَانَ الرِّضَا  
مَأْمُولًا فِي صُدُورِهَا .

قَدْ نَظَرْتُ : فَلَا أَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَسَدِ جُرْمًا ، وَلَا صَغِيرَ  
 ذَنْبٍ ، وَلَا كَبِيرَهُ . وَلَعَمْرِي مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَطَالَ صُحْبَةَ  
 صَاحِبٍ أَنْ يَحْتَرِسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَا أَنْ يَحْفَظَ  
 مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ صَغِيرَةً أَوْ كَبِيرَةً يَكْرَهُهَا صَاحِبُهُ ؛ وَلَكِنْ الرَّجُلُ  
 إِذَا الْعَقْلُ وَذَا الْوَفَاءُ إِذَا سَقَطَ عِنْدَهُ صَاحِبُهُ سَقَطَتْ نَظَرُ فِيهَا ،  
 وَعَرَفَ قَدْرَ مَبْلَغِ خَطْئِهِ عَمْدًا كَانَ أَوْ خَطَأً . ثُمَّ يَنْظُرُ هَلْ  
 فِي الصَّفْحِ عَنْهُ أَمْرٌ يَخَافُ ضَرَرَهُ وَشَيْنَهُ ؟ فَلَا يُؤَاخِذُ صَاحِبَهُ  
 بِشَيْءٍ يَجِدُ فِيهِهِ إِلَى الصَّفْحِ عَنْهُ سَبِيلًا . فَإِنْ كَانَ الْأَسَدُ قَدْ  
 اعْتَقَدَ عَلَى ذَنْبٍ ، فَلَسْتُ أَعْلَمُ ؛ إِلَّا أَنِّي خَالَفْتُهُ فِي بَعْضِ  
 رَأْيِهِ نَصِيحَةً لَهُ ؛ فَعَسَاهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَنْزَلَ أَمْرِي عَلَى الْجَرَاءَةِ  
 عَلَيْهِ وَالْمُخَالَفَةِ لَهُ ؛ وَلَا أَجِدُ لِي فِي هَذَا الْمُحْضَرِ إِثْمًا مَا : لِأَنِّي  
 لَمْ أَخَالَفْهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا مَا قَدْ نَدِرُ مِنَ مُخَالَفَةِ الرَّشِدِ وَالْمَنْفَعَةِ  
 وَالدِّينِ ؛ وَلَمْ أَجَاهِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى رُءُوسِ جُنْدِهِ وَعِنْدَ  
 أَصْحَابِهِ ؛ وَلَكِنِّي كُنْتُ أَخْلُو بِهِ وَأَكَلِمُهُ سِرًّا كَلَامَ الْهَائِبِ الْمَوْقِرِ .  
 وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مِنَ التَّمِينِ الرَّخِصِ مِنَ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْمَشَاوِرَةِ ،

وَمِنَ الْأَطِبَّاءِ عِنْدَ الْمَرِيضِ ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ ، أَخْطَأُ  
 مَنَافِعَ الرَّأْيِ ؛ وَازْدَادَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ تَوَرُّطًا ، وَحَمَلٌ  
 الْوِزْرَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ  
 سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ : فَإِنَّ مُصَاحِبَةَ السُّلْطَانِ خَطِرَةٌ ، وَإِنْ  
 صُوحِبَ بِالسَّلَامَةِ وَالثِّقَةِ وَالْمُودَةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ . وَإِنْ لَمْ  
 يَكُنْ هَذَا ، فَبَعْضُ مَا أُوتِيَتْ مِنَ الْفَضْلِ قَدْ جُعِلَ لِي فِيهِ  
 الْهَلَاكُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا هَذَا ، فَهُوَ إِذَا مِنْ مَوَاقِعِ  
 الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ ؛ وَالْقَدْرُ هُوَ الَّذِي يَسْلُبُ الْأَسَدَ  
 قُوَّتَهُ وَشِدَّتَهُ ؛ وَيُدْخِلُهُ الْقَبْرَ ؛ وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الرَّجُلَ الضَّعِيفَ  
 عَلَى ظَهْرِ الْفِيلِ الْهَائِجِ ؛ وَهُوَ الَّذِي يُسَلِّطُ عَلَى الْحَيَّةِ ذَاتِ الْحُمَةِ  
 مَنْ يَنْزِعُ حُمَّتَهَا وَيَلْعَبُ بِهَا ؛ وَهُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الْعَاجِزَ حَازِمًا ،  
 وَيُنَبِّطُ الشَّهْمَ ، وَيُوسِعُ عَلَى الْمُقْتِرِ ، وَيُشْجِعُ الْجَبَانَ ، وَيَجْبِنُ  
 الشُّجَاعَ عِنْدَ مَا تَعْتَرِيهِ الْمَقَادِيرُ مِنَ الْعَدْلِ الَّتِي وَضَعَتْ عَلَيْهَا  
 الْأَقْدَارُ .

قَالَ دِمْنَةٌ: إِنَّ إِرَادَةَ الْأَسَدِ بِكَ لَيْسَتْ مِنْ تَحْمِيلِ الْأَشْرَارِ وَلَا  
 سَكْرَةِ السُّلْطَانِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهَا الْغَدْرُ وَالْفُجُورُ مِنْهُ :  
 فَإِنَّهُ فَاجِرٌ خَوَّانٌ غَدَّارٌ : لِطَعَامِهِ حَلَاوَةٌ وَأَخْرَهُ سَمٌ مُمِيتٌ . قَالَ  
 شَتْرَبَةُ : فَأَرَانِي قَدْ اسْتَلَذَذْتُ الْحَلَاوَةَ إِذْ ذُقْتُهَا : وَقَدْ انْتَهَيْتُ  
 إِلَى أَخْرِهَا الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ ؛ وَلَوْلَا الْحَيْنُ مَا كَانَ مَقَامِي عِنْدَ  
 الْأَسَدِ ، وَهُوَ آكِلُ لَحْمٍ وَأَنَا آكِلُ عُشْبٍ فَأَنَا فِي هَذِهِ الْوَرِطَةِ  
 كَالنَّحْلَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَى نَوْرِ النَّيْلُوفِرِ إِذْ تَسْتَلِثُ رِيحَهُ وَطَعْمَهُ ،  
 فَتَحْبِسُهَا تِلْكَ اللَّذَّةُ ؛ فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ يَنْضَمُّ عَلَيْهَا ، فَتَرْتَبِكُ فِيهِ  
 وَتَمُوتُ . وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْكَفَافِ الَّذِي يُغْنِيهِ  
 وَطَمَحَتْ عَيْنُهُ إِلَى مَا سِوَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَتَخَوَّفْ عَاقِبَتَهَا ، كَانَ  
 كَالذُّبَابِ الَّذِي لَا يَرْضَى بِالشَّجَرَةِ وَالرِّيَّاحِينَ ، وَلَا يُقْنِعُهُ ذَلِكَ ،  
 حَتَّى يَطْلُبَ الْمَاءَ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أُذُنِ الْفِيلِ ، فَيَضْرِبُهُ الْفِيلُ  
 بِأَذَانِهِ فَيُهْلِكُهُ . وَمَنْ يَبْدُلُ وُدَّهُ وَنَصِيحَتَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ ،  
 فَهُوَ كَمَنْ يَبْدُرُ فِي السِّبَاخِ . وَمَنْ يُشْرِعَ عَلَى الْمُعْجَبِ ، فَهُوَ كَمَنْ

يَسْأُورُ الْمَيْتَ أَوْ يُسَارُّ الْأَصَمَّ . قَالَ دِمْنَةُ : دَعَّ عَنْكَ هَذَا  
 الْكَلَامَ وَاحْتَلَّ لِنَفْسِكَ . قَالَ شَتْرَبَةُ : بِأَيِّ شَيْءٍ اُحْتَالَ  
 لِنَفْسِي ، إِذَا أَرَادَ الْأَسَدُ أَكْلِي ، مَعَ مَا عَرَفْتَنِي مِنْ رَأْيِ الْأَسَدِ  
 وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ ؟ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرِدْ بِي إِلَّا خَيْرًا ، ثُمَّ أَرَادَ أَصْحَابُهُ  
 بِمَكْرِهِمْ وَبِجُورِهِمْ هَلَاكِي لَقَدَرُوا عَلَيَّ ذَلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ  
 الْمَكْرَةُ الظَّلْمَةُ عَلَى الْبَرِيِّ الصَّحِيحِ ، كَانُوا خُلُقَاءً أَنْ يَهْلِكُوهُ ،  
 وَإِنْ كَانُوا ضَعْفَاءً وَهَوْ قَوِيًّا ، كَمَا أَهْلَكَ الذِّبُّ وَالْغُرَابُ وَابْنُ  
 آوَى الْجَمَلِ ، حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ وَالْحَيَانَةِ .  
 قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ شَتْرَبَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِطَرِيقِ  
 مِنْ طُرُقِ النَّاسِ ، وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ  
 وَابْنُ آوَى ، وَأَنَّ رِعَاءَهُ مَرُّوا بِذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَمَعَهُمْ جَمَالٌ ،  
 فَتَخَلَّفَ مِنْهَا بَمَلٍّ ، فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدِ ؛  
 فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ كَذَّابٍ .  
 قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تُقِيمُ

عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخُصْبِ . فَأَقَامَ الْأَسَدُ وَالْجَمَلُ  
مَعَهُ زَمَانًا طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ  
الصَّيْدَ ، فَلَقِيَ فَيْلًا عَظِيمًا ، فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَفَلَتَ  
مِنْهُ مُثَقَلًا مُشَخَّنًا بِالْجِرَاحِ ، يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ ، وَقَدْ خَدَشَهُ الْفَيْلُ  
بِأَنْبَابِهِ . فَلَهَا وَصَلَ إِلَى مَكَانِهِ ، وَقَعَ لَا يَسْتَطِيعُ حَرَاكًا ،  
وَلَا يَقْدِرُ عَلَى طَلَبِ الصَّيْدِ ، فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَأَبْنُ آوَى  
أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا : لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ  
الْأَسَدِ وَطَعَامِهِ ، فَأَصَابَهُمْ جُوعٌ شَدِيدٌ وَهَزَالٌ ، وَعَرَفَ  
الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ<sup>(١)</sup> وَاحْتَجَمْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ .  
فَقَالُوا : لَا تَهْمُنَا أَنْفُسُنَا : لِكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ .  
فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيُصْلِحُهُ . قَالَ الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ  
فِي نَصِيحَتِكُمْ ، وَلَكِنْ أَنْتَشِرُوا لِعَلَّكُمْ تُصِيبُونَ صَيْدًا تَأْتُونَنِي بِهِ ؛  
فِيُصِيبَنِي وَيُصِيبُكُمْ مِنْهُ رِزْقٌ . فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ  
وَأَبْنُ آوَى مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ ، فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً ، وَتَشَاوَرُوا فِيمَا

(١) جهد : حصل له مشقة .

بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : مَا لَنَا وَهَذَا الْاِكْلِ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ  
 مِنْ شَأْنِنَا ، وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا ؟ اَلَا نَزِينُ لِلْاَسَدِ فَيَأْكُلُهُ  
 وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ ؟ قَالَ ابْنُ اَوَى : هَذَا مِمَّا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ  
 لِلْاَسَدِ : لِاَنَّهُ قَدْ اَمَّنَ الْجَمَلُ ، وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ عَهْدًا .  
 قَالَ الْغُرَابُ : اَنَا اَكْفِيكُمْ اَمْرَ الْاَسَدِ . ثُمَّ اَنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى  
 الْاَسَدِ ، فَقَالَ لَهُ الْاَسَدُ : هَلْ اَصَبْتَ شَيْئًا ؟ قَالَ الْغُرَابُ :  
 اِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ . وَاَمَّا نَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا  
 بَصَرَ : لِمَا بِنَا مِنَ الْجُوعِ ، وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا لِرَأْيِ وَاجْتَمَعْنَا  
 عَلَيْهِ ، اِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ . قَالَ الْاَسَدُ : وَمَا  
 ذَاكَ ؟ قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ اَكَلَ الْعُشْبَ الْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا  
 مِنْ غَيْرِ مَنَفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ ، وَلَا رَدِّ عَائِدَةٍ ، وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ  
 مَصْلَحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْاَسَدُ ذَلِكَ غَضِبَ وَقَالَ : مَا اَخْطَا  
 رَأْيِكَ ، وَمَا اَعْجَزَ مَقَالِكَ ، وَاَبْعَدَكَ مِنَ الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ ! وَمَا  
 كُنْتَ حَقِيقًا اَنْ تَجْتَرِيَّ عَلَى بِيْهِهِ الْمَقَالَةِ ، وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا  
 الْخَطَابِ ، مَعَ مَا عَلِمْتَ مِنْ اَنِّي قَدْ اَمَنْتُ الْجَمَلَ ، وَجَعَلْتُ لَهُ

مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَبْلُغَكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَّصِدُقْ مُتَّصِدِقٌ بِصِدْقَةٍ هِيَ  
 أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْسًا خَائِفَةً ، وَحَقَّنَ دَمًا مُهْدِرًا ؟ وَقَدْ  
 أَمَّنْتَهُ وَلَسْتُ بِغَادِرٍ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ  
 الْمَلِكُ ، وَلَكِنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ ، وَأَهْلُ  
 الْبَيْتِ تُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ ، وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ ،  
 وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَاءُ الْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ ، وَأَنَا  
 أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا ، عَلَى أَلَّا يَتَكَلَّفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ ، وَلَا  
 يَلِيَهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا ، وَلِكِنَّا نَحْتَالُ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلَهُ  
 فِيهَا إِصْلَاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا  
 الْخِطَابِ . فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ ،  
 فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلِ ، عَلَى أَنْ يَجْتَمَعَ نَحْنُ  
 وَالْجَمَلُ عِنْدَ الْأَسَدِ ، فَنَذُرُ مَا أَصَابَهُ ، وَنَتَوَجَّعُ لَهُ اهْتِمَامًا مِنَّا  
 بِأَمْرِهِ ، وَخِرْصًا عَلَى صِلَاحِهِ ، وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ  
 عَلَيْهِ تَجْمَلًا لِيَأْكُلَهُ ، فَيَرُدُّ الْأَخْرَانَ عَلَيْهِ ، وَيُسْفِهَانِ رَأْيَهُ ،  
 وَيُبَيِّنَانِ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ ، سَلِمْنَا كُلَّنَا وَرَضِيَ



الْأَسَدُ عَنَّا . فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ ؛ فَقَالَ الْغُرَابُ :  
 قَدْ اِحْتَجَجْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقْوِيكَ ؛ وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ  
 أَنْفُسَنَا لَكَ : فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ ؛ فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا  
 بَقَاءٌ بَعْدَكَ ، وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ ؛ فَلْيَأْكُنِي الْمَلِكُ :  
 فَقَدْ طِبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّئْبُ وَأَبْنُ آوَى أَنْ أَسْكُتَ ؛  
 فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَمْكِكَ ؛ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ آوَى  
 لَكِنَ أَنَا أَشْبِعُ الْمَلِكَ ، فَلْيَأْكُنِي : فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ ،  
 وَطِبْتُ عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا : إِنَّكَ  
 لَمُنْتِنٌ قَدِيرٌ . قَالَ الذِّئْبُ : إِنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ ، فَلْيَأْكُنِي الْمَلِكُ ،  
 فَقَدْ سَمَّخْتُ بِذَلِكَ ، وَطِبْتُ عَنْهُ نَفْسًا ؛ فَاعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَأَبْنُ  
 آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ فَإِنَّمَا كُلَّ  
 لَحْمٍ ذَنْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ ،  
 التَّمَسُّوا لَهُ عُدْرًا كَمَا التَّمَسُّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْأَعْدَارَ ، فَيَسْلَمُ  
 وَيَرْضَى الْأَسَدُ عَنْهُ بِذَلِكَ ، وَيَنْجُو مِنَ الْمَهَالِكِ . فَقَالَ :  
 لَكِنَ أَنَا فِي لِلْمَلِكِ شَيْعٌ وَرَى ؛ وَلَحْمِي طَيِّبٌ هَنِيٌّ ، وَبَطْنِي

نَظِيفٌ ، فَلْيَأْكُنِي الْمَلِكُ ، وَيُطْعِمِ أَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ : فَقَدْ رَضِيْتُ  
بِذَلِكَ ، وَطَابَتْ نَفْسِي عَنْهُ ، وَسَمَّحَتْ بِهِ . فَقَالَ الذَّبُّ  
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَكَرَّمَ . وَقَالَ مَا عَرِفَ .  
ثُمَّ إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَمَزَقُوهُ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ  
الْأَسَدِ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى هَلَاكِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَمْتِنَعَ مِنْهُمْ ،  
وَلَا أَحْتَرِسَ ، وَإِنْ كَانَ رَأَى الْأَسَدِ لِي عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ  
فِي ، فَلَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ ، وَلَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا . وَقَدْ يُقَالُ : خَيْرُ  
السَّلَاطِينِ مَنْ عَدَلَ فِي النَّاسِ . وَلَوْ أَنَّ الْأَسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ  
لِي إِلَّا الْخَيْرُ وَالرَّحْمَةُ ، لَغَيَّرْتُهُ كَثْرَةَ الْأَقَاوِيلِ : فَإِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ  
لَمْ تَلْبَثْ دُونَ أَنْ تُذْهِبَ الرِّقَّةَ وَالرَّافَةَ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَاءَ لَيْسَ  
كَالْقَوْلِ ، وَأَنَّ الْحَجَرَ أَشَدَّ مِنَ الْإِنْسَانِ ؟ فَالْمَاءُ إِذَا دَامَ  
انْحِدَارُهُ عَلَى الْحَجَرِ لَمْ يَلْبَثْ حَتَّى يثْقَبَهُ وَيُوَثِّرَ فِيهِ . وَكَذَلِكَ  
الْقَوْلُ فِي الْإِنْسَانِ . قَالَ دِمْنَةُ : فَمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ الْآنَ ؟  
قَالَ شَتْرَبَةُ : مَا أَرَى إِلَّا الْجِهَادَ وَالْمُجَاهَدَةَ بِالْقِتَالِ : فَإِنَّهُ لَيْسَ

لِلْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ ، وَلَا لِلْمُتَصَدِّقِ فِي صَدَقَتِهِ ، وَلَا لِلْوَرَعِ  
 فِي وَرَعِهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا لِلْمُجَاهِدِ عَنْ نَفْسِهِ ، إِذَا كَانَتْ مُجَاهِدَتُهُ  
 عَلَى الْحَقِّ . قَالَ دِمْنَةُ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُخَاطِرَ بِنَفْسِهِ ، وَهُوَ  
 يَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ وَلَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ جَاعِلُ الْقِتَالِ آخِرَ الْحَيْلِ ؛  
 وَبَادِي قَبْلَ ذَلِكَ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ رِفْقٍ وَتَمَحُّلٍ . وَقَدْ قِيلَ :  
 لَا تَحْقِرَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ الْمُهِينِ ، وَلَا سِيَّأَ إِذَا كَانَ ذَا حِيلَةٍ  
 وَيَقْدِرُ عَلَى الْأَعْوَانِ ؛ فَكَيْفَ بِالْأَسَدِ عَلَى جِرَاءَتِهِ وَشِدَّتِهِ ؟ فَإِنَّ  
 مَنْ حَقَرَ عَدُوَّهُ لِيُضَعِّفَهُ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ وَكَيْلَ الْبَحْرِ مِنَ  
 الطَّيْطَوَى قَالَ شَرَبَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟<sup>(١)</sup>

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ طَائِرًا مِنْ طُيُورِ الْبَحْرِ يُقَالُ لَهُ الطَّيْطَوَى  
 كَانَ وَطَنُهُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَمَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ  
 أَوَانُ تَفْرِيجِهِمَا قَالَتِ الْأُنْثَى لِلذَّكَرِ : لَوْ التَّمَسْنَا مَكَانًا حَرِيزًا  
 نَفْرَخُ فِيهِ : فَإِنِّي أَخْشَى مِنْ وَكَيْلِ الْبَحْرِ إِذَا مَدَّ الْمَاءُ أَنْ  
 يَذْهَبَ بِفِرَاحِنَا . فَقَالَ لَهَا : أَفْرِجِي مَكَانَكَ : فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لَنَا ؛

(١) الطيطوى : ضرب من القطا .

وَالْمَاءُ وَالزَّهْرُ مِنَّا قَرِيبٌ . قَالَتْ لَهُ : يَا غَافِلُ لِيَحْسُنْ نَظْرَكَ :  
فِيَّيْ أَخَافُ وَكَيْلَ الْبَحْرِ أَنْ يَذْهَبَ بِفِرَاحِنَا . فَقَالَ لَهَا : أَفْرِحِي  
مَكَانَكَ : فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَشَدَّ تَعَنُّتَكَ <sup>(١)</sup> !  
أَمَا تَذَكُرُ وَعَيْدَهُ وَتَهْدِدُهُ إِيَّاكَ ؟ أَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ ؟ فَبَابِي  
أَنْ يُطِيعَهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهَا ، قَالَتْ لَهُ :  
إِنْ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ النَّاصِحِ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ السُّلْحَفَاةَ حِينَ لَمْ  
تَسْمَعْ قَوْلَ الْبَطَّيْنِ . قَالَ الذَّكْرُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟  
قَالَتْ الْأُنْثَى : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ ، وَكَانَ فِيهِ  
بَطَّانٌ وَكَانَ فِي الْغَدِيرِ سُلْحَفَاةٌ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَطَّيْنِ مَوَدَّةٌ  
وَصَدَاقَةٌ . فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ ذَلِكَ الْمَاءُ ، بِجَاءَتِ الْبَطَّانِ لَوْدَاعِ  
السُّلْحَفَاةِ ، وَقَالَتَا : السَّلَامُ عَلَيْكَ فَإِنَّا ذَاهِبَتَانِ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ  
لِأَجْلِ نَقْصَانِ الْمَاءِ عَنْهُ . فَقَالَتْ : إِنَّمَا يَبِينُ نَقْصَانُ الْمَاءِ  
عَلَى مِثْلِي : فَإِنِّي كَأَنِّي السَّفِينَةُ لَا أَقْدِرُ عَلَى الْعَيْشِ إِلَّا بِالْمَاءِ .  
فَأَمَّا أَنْتُمَا فَتَقْدِرَانِ عَلَى الْعَيْشِ حَيْثُ كُنْتُمَا . فَاذْهَبَا بِي مَعَكُمْ .

(١) التعت : إدخال المشقة .

قَالَتَا لَهَا : نَعَمْ . قَالَتْ : كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى حَمَلِي ؟ قَالَتَا :  
 نَأْخُذُ بِطَرْفِي عُوْدٍ ، وَتَتَعَلَّقِينَ بِوَسَطِهِ ؛ وَنَطِيرُ بِكَ فِي الْجَوِّ .  
 وَإِيَّاكَ ، إِذَا سَمِعَتِ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ ، أَنْ تَنْطِقِي . ثُمَّ أَخَذَتَاهَا  
 فَطَارَتَا بِهَا فِي الْجَوِّ . فَقَالَ النَّاسُ : عَجَبٌ : سُلْحَفَاءُ بَيْنَ  
 بَطَّيْنِ ، قَدْ حَمَلَتَاهَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قَالَتْ : فَقَا اللَّهُ أَعْيُنَكُمْ  
 أَيُّهَا النَّاسُ ، فَلَمَّا فَتَحَتْ فَاَهَا بِالنُّطْقِ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ  
 فَمَاتَتْ . قَالَ الذَّكْرُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَاتِكَ ، فَلَا تَخَافِي وَكَيْلَ  
 الْبَحْرِ . فَلَمَّا مَدَّ الْمَاءُ ذَهَبَ بِفِرَاحِهِمَا . فَقَالَتِ الْأُنْثَى :  
 قَدْ عَرَفْتُ فِي بَدءِ الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا كَائِنٌ . قَالَ الذَّكْرُ : سَوْفَ  
 أَنْتَقِمُ مِنْهُ . ثُمَّ مَضَى إِلَى جَمَاعَةِ الطَّيْرِ فَقَالَ لَهُنَّ : إِنَّكُمْ أَخَوَاتِي  
 وَثِقَاتِي : فَأَعِنِّي . قُلْنَ : مَاذَا تُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ ؟ قَالَ :  
 تَجْتَمِعْنَ وَتَذْهَبْنَ مَعِيَ إِلَى سَائِرِ الطَّيْرِ ، فَنَشْكُو إِلَيْهِنَّ مَا لَقِيتُ  
 مِنْ وَكَيْلِ الْبَحْرِ ؛ وَنَقُولُ لَهُنَّ : إِنَّكُمْ طَيْرٌ مِثْلُنَا : فَأَعِينَا .  
 فَقَالَتْ لَهُ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ : إِنَّ الْعَنْقَاءَ هِيَ سَيِّدَتُنَا وَمَلِكَتُنَا :  
 فَاذْهَبِي بِنَا إِلَيْهَا حَتَّى نَصْبِحَ بِهَا ، فَتَظْهَرِ لَنَا ؛ فَنَشْكُو إِلَيْهَا

مَا نَالَكَ مِنْ وَكَيْلِ الْبَحْرِ ، وَنَسَأَهَا أَنْ تَنْتَقِمَ لَنَا مِنْهُ بِقُوَّةِ مُلْكِهَا .  
 ثُمَّ إِنَّهُنَّ ذَهَبْنَ إِلَيْهَا مَعَ الطَّيْطَوَى ، فَاسْتَعْنَتْهَا ، وَصَحْنَ بِهَا ،  
 فَتَرَأَتْ لهنَّ فَأَخْبَرَتْهَا بِقِصَّتِهِنَّ ، وَسَأَلَتْهَا أَنْ تَسِيرَ مَعَهُنَّ إِلَى  
 مُحَارِبَةِ وَكَيْلِ الْبَحْرِ ، فَأَجَابَتْهُنَّ إِلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا عَلِمَ وَكَيْلُ  
 الْبَحْرِ أَنَّ الْعَنْقَاءَ قَدْ قَصَدَتْهُ فِي جَمَاعَةِ الطَّيْرِ خَافَ مِنْ مُحَارِبَةِ  
 مَلِكٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ . فَرَدَّ فِرَاحَ الطَّيْطَوَى ، وَصَالِحَهُ  
 فَرَجَعَتِ الْعَنْقَاءُ عَنْهُ .

وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْقِتَالَ مَعَ الْأَسَدِ  
 لَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا . قَالَ شَتْرَبَةُ : فَمَا أَنَا بِمُقَاتِلِ الْأَسَدِ ،  
 وَلَا نَاصِبٍ لَهُ الْعَدَاوَةَ سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً وَلَا مُتَغَيِّرٍ لَهُ عَمَّا كُنْتُ  
 عَلَيْهِ ، حَتَّى يَبْدُو لِي مِنْهُ مَا أَخْوَفُ فَأَغَالِبُهُ . فَكَرِهَ دِمْنَةُ قَوْلَهُ ،  
 وَعَلِمَ أَنَّ الْأَسَدَ إِنْ لَمْ يَرِ مِنَ الثَّوْرِ الْعَلَامَاتِ الَّتِي كَانَ ذَكَرَهَا لَهُ  
 أَتَمَّهُمْ وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ . فَقَالَ دِمْنَةُ لِشَتْرَبَةَ : اذْهَبِي إِلَى الْأَسَدِ  
 فَسَتَعْرِفُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ مَا يُرِيدُ مِنْكَ . قَالَ شَتْرَبَةُ : وَكَيْفَ  
 أَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : سَتَرَى الْأَسَدَ حِينَ تَدْخُلُ عَلَيْهِ

مُقْعِيًا عَلَى ذَنْبِهِ ، رَافِعًا صَدْرَهُ إِلَيْكَ ، مَاذَا بَصَرُهُ نَحْوِكَ ، قَدْ  
صَرَ أذُنِيهِ ، وَفَغَرَ فَاهُ ، وَاسْتَوَى لِلنَّوْثِيَةِ . قَالَ شَتْرَبَةُ : إِنْ رَأَيْتُ  
هَذِهِ الْعَلَامَاتِ مِنَ الْأَسَدِ عَرَفْتُ صِدْقَكَ فِي قَوْلِكَ . ثُمَّ إِنْ دِمْنَةٌ  
لَمَّا فَرَّغَ مِنْ حَمْلِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّوْرِ ، وَالثَّوْرُ عَلَى الْأَسَدِ تَوَجَّهَ  
إِلَى كَلِيلَةَ . فَلَمَّا اتَّقِيَا ، قَالَ كَلِيلَةُ : إِيَّامَ أَنْتَهَى عَمَلُكَ  
الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَرِيبٌ مِنَ الْفَرَاحِ عَلَى مَا أُحِبُّ  
وَتُحِبُّ . ثُمَّ إِنْ كَلِيلَةُ وَدِمْنَةُ انْطَلَقَا جَمِيعًا لِيَحْضُرَا قِتَالَ  
الْأَسَدِ وَالثَّوْرِ ، وَيَنْظُرَا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا ، وَيُعَايِنَا مَا يَتَوَلَّى إِلَيْهِ  
أَمْرُهُمَا . وَجَاءَ شَتْرَبَةُ ، فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَرَأَاهُ مُقْعِيًا كَمَا  
وَصَفَّهُ لَهُ دِمْنَةُ ، فَقَالَ : مَا صَاحِبُ السُّلْطَانِ إِلَّا كَصَاحِبِ  
الْحَيَّةِ الَّتِي فِي مَبِيتِهِ وَمَقِيلِهِ ، فَلَا يَدْرِي مَتَى تَهْبِجُ بِهِ .  
ثُمَّ إِنْ الْأَسَدُ نَظَرَ إِلَى الثَّوْرِ فَرَأَى الدَّلَالَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا لَهُ  
دِمْنَةُ : فَلَمْ يَشْكُ أَنَّهُ جَاءَ لِقِتَالِهِ . فَوَائِبُهُ ، وَنَسَأُ بَيْنَهُمَا الْحَرْبُ ،  
وَاشْتَدَّ قِتَالُ الثَّوْرِ وَالْأَسَدِ ، وَطَالَ ، وَسَالَتْ بَيْنَهُمَا الدَّمَاءُ .

فَلَمَّا رَأَى كِيلَةَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ بَلَغَ مِنْهُ مَا قَدْ بَلَغَ . قَالَ لِذِمْنَةَ :  
 أَيُّهَا الْفَسَلُ<sup>(١)</sup> مَا أَنْكَرَ جَهْلَتَكَ وَأَسْوَأَ عَاقِبَتِكَ فِي تَدْبِيرِكَ ! قَالَ  
 ذِمْنَةُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ كِيلَةُ : جُرِحَ الْأَسَدُ وَهَلَكَ الثَّورُ . وَإِنَّ  
 أَنْحَرَقَ الْخُرْقَ مِنْ حَمَلٍ صَاحِبَهُ عَلَى سُوءِ الْخَلْقِ وَالْمُبَارَزَةِ وَالْقِتَالِ ،  
 وَهُوَ يَجِدُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ سَبِيلًا . وَإِنَّ الْعَاقِلَ يُدَبِّرُ الْأَشْيَاءَ وَيَقِيسُهَا  
 قَبْلَ مُبَاشَرَتِهَا : فَكَارِجًا أَنْ يَتِمَّ لَهُ مِنْهَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ ، وَمَا خَافَ أَنْ  
 يَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْهَا انْحِرَافَ عَنْهُ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . وَإِنِّي لِأَخَافُ  
 عَلَيْكَ عَاقِبَةَ بَغْيِكَ هَذَا : فَإِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ الْقَوْلَ وَلَمْ تُحْسِنِ  
 الْعَمَلَ . أَيْنَ مُعَاهَدَتُكَ إِيَّايَ أَنَّكَ لَا تَضُرُّ بِالْأَسَدِ فِي تَدْبِيرِكَ ؟  
 وَقَدْ قِيلَ : لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ ، وَلَا فِي الْفِقْهِ إِلَّا  
 مَعَ الْوَرَعِ ، وَلَا فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا مَعَ النِّيَّةِ ، وَلَا فِي الْمَالِ إِلَّا  
 مَعَ الْجُودِ ، وَلَا فِي الصِّدْقِ إِلَّا مَعَ الْوَفَاءِ ، وَلَا فِي الْحَيَاةِ إِلَّا  
 مَعَ الصُّحَّةِ ، وَلَا فِي الْأَمْنِ إِلَّا مَعَ السُّرُورِ .

(١) الفسل : الرذل الذي لامرؤة له .



وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَدَبَ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ الطَّيْشَ ، وَيَزِيدُ الْأَخْمَقَ  
طَيْشًا ، كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ نَظْرًا ، وَيَزِيدُ الْخَفَّاشَ  
سُوءَ النَّظْرِ .

وَقَدْ أَذْكَرَنِي أَمْرُكَ شَيْئًا سَمِعْتَهُ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِنَّ السُّلْطَانَ  
إِذَا كَانَ صَالِحًا ، وَوُزَرَؤُهُ وَوُزَرَؤُهُ سُوءٌ ، مَنَعُوا خَيْرَهُ ، فَلَا يَقْدِرُ  
أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ . وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْمَاءِ الطَّيِّبِ الَّذِي فِيهِ  
التَّمَّاسِيحُ : لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ ، وَإِنْ كَانَ إِلَى الْمَاءِ  
مُحْتَاجًا . وَأَنْتَ يَا دِمْنَةُ أَرَدْتَ إِلَّا يَدْنُو مِنَ الْأَسَدِ أَحَدٌ سِوَاكَ .  
وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَصِحُّ وَلَا يَتِمُّ أَبَدًا . وَذَلِكَ لِامْتِلِ الْمَضْرُوبِ :  
إِنَّ الْبَحْرَ بِأَمْوَاغِهِ ، وَالسُّلْطَانَ بِأَصْحَابِهِ . وَمِنَ الْجَمْعِ الْحِرْصُ  
عَلَى التَّمَّاسِ الْإِنْخَوَانِ بِغَيْرِ الْوَفَاءِ لَهُمْ ، وَطَلَبِ الْأَنْحَرَةِ بِالرِّيَاءِ ،  
وَنَفْعِ النَّفْسِ بِضَرِّ الْغَيْرِ . وَمَا عِظْتِي وَتَأْدِيبِي إِيَّاكَ إِلَّا كَمَا قَالَ  
الرَّجُلُ لِلطَّائِرِ : لَا تَلْتَمِسِ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ ، وَلَا تُعَالِجِ  
تَأْدِيبَ مَنْ لَا يَتَادَبُ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ كَلِيلَةٌ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقِرَدَةِ كَانُوا سُكَّانًا فِي جَبَلٍ ،  
 فَالْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَّاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا ، فَلَمْ يَجِدُوا ،  
 فَارَأَوْا يِرَاعَةً <sup>(١)</sup> تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ نَارٍ ، فَظَنُّوْهَا نَارًا ، وَجَمَعُوا حَطَبًا  
 كَثِيرًا فَالْتَقَوْهُ عَلَيْهَا ، وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ طَمَعًا أَنْ يُوقِدُوا نَارًا  
 يَصْطَلُونَ بِهَا مِنَ الْبَرْدِ . <sup>(٢)</sup> وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ ، يَنْظُرُ  
 إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ  
 لَا تَتَّعِبُوا فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ  
 عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيُنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ  
 مَا عَزَمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ  
 فَإِنَّ الْحَجَرَ الْمَانِعَ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجْرَبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ  
 وَالْعُودَ الَّذِي لَا يَنْخَنِي لَا يُعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ : فَلَا تَتَّعِبْ . فَأَجِدُ  
 الطَّائِرَ أَنْ يُطِيعَهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِرَدَةِ لِيَعْرِفَهُمْ أَنَّ الْيِرَاعَةَ لَيْسَتْ  
 بِنَارٍ . فَتَنَاوَلَهُ بَعْضُ الْقِرَدَةِ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ فَمَاتَ . فَهَذَا

(١) اليراع : ذباب يطير بالليل كأنه نار . (٢) يستدفنون . (٣) الصلْد

مَثَلِي مَعَكَ فِي ذَلِكَ . ثُمَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخُبُّ <sup>(١)</sup> وَالْفُجُورُ ، وَهُمَا  
خَلَّتَا سُوءًا ، وَالْخُبُّ شَرُّهُمَا عَاقِبَةً . وَلِهَذَا مَثَلٌ . قَالَ دِمْنَةُ :  
وَمَا ذَلِكَ الْمَثَلُ ؟

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ خُبًّا <sup>(٢)</sup> وَمُغْفَلًا اشْتَرَكَا فِي تِجَارَةٍ وَسَافَرَا ،  
فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الطَّرِيقِ ، إِذْ تَخَلَّفَ الْمُغْفَلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ،  
فَوَجَدَ كَيْسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَأَخَذَهُ ، فَأَحْسَسَ بِهِ الْخُبُّ ،  
فَرَجَعَا إِلَى بَلَدِهِمَا ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ قَعَدَا لِاقْتِسَامِ  
الْمَالِ . فَقَالَ الْمُغْفَلُ : خُذْ نِصْفَهُ وَأَعْطِنِي نِصْفَهُ ، وَكَانَ  
الْخُبُّ قَدْ قَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِالْأَلْفِ بِجَمِيعِهِ . فَقَالَ لَهُ :  
لَا نَقْتَسِمُ ، فَإِنَّ الشَّرِيكَةَ وَالْمُفَاوِضَةَ أَقْرَبُ إِلَى الصَّفَاءِ وَالْمُخَالَطَةِ ،  
وَلَكِنْ أَخَذْ نَفَقَةً ، وَتَأْخُذْ مِثْلَهَا ، وَنَدْفِنُ الْبَاقِيَّ فِي أَصْلِ هَذِهِ  
الشَّجَرَةِ : فَهُوَ مَكَانُ حَرِيرٍ . فَإِذَا اخْتَجْنَا جِثْنَا أَنَا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ  
حَاجَتَنَا مِنْهُ ، وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ . فَأَخَذَا مِنْهُ يُسِيرًا ، وَدَفَنَا

(١) الخُبُّ : المفسد الخداع اللئيم . (٢) الخُبُّ : المفسد الخداع اللئيم .

(١) الْبَاقِي فِي أَصْلِ دَوْحَةٍ ، وَدَخَلَ الْبَلَدَ . ثُمَّ إِنَّ الْخَبَّ خَالَفَ  
 الْمُغْفَلَ إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذَهَا ، وَسَوَّى الْأَرْضَ كَمَا كَانَتْ .  
 وَجَاءَ الْمُغْفَلُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَشْهُرٍ فَقَالَ لِلْخَبِّ : قَدْ اخْتَجْتُ إِلَى  
 نَفْقَةٍ فَانْطَلِقْ بِنَا نَأْخُذْ حَاجَتَنَا ، فَقَامَ الْخَبُّ مَعَهُ وَذَهَبَا  
 إِلَى الْمَكَانِ فَحَفَرَا ، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا . فَأَقْبَلَ الْخَبُّ عَلَى وَجْهِهِ  
 يَأْطِمُهُ يَقُولُ : لَا تَغْتَرَّ بِصُحْبَةِ صَاحِبٍ : خَالَفْتَنِي إِلَى الدَّنَانِيرِ  
 فَأَخَذْتَهَا . فَجَعَلَ الْمُغْفَلُ يَحْلِفُ وَيَلْعَنُ آخِذَهَا وَلَا يَزْدَادُ  
 الْخَبُّ إِلَّا شِدَّةً فِي اللَّظْمِ . وَقَالَ : مَا أَخَذَهَا غَيْرُكَ . وَهَلْ  
 شَعَرْتَهَا أَحَدٌ سِوَاكَ ؟ ثُمَّ طَالَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا ، فَتَرَا فَعَا  
 إِلَى الْقَاضِي ، فَاقْتَصَّ الْقَاضِي قِصَّتَهُمَا ، فَادَّعَى الْخَبُّ  
 أَنَّ الْمُغْفَلَ أَخَذَهَا ، وَجَحَدَ الْمُغْفَلُ . فَقَالَ لِلْخَبِّ : أَلَيْكَ عَلَى  
 دَعْوَاكَ بَيِّنَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ الشَّجَرَةُ الَّتِي كَانَتْ الدَّنَانِيرُ عِنْدَهَا  
 تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْمُغْفَلَ أَخَذَهَا . وَكَانَ الْخَبُّ قَدِ امْرَأً أَبَاهُ أَنْ يَذْهَبَ  
 فَيَتَوَارَى فِي الشَّجَرَةِ بِحَيْثُ إِذَا سُئِلَتْ أَجَابَ . فَذَهَبَ أَبُو الْخَبِّ

فَدَخَلَ جَوْفَ الشَّجَرَةِ . ثُمَّ إِنَّ الْقَاضِيَ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ  
 الْخَبِّ أَكْبَرَهُ ، وَانْطَلَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَالْخَبُّ وَالْمُغْفَلُ مَعَهُ ، حَتَّى  
 وَافَى الشَّجَرَةَ ، فَسَأَلَهَا عَنِ الْخَبْرِ . فَقَالَ الشَّيْخُ مِنْ جَوْفِهَا :  
 نَعَمْ الْمُغْفَلُ أَخَذَهَا . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِيَ ذَلِكَ اشْتَدَّ تَعَجُّبُهُ .  
 فَدَعَا بِحَطِيبٍ وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ الشَّجَرَةُ . فَأُضْرِمَتْ حَوْلَهَا النَّيْرَانُ  
 فَاسْتَغَاثَ أَبُو الْخَبِّ عِنْدَ ذَلِكَ . فَأُخْرِجَ وَقَدْ أُشْرَفَ عَلَى  
 الْهَلَاكِ . فَسَأَلَهُ الْقَاضِيَ عَنِ الْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبْرِ ، فَأَوْقَعَ  
 بِالْخَبِّ ضَرْبًا ، وَبِأَبِيهِ صَفْعًا ، وَأَرْكَبَهُ <sup>(١)</sup> مَشْهُورًا ، وَغَرَّمَ الْخَبَّ  
 الدَّنَانِيرَ ، فَأَخَذَهَا وَأَعْطَاهَا الْمُغْفَلَ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْخَبَّ وَالْخَدِيعَةَ رُبَّمَا  
 كَانَ صَاحِبَيْهِمَا هُوَ الْمَغْبُونُ . وَإِنَّكَ يَا دِمْنَةُ جَامِعٌ لِلْخَبِّ وَالْخَدِيعَةِ  
 وَالْفُجُورِ . وَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ ثَمَرَةَ عَمَلِكَ ، مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَاجٍ  
 مِنَ الْعُقُوبَةِ : لِأَنَّكَ ذُو لَوْنَيْنِ وَلِسَانَيْنِ . وَإِنَّمَا عُدُوبَةُ مَاءِ  
 الْأَنْهَارِ مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الْبِحَارِ . وَصَلَّاحُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ

(١) شهره كثره أظهره في شئمة .

الْمُفْسِدُ . وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنَ الْحَيَّةِ ذَاتِ اللِّسَانَيْنِ الَّتِي  
 فِيهَا السَّمُّ : فَإِنَّهُ قَدْ يَجْرِي مِنْ لِسَانِكَ كَسِمِّهَا . وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ  
 لِذَلِكَ السَّمِّ مِنْ لِسَانِكَ خَائِفًا ، وَلِمَا يَحِلُّ بِكَ مُتَوَقِّعًا ،  
 وَالْمُفْسِدُ بَيْنَ الإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ كَالْحَيَّةِ يُرَبِّيهَا الرَّجُلُ وَيُطْعِمُهَا  
 وَيَمْسَحُهَا وَيُكْرِمُهَا ، ثُمَّ لَا يُكُونُ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ اللَّدِغِ . وَقَدْ  
 يُقَالُ : أَلْزَمَ ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْكَرَمِ ، وَأَسْتَرْسِلُ إِلَيْهِمَا ، وَإِيَّاكَ  
 وَمُفَارَقَتُهُمَا ، وَأَصْحَبِ الصَّاحِبِ إِذَا كَانَ عَاقِلًا كَرِيمًا أَوْ عَاقِلًا  
 غَيْرَ كَرِيمٍ : فَالْعَاقِلُ الْكَرِيمُ كَامِلٌ ، وَالْعَاقِلُ غَيْرُ الْكَرِيمِ أَصْحَبُهُ ،  
 وَإِنْ كَانَ غَيْرَ تَحْمُودِ الْخَلِيقَةِ ، وَاحْتَدَرَ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ وَأَنْتَفَعَ  
 بِعَقْلِهِ ، وَالْكَرِيمُ غَيْرُ الْعَاقِلِ ، أَلْزَمَهُ وَلَا تَدَعُ مُوَاصَلَتَهُ ، وَإِذَا  
 كُنْتَ لَا تَحْمَدُ عَقْلَهُ ، وَأَنْتَفِعَ بِكَرَمِهِ ، وَأَنْفَعَهُ بِعَقْلِكَ ، وَالْفِرَارُ  
 كُلُّ الْفِرَارِ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ . وَإِنِّي بِالْفِرَارِ مِنْكَ بِلَحْدِيرٍ .  
 وَكَيْفَ يَرْجُو إِخْوَانُكَ عِنْدَكَ كَرَمًا وَوَدًّا وَقَدْ صَنَعْتَ بِمِلِكِكَ  
 الَّذِي أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ مَا صَنَعْتَ ؟ وَإِنْ مَثَلَكَ مِثْلُ التَّاجِرِ الَّذِي

قَالَ : إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْدَانَهَا مِائَةً مِنْ حَدِيدًا ، لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ  
عَلَى بُزَاتِهَا أَنْ تَخْتَطِفَ الْأَفْيَالَ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟  
قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ ، فَأَرَادَ الْخُرُوجَ  
إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ لِابْتِغَاءِ الرِّزْقِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ مِائَةٌ مِنْ حَدِيدًا ،  
فَأَوْدَعَهَا رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَذَهَبَ فِي وَجْهِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ  
ذَلِكَ بِمُدَّةٍ ، بِخَاءٍ وَالْتَمَسَ الْحَدِيدَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ أَكَلَتْهُ  
الْجِرْدَانُ . فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ لِأَشْيَاءٍ أَقْطَعُ مِنْ أَنْبِيَإِهَا لِلْحَدِيدِ .  
فَفَرِحَ الرَّجُلُ بِتَضَدِّيقِهِ عَلَى مَا قَالَ وَأَدْعَى . ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ نَحَرَ ،  
فَلَقِيَ أَبْنَاءَ لِلرَّجُلِ ، فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ  
الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِابْنِي ؟ فَقَالَ لَهُ  
التَّاجِرُ : إِنِّي لَمَّا نَحَرْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِالْأَمْسِ ، رَأَيْتُ بَارِيًا  
قَدْ اخْتَطَفَ صَبِيًّا ، وَلَعَلَّهُ أَبْنُكَ . فَاطْمَنَّ الرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ  
وَقَالَ : يَا قَوْمِ هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرَاةَ تَخْطِفُ الصَّبِيَّانَ ؟  
فَقَالَ : نَعَمْ . وَإِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْدَانَهَا مِائَةً مِنْ حَدِيدًا لَيْسَ

(١) من نوع السران مفردة جرد . (٢) المنز : رطلان .

بِعَجَبٍ أَنْ تَحْتَطِفَ بُرَاتَهَا الْفَيْلَةَ . قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَنَا أَكَلْتُ  
 حَدِيدَكَ وَهَذَا ثَمَنُهُ . فَارْدُدْ عَلَيَّ ابْنِي . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ  
 هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا غَدَرْتَ بِصَاحِبِكَ فَلَا شَكَ أَنَّكَ  
 بِمَنْ سِوَاهُ أَغْدُرُ ، وَأَنَّهُ إِذَا صَاحَبَ أَحَدٌ صَاحِبًا وَغَدَرَ بِمَنْ  
 سِوَاهُ فَقَدْ عَلِمَ صَاحِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمَوَدَّةِ مَوْضِعٌ : فَلَا شَيْءَ  
 أَضْيَعُ مِنْ مَوَدَّةٍ تُنْمَحُ مِنْ لَا وَفَاءَ لَهُ ، وَحِبَابٍ يُصْطَنَعُ عِنْدَ مَنْ  
 لَا شُكْرَ لَهُ ، وَأَدَبٍ يُحْمَلُ إِلَى مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلَا يَسْمَعُهُ ،  
 وَسِرٍّ يُسْتَوْدَعُ مَنْ لَا يَحْفَظُهُ ، فَإِنَّ صُحْبَةَ الْأَخْيَارِ تُورِثُ الْخَيْرَ ،  
 وَصُحْبَةَ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ : كَالرِّيْحِ إِذَا مَرَّتْ بِالطَّيْبِ حَمَلَتْ  
 طِيبًا ، وَإِذَا مَرَّتْ بِالسُّنَنِ حَمَلَتْ نَتْنًا ، وَقَدْ طَالَ وَثَقُلَ كَلَامِي عَلَيْكَ .

فَأَنْتَهَى كِيلَةَ مِنْ كَلَامِهِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وَقَدْ فَرَّغَ  
 الْأَسَدُ مِنَ الثَّوْرِ . ثُمَّ فَكَّرَ فِي قَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ وَذَهَبَ عَنْهُ  
 الْغَضَبُ . وَقَالَ : لَقَدْ بَجَعَنِي شَتْرَبَةٌ بِنَفْسِهِ ، وَقَدْ كَانَ ذَا  
 عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ ، وَلَا أُدْرِي لَعَلَّهُ كَانَ بَرِيئًا أَوْ مَكْذُوبًا  
 عَلَيْهِ ، فَخَزِنَ وَنَدَّمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ،



وَبَصُرَ بِهِ دِمْنَةٌ ، فَتَرَكَ مُحَاوَرَةَ كَلِيلَةَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْأَسَدِ  
 فَقَالَ لَهُ : لِيَهْنِكَ الظَّفَرُ إِذْ أَهْلَكَ اللَّهُ أَعْدَاءَكَ . فَمَاذَا  
 يُحْزِنُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ قَالَ : أَنَا حَزِينٌ عَلَى عَقْلِ شَرَبَةِ وَرَأْيِهِ  
 وَأَدَبِهِ ؟ قَالَ لَهُ دِمْنَةٌ : لَا تَرْحَمُهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ : فَإِنَّ الْعَاقِلَ  
 لَا يَرْحَمُ مَنْ يَخَافُهُ . وَإِنَّ الرَّجُلَ الْحَازِمَ رُبَّمَا أَبْغَضَ الرَّجُلَ  
 وَكَرِهَهُ ، ثُمَّ قَرِبَهُ وَأَدْنَاهُ : لِمَا يَعْلَمُ عِنْدَهُ مِنَ الْغِنَاءِ وَالْكَفَايَةِ ،  
 فِعَلَ الرَّجُلِ الْمُتَكَارِهِ عَلَى الدَّوَاءِ الشَّنِيعِ رَجَاءً مَنْفَعَتِهِ . وَرُبَّمَا  
 أَحَبَّ الرَّجُلَ ، وَعَزَّ عَلَيْهِ ، فَأَقْصَاهُ وَأَهْلَكَ ، مَخَافَةَ ضَرَرِهِ ،  
 كَالَّذِي تَلْدَغُهُ الْحَيَّةُ فِي إِصْبَعِهِ فَيَقْطَعُهَا ، وَيَتَبَرَّأُ مِنْهَا مَخَافَةَ أَنْ  
 يَسْرِيَ سُمُّهَا إِلَى بَدَنِهِ . فَفَرَضَى الْأَسَدُ بِتَوَلُّو دِمْنَةَ . ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ بِكَذِبِهِ وَغَدْرِهِ وَبُخُورِهِ فَقَتَلَهُ شَرًّا قَتَلَهُ (انتهى باب الأسد والثور)

## بَابُ الْفَحْصِ عَنِ أَمْرِ دِمْنَةَ

قَالَ دَبْسَدِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ حَدَّثَنِي عَنِ الْوَأَشِيِّ  
 الْمَاهِرِ الْمُحْتَالِ ، كَيْفَ يُفْسِدُ بِالْمِيمَةِ الْمُوَدَّةَ الثَّابِتَةَ بَيْنَ الْمُتَحَايِينَ .  
 فَحَدَّثَنِي حِينَئِذٍ بِمَا كَانَ مِنْ حَالِ دِمْنَةَ وَمَا آلَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ بَعْدَ  
 قَتْلِ شَرَبَةَ ، وَمَا كَانَ مِنْ مَعَاذِيرِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ وَأَصْحَابِهِ حِينَ  
 رَاجَعَ الْأَسَدُ رَأْيَهُ فِي الثَّوْرِ ، وَتَحَقَّقَ الْمِيمَةَ مِنْ دِمْنَةَ ، وَمَا كَانَتْ  
 حُجَّتُهُ الَّتِي اُحْتَجَّ بِهَا ، قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : أَنَا وَجَدْتُ فِي حَدِيثِ  
 دِمْنَةَ أَنَّ الْأَسَدَ حِينَ قَتَلَ شَرَبَةَ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ ، وَذَكَرَ قَدِيمٌ  
 صَحْبَتِهِ وَجَسِيمَ خِدْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ . وَأَخَصَّهُمْ  
 مَنزِلَةً لَدَيْهِ ، وَأَقْرَبَهُمْ وَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، وَكَانَ يُوَاصِلُ لَهُ الْمَشُورَةَ  
 دُونَ خَوَاصِهِ . وَكَانَ مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ بَعْدَ الثَّوْرِ الثَّمْرُ .  
 فَاتَّفَقَ أَنَّهُ أَمْسَى الثَّمْرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْأَسَدِ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ  
 جَوْفَ اللَّيْلِ يُرِيدُ مَنزِلَهُ ، فَاجْتَاَزَ عَلَى مَنزِلِ كَيْلَةَ وَدِمْنَةَ .  
 فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَابِ ، سَمِعَ كَيْلَةَ يُعَاتِبُ دِمْنَةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ،

وَيَلُومُهُ عَلَى النَّمِيمَةِ وَاسْتِعْمَالِهَا ، بِخُصُوصٍ مَعَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ  
 فِي حَقِّ الْخَاصَّةِ . وَعَرَفَ النَّمِرُ عَضِيَّانَ دِمْنَةَ وَتَرَكَ الْقَبُولَ لَهُ .  
 فَوَقَّفَ يَسْتَمِعُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا فَكَانَ فِيهَا قَالَ كِيلَةُ لِدِمْنَةَ : لَقَدْ  
 أَرْتَكِبْتَ مَرَجًا صَعْبًا ، وَدَخَلْتَ مَدْخَلًا ضَيِّقًا ، وَجَنَيْتَ عَلَى  
 نَفْسِكَ جِنَايَةً مُوبِقَةً ، وَعَاقِبَتَهَا وَخِيمَةً ، وَسَوْفَ يَكُونُ  
 مَضْرَعُكَ شَدِيدًا ، إِذَا أَنْكَشَفَ لِلْأَسَدِ أَمْرُكَ ، وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ ،  
 وَعَرَفَ غَدْرَكَ وَمِحَالَّكَ ، وَبَقِيَتْ لَا نَاصِرَ لَكَ ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْكَ  
 الْهَوَانُ وَالْقَتْلُ ، مَخَافَةَ شُرْكَ ، وَحَدْرًا مِنْ غَوَائِلِكَ ، فَلَسْتُ  
 بِمُتَّخِذِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ خَلِيلًا ، وَلَا مُفِشٍ إِلَيْكَ سِرًّا ، لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ  
 قَدْ قَالُوا : تَبَاعَدْ عَمَّنْ لَا رَغْبَةَ فِيهِ . وَأَنَا جَدِيرٌ بِمُبَاعَدَتِكَ ،  
 وَالتَّمَّاسِ الْخَلَاصِ لِي مِمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِ الْأَسَدِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ .  
 فَلَمَّا سَمِعَ النَّمِرُ هَذَا مِنْ كِلَامِهِمَا قَفَلَ رَاجِعًا ، فَدَخَلَ عَلَى  
 أُمِّ الْأَسَدِ ، فَأَخَذَ عَلَيْهَا الْعُهُودَ وَالْمَوَاطِيقَ أَنَّهَا لَا تُفْشِي مَا يُسِرُّ  
 إِلَيْهَا ، فَعَاهَدَتْهُ عَلَى ذَلِكَ فَأَخْبَرَهَا بِمَا سَمِعَ مِنْ كِلَامِ

كَيْلَةَ وَدِمْنَةَ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ دَخَلَتْ عَلَى الْأَسَدِ ، فَوَجَدَتْهُ كَيْبًا  
 حَزِينًا مَهْمُومًا : لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ شَرَبَةَ . فَقَالَتْ لَهُ :  
 مَا هَذَا الِّهِمُّ الَّذِي قَدْ أَخَذَ مِنْكَ ، وَغَلَبَ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : يُحْزِنُنِي  
 قَتْلُ شَرَبَةَ ، إِذْ تَذَكَّرْتُ صُحْبَتَهُ وَمُواظِمَتَهُ عَلَيَّ خِدْمَتِي ، وَمَا  
 كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ نَصِيحَتِهِ ، وَأَسْكُنُ إِلَيْهِ مِنْ مُشَاوَرَتِهِ ، وَأَقْبِلُ  
 مِنْ مَنَاصِحَتِهِ . قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ : إِنْ أَشَدَّ مَا شَهِدَ أَمْرًا عَلَى  
 نَفْسِهِ ، وَهَذَا خَطَأٌ عَظِيمٌ ، كَيْفَ أَقْدَمْتَ عَلَى قَتْلِ الثَّوْرِ بِلَا  
 عِلْمٍ وَلَا يَقِينٍ ؟ وَلَوْلَا مَا قَالَتْ الْعُلَمَاءُ فِي إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ ،  
 وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِنِّمِ وَالشَّنَارِ ، لَدَكَّرْتُ لَكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا  
 عَلِمْتُ . قَالَ الْأَسَدُ : إِنْ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءَ لَهَا وَجُوهٌ كَثِيرَةٌ ،  
 وَمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ . وَإِنِّي لِأَعْلَمُ صَوَابَ مَا تَقُولِينَ : وَإِنْ كَانَ  
 عِنْدَكَ رَأْيٌ فَلَا تَطْوِيهِ عَنِّي ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَسْرَ إِلَيْكَ أَحَدٌ سِرًّا  
 فَأَخْبِرْنِي بِهِ ، وَأَطْلِعْنِي عَلَيْهِ ، وَعَلَى جُمْلَةِ الْأَمْرِ . فَأَخْبَرَتْهُ  
 بِجَمِيعِ مَا أَلْقَاهُ إِلَيْهَا النَّمْرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَهُ بِاسْمِهِ . وَقَالَتْ :

إِنِّي لَمْ أَجْهَلُ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ فِي تَعْظِيمِ الْعُقُوبَةِ وَتَشْدِيدِهَا ،  
 وَمَا يَدْخُلُ عَلَى الرَّجُلِ مِنَ الْعَارِ فِي إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ ، وَلَكِنِّي  
 أَحْبَبْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِمَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ لَكَ ، وَإِنْ وَصَلَ خَطْوُهُ  
 وَضَرَّهُ إِلَى الْعَامَّةِ فَيُضَارُّهُمْ عَلَى خِيَانَةِ الْمَلِكِ مِمَّا لَا يَدْفَعُ  
 الشَّرَّ عَنْهُمْ ، وَبِهِ يَحْتَجُّ السُّفَهَاءُ ، وَيَسْتَحْسِنُونَ مَا يَكُونُ مِنْ  
 أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ . وَأَشَدُّ مَعَارِهِمْ إِقْدَامُهُمْ عَلَى ذِي الْحَزْمِ .  
 فَلَمَّا قَضَتْ أُمُّ الْأَسَدِ هَذَا الْكَلَامَ ، اسْتَدْعَى أَصْحَابَهُ وَجُنْدَهُ  
 فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ  
 الْأَسَدِ ، وَرَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُزْنِ وَالْكَآبَةِ ، أَلْتَفَتَ إِلَى بَعْضِ  
 الْحَاضِرِينَ فَقَالَ : مَا الَّذِي حَدَثَ ؟ وَمَا الَّذِي أَحْزَنَ الْمَلِكَ ؟  
 فَالْتَفَتَتْ أُمُّ الْأَسَدِ إِلَيْهِ وَقَالَتْ : قَدْ أَحْزَنَ الْمَلِكُ بِقَاوِكَ وَلَوْ  
 طَرَفَةَ عَيْنٍ ، وَلَنْ يَدَعَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ حَيًّا ! قَالَ دِمْنَةُ : مَا تَرَكَ  
 الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ شَيْئًا : لِأَنَّهُ يُقَالُ : أَشَدُّ النَّاسِ فِي تَوَقُّي الشَّرِّ ،  
 يُصِيبُهُ الشَّرُّ قَبْلَ الْمُسْتَسْلِمِ لَهُ . فَلَا يَكُونَنَّ الْمَلِكُ وَخَاصَّتُهُ

(١) المعازر : جمع معرّة وهي الإثم والخيانة والأذى .

وَجُنُودَهُ الْمِثْلَ السُّوءِ ؛ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ قِيلَ : مَنْ صَحِبَ  
 الْأَشْرَارَ ، وَهُوَ يَعْلَمُ حَالَهُمْ ، كَانَ أَذَاهُ مِنْ نَفْسِهِ : وَلِذَلِكَ  
 انْقَطَعَتْ النَّسَاكُ بِأَنْفُسِهَا عَنِ الْخَلْقِ ، وَاخْتَارَتْ الْوَحْدَةَ  
 عَلَى الْمُخَالَطَةِ ، وَحُبَّ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا .  
 وَمَنْ يَجْزِي بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَبِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا إِلَّا اللَّهُ ؟ وَمَنْ  
 طَلَبَ الْجَزَاءَ عَلَى الْخَيْرِ مِنَ النَّاسِ ، كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَحْظَى  
 بِالْحِرْمَانِ ؛ إِذْ يُحْطَى الصَّوَابُ فِي خُلُوصِ الْعَدْلِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى  
 وَطَلَبِ الْجَزَاءِ مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَا رَغِبْتَ فِيهِ رِعْيَةُ  
 الْمَلِكِ هُوَ مُحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ وَمَوَاقِعُ الصَّوَابِ وَبَجْمِيلِ السَّيْرِ ؛  
 وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : مَنْ صَدَّقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُكَذَّبَ ، وَكَذَّبَ  
 مَا يَنْبَغِي أَنْ يُصَدَّقَ ، نَخَرَجَ مِنْ مَصَافِّ الْعُقَلَاءِ ، وَكَانَ جَدِيدًا  
 بِالْإِزْدِرَاءِ . فَيَنْبَغِي إِلَّا يُعَجَّلَ الْمَلِكُ فِي أَمْرِي بِشِبْهَةٍ . وَلَسْتُ  
 أَقُولُ هَذَا كَرَاهَةً لِلْمَوْتِ ؛ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَرِيهًا ، لَا مَنْجَى مِنْهُ .  
 وَكُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ . وَلَوْ كَانَتْ لِي مِائَةٌ نَفْسٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَوَى الْمَلِكِ  
 فِي إِتْلَافِهِنَّ ، لَطَبْتُ لَهُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَقَالَ بَعْضُ الْجُنُودِ :

لَمْ يَنْطِقْ بِهَذَا لِحُبِّهِ الْمَلِكَ ، وَلَكِنْ لِحَلَاصِ نَفْسِهِ ، وَالتَّمَّاسِ  
 الْعُذْرِيهَا . فَقَالَ لَهُ دِمْنَةُ : وَيْلَكَ ! وَهَلْ عَلَيَّ فِي التَّمَّاسِ الْعُذْرُ  
 لِنَفْسِي عَيْبٌ ؟ وَهَلْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ ؟  
 وَإِذَا لَمْ يَلْتَمِسْ هَا الْعُذْرَ ، فَلِمَنْ يَلْتَمِسُهُ ؟ لَقَدْ ظَهَرَ مِنْكَ  
 مَا لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ كِتْمَانَهُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ ، وَلَقَدْ عَرَفَ  
 مَنْ سَمِعَ مِنْكَ ذَلِكَ أَنَّكَ لَا تُحِبُّ لِأَحَدٍ خَيْرًا ، وَأَنَّكَ عَدُوُّ  
 نَفْسِكَ ، فَمَنْ سِوَاهَا بِالْأَوْلَى . فَمِنْكَ لَا يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ مَعَ  
 الْبَهَائِمِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَلِكِ ، وَأَنْ يَكُونَ بِبَابِهِ .  
 فَلَمَّا أَجَابَهُ دِمْنَةُ بِذَلِكَ ، نَحَرَ مَكْتَسِبًا حَزِينًا مُسْتَحِيًّا . فَقَالَتْ  
 أُمُّ الْأَسَدِ لِدِمْنَةَ : لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْكَ ، أَيُّهَا الْمُحْتَالُ ، فِي قِلَّةِ  
 حَيَاتِكَ ، وَكَثْرَةِ وَقَاحَتِكَ ، وَسُرْعَةِ جَوَابِكَ لِمَنْ كَلَّمَكَ . قَالَ  
 دِمْنَةُ : لِأَنَّكَ تَنْظُرِينَ إِلَى بَعِينٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَسْمَعِينَ مِنِّي  
 بِأُذُنٍ وَاحِدَةٍ ، مَعَ أَنَّ شَقَاوَةَ جَدِي قَدْ زَوَتْ عَنِّي كُلَّ شَيْءٍ ،  
 حَتَّى لَقَدْ سَعَوْا إِلَى الْمَلِكِ بِالنَّمِيمَةِ عَلَيَّ ، وَلَقَدْ صَارَ مِنْ بِيَابِ

الْمَلِكِ لِاسْتِخْفَافِهِمْ بِهِ ، وَطُولِ كَرَامَتِهِ إِيَّاهُمْ ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ  
 الْعَيْشِ وَالنَّعْمَةِ ، لَا يَدْرُونَ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَنْبَغِي لَهُمُ الْكَلَامُ ،  
 وَلَا مَتَى يَجِبُ عَلَيْهِمُ السُّكُوتُ . قَالَتْ : أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا  
 الشَّقِيِّ ، مَعَ عِظَمِ ذَنْبِهِ ، كَيْفَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ بَرِيئًا كَمَنْ  
 لَا ذَنْبَ لَهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ غَيْرَ أَعْمَالِهِمْ لَيْسُوا  
 عَلَى شَيْءٍ ، كَالَّذِي يَضَعُ الرَّمَادَ مَوْضِعًا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَ فِيهِ  
 الرَّمْلَ ، وَيَسْتَعْمِلُ فِيهِ السَّرَجِينَ<sup>(١)</sup> ، وَالرَّجُلُ الَّذِي يَلْبَسُ  
 لِبَاسَ الْمَرْأَةِ ، وَالْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْبَسُ لِبَاسَ الرَّجُلِ ، وَالضَّيْفُ الَّذِي  
 يَقُولُ : أَنَا رَبُّ الْبَيْتِ ، وَالَّذِي يَنْطِقُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ بِمَا لَا يُسْأَلُ  
 عَنْهُ . وَإِنَّمَا الشَّقِيُّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأُمُورَ وَلَا أَحْوَالَ النَّاسِ  
 وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . قَالَتْ  
 أُمُّ الْأَسَدِ : أَتُظَنُّ أَيُّهَا الْغَادِرُ الْمُحْتَالُ بِقَوْلِكَ هَذَا أَنَّكَ تَحْدَعُ  
 الْمَلِكَ ، وَلَا يَسْجُنُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : الْغَادِرُ الَّذِي لَا يَأْمَنُ  
 عَدُوَّهُ مَكْرَهُ ، وَإِذَا اسْتَمَكَنَ مِنْ عَدُوِّهِ قَتَلَهُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ .

(١) السرجين بكسر أوله : الزبل .



قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ : أَيُّهَا الْغَادِرُ الْكَذُوبُ ، أَتَظُنُّ أَنَّكَ نَاجٍ  
 مِنْ عَاقِبَةِ كَذِبِكَ ؟ وَأَنْ مَحَالِكَ هَذَا يَنْفَعُكَ مَعَ عِظَمِ جُرْمِكَ ؟  
 قَالَ دِمْنَةُ : الْكَذُوبُ الَّذِي يَقُولُ مَا لَمْ يَكُنْ ، وَيَأْتِي بِمَا  
 لَمْ يَقُلْ وَلَمْ يَفْعَلْ ، وَكَلَامِي وَاضِحٌ مُبِينٌ . قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ :  
 الْعُجْبَاءُ مِنْكُمْ هُمُ الَّذِينَ يُوضِّحُونَ أَمْرَهُ بِفَضْلِ الْخِطَابِ .  
 ثُمَّ نَهَضَتْ نَفْرَجَتْ . فَدَفَعَ الْأَسَدُ دِمْنَةَ إِلَى الْقَاضِي ، فَأَمَرَ  
 الْقَاضِي بِحَبْسِهِ ، فَأُلْقِيَ فِي عُنُقِهِ حَبْلٌ ، وَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ .  
 فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَخْبَرَ كَالِيلَةَ أَنَّ دِمْنَةَ فِي الْحَبْسِ . فَأَتَاهُ  
 مُسْتَخْفِيًا ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْقَيْودِ ، وَحَرَجِ  
 الْمَكَانِ ، بَكَى ، وَقَالَ لَهُ : مَا وَصَلْتَ إِلَى مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ إِلَّا  
 لِاسْتِعْمَالِكَ الْخَدِيعَةَ وَالْمَكْرَ ، وَإِضْرَابِكَ عَنِ الْعِظَةِ ، وَلَكِنْ لَمْ  
 يَكُنْ لِي بَدٌّ فِيهَا مَضَى مِنْ إِنذَارِكَ وَالنَّصِيحَةِ لَكَ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَيْكَ  
 فِي خُلُوصِ الرَّغْبَةِ فِيكَ : فَإِنَّهُ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ، وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ  
 مَجَالٌ . وَلَوْ كُنْتُ قَصْرْتُ فِي عِظَتِكَ حِينَ كُنْتُ فِي عَافِيَةٍ ،  
 لَكُنْتُ الْيَوْمَ شَرِيكَكَ فِي ذَنْبِكَ ، غَيْرَ أَنَّ الْعُجْبَ دَخَلَ مِنْكَ

مَدْخَلًا قَهَرَ رَأْيِكَ ، وَغَلَبَ عَلَى عَقْلِكَ ؛ وَكُنْتُ أَضْرِبُ لَكَ  
 الْأَمْثَالَ كَثِيرًا ، وَأَذَكُّكَ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ  
 الْمُحْتَالَ يَمُوتُ قَبْلَ أَجَلِهِ . قَالَ دَمْنَةُ : قَدْ عَرَفْتُ صِدْقَ  
 مَقَالَاتِكَ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : لَا تَجْزَعُ مِنَ الْعَذَابِ إِذَا وَقَفْتَ  
 مِنْكَ عَلَى خَطِيئَةٍ ؛ وَلَآنَ تُعَذَّبُ فِي الدُّنْيَا بِجُرْمِكَ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ  
 تُعَذَّبَ فِي الْآخِرَةِ بِجَهَنَّمَ مَعَ الْإِنَّمِ . قَالَ كَيْلَةُ : قَدْ فَهَمْتُ  
 كَلَامَكَ ؛ وَلَكِنَّ ذَنْبَكَ عَظِيمٌ ، وَعِقَابَ الْأَسَدِ شَدِيدَ الْيَمِّ .  
 وَكَانَ بِقُرْبِهِمَا فِي السِّجْنِ فَهَدَّ مُعْتَقِلٌ يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ، وَلَا  
 يَرِيَانَهُ ؛ فَعَرَفَ مُعَاتِبَةَ كَيْلَةَ لِدِمْنَةَ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ ، وَمَا كَانَ  
 مِنْهُ ؛ وَأَنَّ دَمْنَةَ مُقَرَّبَةٌ بِسُوءِ عَمَلِهِ ، وَعَظِيمِ ذَنْبِهِ ؛ فَحَفِظَ الْمُحَاوِرَةَ  
 بَيْنَهُمَا ، وَكَتَمَهَا لِيَشْهَدَ بِهَا إِنْ سُئِلَ عَنْهَا . ثُمَّ إِنَّ كَيْلَةَ انْصَرَفَتْ  
 إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَدَخَلَتْ أُمَّ الْأَسَدِ حِينَ أَصْبَحَتْ عَلَى الْأَسَدِ ؛  
 وَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ ، حُوشِيَتْ أَنْ تَنْسَى مَا قُلْتَ  
 بِالْأَمْسِ ؛ وَأَنْتَ أَمَرْتَ بِهِ لِرُؤْفَتِهِ ؛ وَأَرْضَيْتَ بِهِ رَبَّ الْعِبَادِ .

وَقَدِ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَانَى فِي الْجِدِّ لِلتَّقْوَى،  
 بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدَافِعَ عَنِ ذَنْبِ الْأَثِيمِ. فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ  
 كَلَامَ أُمِّهِ، أَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ النَّمِرُ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَضَاءِ. فَلَمَّا  
 حَضَرَ قَالَ لَهُ وَبِجَوَاسِ الْعَادِلِ (١): أَجْلِسَا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ،  
 وَنَادِيَا فِي الْجُنْدِ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ أَنْ يَحْضُرُوا وَيَنْظُرُوا فِي حَالِ  
 دِمْنَةَ، وَيَجْتَنُوا عَنْ شَأْنِهِ، وَيَفْحَصُوا عَنْ ذَنْبِهِ، وَيُثْبِتُوا  
 قَوْلَهُ وَعُذْرَهُ فِي كُتُبِ الْقَضَاءِ، وَأَرْفَعُوا إِلَى ذَلِكَ يَوْمًا فَيَوْمًا.  
 فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّمِرُ وَالْجَوَاسُ الْعَادِلُ وَكَانَ هَذَا الْجَوَاسُ عَمَّ  
 الْأَسَدِ، قَالَا: سَمِعْنَا وَطَاعَةً لِمَا أَمَرَ الْمَلِكُ. وَنَحَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ،  
 فَعَمِلَا بِمُقْتَضَى مَا أَمَرَهُمَا بِهِ، حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي  
 جَلَسُوا فِيهِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ، أَمَرَ الْقَاضِي أَنْ يُوتَى بِدِمْنَةَ،  
 فَأُتِيَ بِهِ، فَأُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْجَمَاعَةُ حُضُورًا. فَلَمَّا  
 اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَكَانُ نَادَى سَيِّدُ الْجَمْعِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَيُّهَا الْجَمْعُ.  
 إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَيِّدَ السَّبَاعِ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ قُتِلَ شَرِبَةُ خَائِرًا

النَّفْس ، كَثِيرَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، يَرَى أَنَّهُ قَدْ قَتَلَ شَرَبَةً بِغَيْرِ ذَنْبٍ ،  
وَأَنَّهُ أَخَذَهُ بِكَذِبِ دِمْنَةٍ وَنَمِيمَتِهِ . وَهَذَا الْقَاضِي قَدْ أَمَرَ أَنْ  
يَجْلِسَ مَجْلِسَ الْقَضَاءِ ، وَيَبْحَثَ عَنِ شَأْنِ دِمْنَةٍ . فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ  
شَيْئًا فِي أَمْرِ دِمْنَةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَلْيَقُلْ ذَلِكَ ، وَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ  
عَلَى رُءُوسِ الْجَمْعِ وَالْأَشْهَادِ ، لِيَكُونَ الْقَضَاءُ فِي أَمْرِهِ بِحَسَبِ  
ذَلِكَ ، فَإِذَا اسْتَوْجَبَ الْقَتْلَ فَالْتَبَثْتُ فِي أَمْرِهِ أَوْلَى ، وَالْعَجَلَةُ  
مِنَ الْهُوَى ، وَمُتَابَعَةُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْبَاطِلِ ذُلٌّ . فَعِنْدَهَا قَالَ  
الْقَاضِي : أَيُّهَا الْجَمْعُ اسْمَعُوا قَوْلَ سَيِّدِكُمْ ، وَلَا تَكْتُمُوا مَا عَرَفْتُمْ  
مِنْ أَمْرِهِ ، وَاحْذَرُوا فِي السِّرِّ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ : إِحْدَاهُنَّ ،  
وَهِيَ أَفْضَلُهُنَّ ، أَلَّا تَزْدَرُوا فِعْلَهُ ، وَلَا تُعَدُّوه يُسِيرًا : فَمَنْ  
أَعْظَمَ الْخَطَايَا قَتْلُ الْبَرِيِّ الَّذِي لَا ذَنْبَ لَهُ بِالْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ ،  
وَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْكَذَّابِ الَّذِي آتَاهُمُ الْبَرِيُّ بِكَذِبِهِ وَنَمِيمَتِهِ  
شَيْئًا ، فَسَرَّ عَلَيْهِ فَهُوَ شَرِيكُهُ فِي الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ . وَالثَّانِيَةُ إِذَا  
اعْتَرَفَ الْمُذْنِبُ بِذَنْبِهِ ، كَانَ أَسْلَمَ لَهُ ، وَأَخْرَى بِالْمَلِكِ وَجُنْدِهِ  
أَنْ يَعْضُوا عَنْهُ وَيَضْفَحُوا . وَالثَّلَاثَةُ تَرْكُ مِرَاعَاةِ أَهْلِ الدِّمِّ

وَالْفُجُورِ ، وَقَطَعَ أَسْبَابَ مُوَاصَلَاتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ عَنِ الْخَاصَّةِ  
وَالْعَامَّةِ ؛ فَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْمُحْتَمَلِ شَيْئًا ، فَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى  
رُءُوسِ الْأَشْهَادِ مِمَّنْ حَضَرَ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ  
قِيلَ : إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ شَهَادَةَ مَيِّتٍ ، أُبْهِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارِ يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ ؛ فليقل كل واحدٍ منكم ما علم . فلما سمع ذلك  
الجموع كلامه ، أمسكوا عن القول . فقال دمنه : ما يسكتكم ؟  
تكلّموا بما علمتم ، وأعلموا أنّ لكل كلمة جوابًا . وقد قالت  
العلماء : مَنْ يَشْهَدَ بِمَا لَمْ يَرَ ، وَيَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، أَصَابَهُ  
مَا أَصَابَ الطَّيِّبَ الَّذِي قَالَ لِمَا لَا يَعْلَمُهُ : إِنِّي أَعْلَمُهُ . قَالَتِ  
الجماعة : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْمُدُنِ طَيِّبٌ لَهُ رِفْقٌ  
وَعِلْمٌ ، وَكَانَ ذَا فِطْنَةٍ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُعَاجَلَاتِ ؛ فَكَبِرَ  
ذَلِكَ الطَّيِّبُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ . وَكَانَ لِمَلِكِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ابْنَةٌ قَدْ  
زَوَّجَهَا لِابْنِ أَخِي لَهُ ؛ فَعَرَّضَ لَهَا مَا يَعْرِضُ لِلنَّحْوَامِلِ مِنْ

الأوجاع . فحى بهذا الطيب ، فلما حضر ، سأل الجارية  
عن وجعها وما تجد ، فأخبرته ، فعرف داءها ودواءها ، وقال :  
لو كنت أبصر ، لجمعت الأخلاط على معرفتي بأجناسها ، ولا  
أثق في ذلك بأحد غيري . وكان في المدينة رجل سفیه ،  
فبلغه الخبر ، فاتاهم وأدعى علم الطب ، وأعلمهم أنه خير  
بمعرفة أخلاط الأدوية والعقاقير ، عارف بطبائع الأدوية  
المركبة والمفردة ، فأمره الملك أن يدخل خزانة الأدوية فيأخذ  
من أخلاط الدواء حاجته ، فلما دخل السفیه الخزانة ،  
وعرضت عليه الأدوية ، ولا يدري ما هي ، ولا له بها  
معرفة ، أخذ في جملة ما أخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته ،  
وخلطه في الأدوية ، ولا علم له به ، ولا معرفة عنده بجنسه .  
فلما تمت أخلاط الأدوية ، سقى الجارية منه ، فماتت لوقتها .  
فلما عرف الملك ذلك ، دعا بالسفیه ، فسقاه من ذلك الدواء ،  
فمات من ساعته . وإنما ضربت لكم هذا المثل لتعلموا

مَا يَدْخُلُ عَلَى الْقَائِلِ وَالْعَامِلِ مِنَ الزَّلَّةِ بِالشَّبْهِةِ فِي الْخُرُوجِ  
 عَنِ الْحَدِّ ، فَمَنْ نَجَّحَ مِنْكُمْ عَنْ حِدِّهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ذَلِكَ  
 الْجَاهِلَ ، وَنَفْسُهُ الْمَلُومَةُ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : رَبَّمَا جُرِيَ  
 الْمُتَكَلِّمُ بِقَوْلِهِ . وَالْكَلَامُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ : فَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ .

فَتَكَلَّمَ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ ، لِإِدْلَالِهِ وَتِيهِهِ بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ ،  
 فَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّرَفِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، أَسْمَعُوا مَقَالَاتِي ، وَعُوا  
 بِأَحْلَامِكُمْ كَلَامِي ، فَالْعُلَمَاءُ قَالُوا فِي شَأْنِ الصَّالِحِينَ : إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ  
 بِسِيَاهِمُ ، وَأَنْتُمْ ، مَعَاشِرَ ذَوِي الْإِقْتِدَارِ ، بِحَسَنِ صَنِيعِ اللَّهِ لَكُمْ ،  
 وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ لَدَيْكُمْ ، تَعْرِفُونَ الصَّالِحِينَ بِسِيَاهِمُ وَصُورِهِمْ ،  
 وَتُخْبِرُونَ الشَّيْءَ الْكَبِيرَ بِالشَّيْءِ الصَّغِيرِ ، وَهَذَا هُنَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ  
 تَدُلُّ عَلَى هَذَا الشَّقِيِّ دِمْنَةً ، وَتُخْبِرُ عَنْ شَرِّهِ ، فَاطْلُبُوهَا عَلَى  
 ظَاهِرِ جِسْمِهِ : لِتَسْتَبَيِّنُوا وَتَسْكُنُوا إِلَى ذَلِكَ . قَالَ الْقَاضِي  
 لِسَيِّدِ الْخَنَازِيرِ : قَدْ عَلِمْتُ ، وَعَلِمَ الْجَمَاعَةُ الْحَاضِرُونَ ، أَنَّكَ  
 عَاطِفٌ بِمَا فِي الصُّورِ مِنْ عَلَامَاتِ السُّوءِ ، فَفَسَّرْنَا مَا تَقُولُ ،  
 وَأَطَّلَعْنَا عَلَى مَا تَرَى فِي صُورَةِ هَذَا الشَّقِيِّ . فَأَخَذَ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ

يَذُمُّ دِمْنَةً ، وَقَالَ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ كَتَبُوا وَأَخْبَرُوا : أَنَّهُ مِنْ كَانَتْ  
عَيْنُهُ الْيُسْرَى أَصْغَرَ مِنْ عَيْنِهِ الْيُمْنَى وَهِيَ لَا تَزَالُ تَحْتَلِجُ ،  
وَكَانَ أَنْفُهُ مَائِلًا إِلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ ، فَهُوَ شَقِيٌّ خَبِيثٌ . قَالَ لَهُ  
دِمْنَةٌ : شَأْنُكَ عَجَبٌ ، أَيُّهَا الْقَدِيرُ ، ذُو الْعَلَامَاتِ الْفَاضِحَةِ  
الْقَبِيحَةِ ، ثُمَّ الْعَجَبُ مِنْ جَرَاءَتِكَ عَلَى طَعَامِ الْمَلِكِ ، وَقِيَامِكَ  
بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَعَ مَا يَجْسِمُكَ مِنَ الْقَدْرِ وَالْقُبْحِ ، وَمَعَ مَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ  
وَيَعْرِفُهُ غَيْرُكَ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ ، أَفَتَتَكَلَّمُ فِي النَّقِيِّ الْجِسْمِ الَّذِي  
لَا عَيْبَ فِيهِ ؟ وَلَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَطَّلِعُ عَلَى عَيْبِكَ ، لَكِنْ  
جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ . وَقَدْ كَانَ يَحْجُزُنِي عَنْ  
إِظْهَارِهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الصَّدَاقَةِ . فَأَمَّا إِذْ قَدْ كَذَبْتَ عَلَى  
وَبَهْتَنِي فِي وَجْهِهِ ، وَفُتَّتَ بَعْدَاوَتِي ، فَقُلْتَ مَا قُلْتَ فِي بَغْيِ  
عِلْمِ عَلَى رُءُوسِ الْحَاضِرِينَ ، فَإِنِّي أَقْتَصِرُ عَلَى إِظْهَارِ مَا أَعْرِفُ  
مِنْ عُيُوبِكَ ، وَتَعْرِفُ الْجَمَاعَةَ ؛ وَحَقُّ عَلَى مَنْ عَرَفَكَ حَقَّ  
مَعْرِفَتِكَ أَنْ يَمْنَعَ الْمَلِكَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ إِيَّاكَ عَلَى طَعَامِهِ ؛ فَلَوْ



ترب ما كذا  
بسم الله

كَلِّفْتِ أَنْ تَعْمَلَ الزَّرَاعَةَ لَكُنْتَ جَدِيرًا بِالْحِذْلَانِ فِيهَا .  
 فَالْأُخْرَى بِكَ أَلَّا تَدْنُو إِلَى عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَلَّا تَكُونَ  
 دَبَاغًا وَلَا حِجَامًا لِعَامِيٍّ فَضْلًا عَنْ خَاصِّ خِدْمَةِ الْمَلِكِ . قَالَ  
 سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ : أَتَقُولِ لِي هَذِهِ الْمَقَالَةَ ، وَتَلْقَانِي بِهَذَا الْمَلْتَقِي ؟  
 قَالَ دِمْنَةُ ، نَعَمْ ، وَحَقًّا قُلْتُ فِيكَ ، وَإِيَّاكَ أَغْنِي ، أَيُّهَا  
 الْأَعْرَجُ الْمَكْسُورُ الْأَفْدَعُ الرَّجُلِ ، الْمَنْفُوحُ الْبَطْنِ ، الْأَفْلَحُ  
 الشَّفَتَيْنِ ، السِّيُّ الْمُنْظَرُ وَالْمَخْبَرِ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ دِمْنَةُ ،  
 تَغَيَّرَ وَجْهُ سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ وَاسْتَعْبَرَ وَاسْتَحَى ، وَتَلَجَّلَجَ لِسَانَهُ ،  
 وَاسْتَكَانَ وَفَتَرَ نَشَاطَهُ . فَقَالَ دِمْنَةُ ، حِينَ رَأَى انْكِسَارَهُ  
 وَبُكَاءَهُ : إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَطُولَ بُكَاءُكَ ، إِذَا اطَّلَعَ الْمَلِكُ  
 عَلَى قَدْرِكَ وَعُيُوبِكَ فَعَزَلَكَ عَنْ طَعَامِهِ ، وَحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ  
 خِدْمَتِهِ ، وَأَبْعَدَكَ عَنْ حَضْرَتِهِ . ثُمَّ إِنَّ شَغْبَرًا كَانَ الْأَسَدُ قَدْ جَرَبَهُ  
 فَوَجَدَ فِيهِ أَمَانَةً وَصِدْقًا ، فَرْتَبَهُ فِي خِدْمَتِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْفَظَ  
 مَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ ، وَيُطْلِعَهُ عَلَى ذَلِكَ . فَقَامَ الشَّغْبَرُ فَدَخَلَ

عَلَى الْأَسَدِ فَخَدَّهُ بِالْحَدِيثِ كُلِّهِ عَلَى جَلِيَّتِهِ . فَأَمَرَ الْأَسَدُ  
بِعِزْلِ سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ عَنْ عَمَلِهِ ، وَأَمَرَ أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرَى  
وَجْهَهُ ، وَأَمَرَ بِدِمْنَةٍ أَنْ يُسَجَّنَ ، وَقَدْ مَضَى مِنَ النَّهَارِ  
أَكْثَرُهُ ، وَجَمِيعُ مَا جَرَى وَقَالُوا وَقَالَ قَدْ كُتِبَ وَخُتِمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ  
النَّمِرِ ، وَرَجَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ .

ثُمَّ إِنَّ شَغْبِرًا (أَبْنَ آوَى) يُقَالُ لَهُ رَوْزِبَةٌ ، كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
كَلِيلَةَ إِخَاءً وَمُودَةً ، وَكَانَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَجِيهًا ، وَعَلَيْهِ كَرِيمًا ،  
وَاتَّفَقَ أَنَّ كَلِيلَةَ أَخَذَهُ الْوَجْدُ إِشْفَاقًا وَحَذَرًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَخِيهِ ،  
فَمَرِضَ وَمَاتَ ، فَانْطَلَقَ هَذَا الشَّغْبِرُ إِلَى دِمْنَةَ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ  
كَلِيلَةَ فَبَكَى وَحَزِنَ ، وَقَالَ : مَا أَصْنَعُ بِالْدُنْيَا بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَخِ  
الصَّفِيِّ ! وَلَكِنْ أَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ لَمْ يَمِتْ كَلِيلَةَ حَتَّى أَبْقَى  
لِي مِنْ ذَوِي قَرَابَتِي أَخًا مِثْلَكَ : فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ  
تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ إِلَى فِيمَا رَأَيْتُ مِنْ اِهْتِمَامِكَ بِي وَمُرَاعَاتِكَ لِي ،  
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجَائِي وَرُكْنِي فِيمَا أَنَا فِيهِ ، فَأُرِيدُ مِنْ إِنْعَامِكَ  
أَنْ تَنْطَلِقَ إِلَى مَكَانٍ كَذَا ، فَتَنْظُرَ إِلَى مَا جَمَعْتَهُ أَنَا وَأَخِي بِجِيلَتِنَا

وَسَعَيْنَا وَمَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَتَأْتِنِي بِهِ ، فَفَعَلَ الشَّغْبِرُ مَا أَمَرَهُ بِهِ  
 دَمْنَةُ . فَلَمَّا وَضَعَ الْمَالَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعْطَاهُ شَطْرَهُ ؛ وَقَالَ لَهُ :  
 إِنَّكَ عَلَى الدُّخُولِ وَالخُرُوجِ عَلَى الْأَسَدِ أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِكَ ،  
 فَتَفَرَّغَ لِشَأْنِي ، وَأَصْرَفَ أَهْتِمَامَكَ إِلَيَّ ؛ وَأَسْمَعُ مَا أَذْكَرُ بِهِ عِنْدَ  
 الْأَسَدِ ، إِذَا رُفِعَ إِلَيْهِ مَا يَجْرِي بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُصُومِ ؛ وَمَا يَبْدُو  
 مِنْ أُمَّ الْأَسَدِ فِي حَقِّي ، وَمَا تَرَى مِنْ مَتَابَعَةِ الْأَسَدِ لَهَا ،  
 وَمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهَا فِي أَمْرِي ؛ وَأَحْفَظُ ذَلِكَ كُلَّهُ . فَأَخَذَ الشَّغْبِرُ  
 مَا أَعْطَاهُ دَمْنَةُ وَأَنْصَرَفَ عَنْهُ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ . فَاِنْطَلَقَ إِلَى  
 مَنْزِلِهِ فَوَضَعَ الْمَالَ فِيهِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ بَكَرَ مِنَ الْغَدِ بِخَاسِ ،  
 حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ النَّهَارِ سَاعَتَانِ ، اسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، فَأَذِنَ  
 لَهُمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَوَضَعُوا الْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا عَرَفَ  
 قَوْلَهُمْ وَقَوْلَ دَمْنَةَ دَعَا أُمَّهُ فَقَرَأَ عَلَيْهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَتْ مَا فِي  
 الْكِتَابِ نَادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا : إِنَّ أَنَا أَغْلَظْتُ فِي الْقَوْلِ فَلَا  
 تَلْمِئْنِي : فَإِنَّكَ لَسْتَ تَعْرِفُ ضُرَّكَ مِنْ نَفْعِكَ . أَلَيْسَ هَذَا مِمَّا  
 كُنْتُ أَنهَاكَ عَنْ سَمَاعِهِ : لِأَنَّهُ كَلَامُ هَذَا الْمُجْرِمِ الْمُسِيءِ إِلَيْنَا ،

الْغَادِرِ بِدِمْنَتِنَا ؟ ثُمَّ إِنَّهَا نَخَرَجَتْ مُغْضَبَةً ، وَذَلِكَ بِعَيْنِ الشَّغْبِرِ  
 الَّذِي آخَاهُ دِمْنَةُ وَبِسْمِعِهِ . نَخَرَجَ فِي أَثَرِهَا مُسْرِعًا ، حَتَّى أَتَى  
 دِمْنَةَ ، فَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ . فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ إِذْ جَاءَ رَسُولٌ ،  
 فَانْطَلَقَ بِدِمْنَةَ إِلَى الْجَمْعِ عِنْدَ الْقَاضِي . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ  
 الْقَاضِي اسْتَفْتَحَ سَيِّدُ الْمَجْلِسِ فَقَالَ : يَا دِمْنَةُ ، قَدْ أَنْبَأَنِي بِخَبْرِكَ  
 الْأَمِينُ الصَّادِقُ ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَفْحِصَ عَنْ شَأْنِكَ  
 أَكْثَرَ مِنْ هَذَا : لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا  
 سَبَبًا وَمِصْدَاقًا لِلْآخِرَةِ : لِأَنَّهَا دَارُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الدَّالِّينَ  
 عَلَى الْخَيْرِ ، الْهَادِينَ إِلَى الْجَنَّةِ ، الدَّاعِينَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى .  
 وَقَدْ ثَبَتَ شَأْنُكَ عِنْدَنَا ، وَأَخْبَرْنَا عَنْكَ مَنْ وَثِقْنَا بِقَوْلِهِ ،  
 إِلَّا أَنْ سَيِّدَنَا أَمَرَنَا بِالْعَوْدِ فِي أَمْرِكَ وَالْفَحْصِ عَنْ شَأْنِكَ ،  
 وَإِنْ كَانَ عِنْدَنَا ظَاهِرًا بَيْنًا . قَالَ دِمْنَةُ : أَرَاكَ أَيُّهَا الْقَاضِي  
 لَمْ تَتَّعَوِّدِ الْعَدْلَ فِي الْقَضَاءِ ، وَلَيْسَ فِي عَدْلِ الْمُلُوكِ دَفْعُ  
 الْمَظْلُومِينَ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِلَى قَاضٍ غَيْرِ عَادِلٍ ، بَلِ الْمُخَاصِمَةُ  
 عَنْهُمْ وَالذُّوْدُ . فَكَيْفَ تَرَى أَنْ أُقْتَلَ وَلَمْ أُخَاصِمْ ؟ وَتَعْجَلُ ذَلِكَ

مُؤَافِقَةٌ لِهَوَاكَ ، وَلَمْ تَمْتَضِ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . وَلَكِنْ صَدَقَ  
الَّذِي قَالَ : إِنَّ الَّذِي تَعُودُ عَمَلُ الْبُرْهَيْنِ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَإِنْ أَضْرَبَهُ .  
قَالَ الْقَاضِي : إِنَّا نَجِدُ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ : أَنَّ الْقَاضِيَ يَنْبَغِي لَهُ  
أَنْ يَعْرِفَ عَمَلَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ ، لِيَجَازِيَ الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ  
وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ ، فَإِذَا ذَهَبَ إِلَى هَذَا آزْدَادَ الْمُحْسِنُونَ حِرْصًا  
عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَالْمُسِيئُونَ اجْتِنَابًا لِلذُّنُوبِ . وَالرَّأْيُ لَكَ ،  
يَا دِمْنَةُ ، أَنْ تَنْظُرَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ ، وَتَعْتَرِفَ بِذَنْبِكَ ،  
وَتُقَرِّبَهُ ، وَتَتُوبَ . فَأَجَابَهُ دِمْنَةُ : إِنَّ صَالِحِي الْقُضَاةِ  
لَا يَقْطَعُونَ بِالظَّنِّ ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ ، لَا فِي الْخَاصَّةِ وَلَا فِي  
الْعَامَّةِ : لِعَلَّيْهِمْ أَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا . وَأَنْتُمْ إِنْ  
ظَنَنْتُمْ أَنِّي مُجْرِمٌ فِيمَا فَعَلْتُ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكُمْ ، وَعَلَيَّ  
بِنَفْسِي يَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ ، وَعَلَيْكُمْ بِي غَايَةُ الشَّكِّ ، وَإِنَّمَا قَبِحَ  
أَمْرِي عِنْدَكُمْ أَنِّي سَعَيْتُ بِغَيْرِي ، فَمَا عُذْرِي عِنْدَكُمْ إِذَا سَعَيْتُ  
بِنَفْسِي كَاذِبًا عَلَيْهَا ، فَأَسْلَمْتُهَا لِلْقَتْلِ وَالْعَطْبِ ، عَلَى مَعْرِفَةِ مِنِّي

بِبِرَائَتِي وَسَلَامَتِي مِمَّا قُرِفْتُ بِهِ ؟ وَنَفْسِي أَعْظَمُ الْأَنْفُسِ عَلَى  
 حُرْمَةٍ وَأَوْجِبُهَا حَقًّا . فَلَوْ فَعَلْتُ هَذَا بِأَقْصَاكُمْ وَأَدْنَاكُمْ ، لَمَا  
 وَسِعَنِي فِي دِينِي ، وَلَا حَسُنَ بِي فِي مُرُوءَتِي ، وَلَا حَقٌّ لِي أَنْ  
 أَفْعَلَهُ ، فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِنَفْسِي ؟ فَأَكْفِفُ أَيُّهَا الْقَاضِي عَنْ هَذِهِ  
 الْمَقَالَةِ : فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ مِنْكَ نَصِيحَةً ، فَقَدْ أَخْطَأْتَ  
 مَوْضِعَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ خَدِيعَةً ، فَإِنَّ أَقْبَحَ الْخِدَاعِ مَا نَظَرْتَهُ  
 وَعَرَفْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، مَعَ أَنَّ الْخِدَاعَ وَالْمَكْرَ لَيْسَا مِنْ أَعْمَالِ  
 صَالِحِي الْقَضَاةِ ، وَلَا تَقَاةِ الْوُلَاةِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَكَ مِمَّا يَتَّخِذُهُ الْجُهَّالُ وَالْأَشْرَارُ سُنَّةً يَقْتَدُونَ بِهَا :  
 لِأَنَّ أُمُورَ الْقَضَاءِ يَأْخُذُ بِصَوَابِهَا أَهْلُ الصَّوَابِ ، وَبِخَطِئِهَا أَهْلُ  
 الْخَطَا وَالْبَاطِلِ وَالْقَلِيلُ الْوَرَعِ ، وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْقَاضِي  
 مِنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ أَعْظَمَ الرِّزَايَا وَالْبَلَايَا ، وَلَيْسَ مِنَ الْبَلَاءِ  
 وَالْمُصِيبَةِ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ وَالْجُنْدِ وَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ  
 فَاضِلًا فِي رَأْيِكَ ، مُقْنِعًا فِي عَدْلِكَ ، مُرْضِيًا فِي حُكْمِكَ وَعَفَافِكَ  
 وَفَضْلِكَ ، وَإِنَّكَ الْبَلَاءُ كَيْفَ أَنْسَيْتَ ذَلِكَ فِي أَمْرِي .

فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِيَ ذَلِكَ مِنْ لَفِظِ دِمْنَةَ ، نَهَضَ فَرَفَعَهُ إِلَى  
 الْأَسَدِ عَلَى وَجْهِهِ فَنظَرَ فِيهِ الْأَسَدُ ، ثُمَّ دَعَا أُمَّهُ فَعَرَضَهُ عَلَيْهَا .  
 فَقَالَتْ حِينَ تَدَبَّرْتِ كَلَامَ دِمْنَةَ لِلْأَسَدِ : لَقَدْ صَارَ اهْتِمَامِي بِمَا  
 أَتَخَوَّفُ مِنْ اِخْتِيَالِ دِمْنَةَ لَكَ بِمَكْرِهِ وَدَهَائِهِ حَتَّى يَقْتُلَكَ أَوْ  
 يُفْسِدَ عَلَيْكَ أَمْرَكَ ، أَعْظَمَ مِنْ اهْتِمَامِي بِمَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ  
 إِلَيْكَ فِي الْغِشِّ وَالسَّعَايَةِ ، حَتَّى قَتَلْتَ صَدِيقَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ .  
 فَوَقَعَ قَوْلُهَا فِي نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهَا : أَخْبِرِينِي عَنِ الَّذِي أَخْبَرَكَ  
 عَنْ دِمْنَةَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، فَيَكُونُ حُجَّةً لِي فِي قَتْلِي دِمْنَةَ . فَقَالَتْ :  
 إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ أَفْشِيَ سِرًّا مِنْ اسْتَكْتَمْتَنِيهِ ، فَلَا يَهْنِئُنِي سُرُورِي  
 بِقَتْلِ دِمْنَةَ إِذَا تَذَكَّرْتُ أَنِّي اسْتَظْهَرْتُ عَلَيْهِ بِرُكُوبِ مَا نَهَتْ  
 عَنْهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ كَشْفِ السِّرِّ ، وَلَكِنِّي أَطَالِبُ الَّذِي اسْتَوْدَعَنِيهِ  
 أَنْ يَجْعَلَنِي فِي حِلٍّ مِنْ ذِكْرِهِ لَكَ ، وَيَقُومَ هُوَ بِعَلْبِهِ وَمَا سَمِعَ  
 مِنْهُ . ثُمَّ انصرفت ، وأرسلت إلى النمر ، وذكرت له ما يَحِقُّ  
 عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ مَعَاوَنَتِهِ الْأَسَدَ عَلَى الْحَقِّ ، وَإِنْ حَاجَ نَفْسِهِ مِنْ  
 الشَّهَادَةِ الَّتِي لَا يَكْتُمُهَا مِثْلُهُ ، مَعَ مَا يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ الْمَظْلُومِينَ ،

وَتَثْبِيتِ حُجَّةِ الْحَقِّ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ : فَإِنَّهُ قَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ :  
 مِنْ كَتَمَ حُجَّةً مَيِّتٍ أَخْطَأَ حُجَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلَمْ تَزَلْ بِهِ ، حَتَّى  
 قَامَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَشَهِدَ عِنْدَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِ دِمْنَةَ .  
 فَلَمَّا شَهِدَ النَّمِرُ بِذَلِكَ ، أَرْسَلَ النَّهْدُ الْمُحْبُوسَ الَّذِي سَمِعَ إِثْرَارَ  
 دِمْنَةَ وَحَفِظَهُ إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي شَهَادَةً . فَأَنْحَرِبُ بِهِ .  
 فَشَهِدَ عَلَى دِمْنَةَ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِهِ . فَقَالَ لَهَا الْأَسَدُ :  
 مَا مَنَعُكَ أَنْ تَقُومَا بِشَهَادَتِكُمَا ، وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَمْرَنَا وَاهْتِمَامَنَا  
 بِالْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : قَدْ عَلِمْنَا  
 أَنَّ شَهَادَةَ الْوَاحِدِ لَا تُوجِبُ حُكْمًا فَكَّرْهُنَا التَّعَرُّضَ لِغَيْرِ مَا يَمْنَعُنِي  
 بِهِ الْحُكْمُ ، حَتَّى إِذَا شَهِدَ أَحَدُنَا قَامَ الْآخَرُ بِشَهَادَتِهِ ، فَقَبِلَ  
 الْأَسَدُ قَوْلَهُمَا . وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُقْتَلَ فِي حَبْسِهِ : فَقَتِلَ أَشْنَعَ  
 قِتْلَةٍ . فَمَنْ نَظَرَ فِي هَذَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ مَنَفَعَةَ نَفْسِهِ  
 بِضَرِّ غَيْرِهِ بِالْخِلَابَةِ وَالْمَكْرِ ، فَإِنَّهُ سَيَجْرِي عَلَى خِلَابَتِهِ وَمَكْرِهِ .  
 ( انقضى باب الفحص عن أمر دمنة )



## بَابُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَدَبَا، الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ  
 الْمُتَعَابِينَ كَيْفَ قَطَعَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ ، وَإِلَى مَاذَا صَارَ عَاقِبَةُ  
 أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ . فَحَدَّثَنِي ، إِنْ رَأَيْتَ ، عَنْ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ  
 كَيْفَ يُتَدَا تَوَاصُلُهُمْ وَيَسْتَمْتِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ؟ قَالَ  
 الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يُعْدِلُ بِالْإِخْوَانِ شَيْئًا . فَإِلَّا إِخْوَانُ  
 هُمُ الْأَعْوَانُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَالْمُوَاسُونَ عِنْدَ مَا يَنْوِبُ مِنْ  
 الْمَكْرُوهِ . وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ وَالْجُرْدِ  
 وَالظُّبِيِّ وَالْغُرَابِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ يَدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ ، عِنْدَ مَدِينَةِ  
 دَاهَرَ ، مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيْدِ ، يَنْتَابُهُ الصَّيَّادُونَ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ  
 الْمَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَغْصَانِ مُلْتَفَّةُ الْوَرِقِ . فِيهَا وَكْرُ غُرَابٍ .  
 فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ فِي وَكْرِهِ إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ ،

سَيِّئِ الْخَاقِ ، عَلَى عَاتِقِهِ شَبَكَةٌ ، وَفِي يَدِهِ عَصَا ، مُقْبِلًا نَحْوَ  
 لَشَجَرَةٍ ، فَذُعِرَ مِنْهُ الْغُرَابُ ، وَقَالَ : لَقَدْ سَاقَ هَذَا الرَّجُلُ  
 إِلَى هَذَا الْمَكَانِ : إِمَّا حِينِي وَإِمَّا حِينَ غَيْرِي . فَلَا تُبَيِّنَنَّ مَكَانِي  
 حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ . ثُمَّ إِنَّ الصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ ، وَنَشَرَ  
 عَلَيْهَا الْحَبَّ ، وَكَمَنَ قَرِيبًا مِنْهَا ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا ، حَتَّى  
 مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا الْمُطَوَّقَةُ ، وَكَانَتْ سَيِّدَةَ الْحَمَامِ ،  
 وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ ، فَعَمِيَتْ هِيَ وَصَوَّاحِبُهَا عَنِ الشَّرِكِ ، فَوَقَعْنَ  
 عَلَى الْحَبِّ يَلْتَقِظْنَهُ ، فَعَلِقْنَ فِي الشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ ، وَأَقْبَلَ الصَّيَّادُ  
 فَرِحًا مَسْرُورًا . فَجَعَلَتْ كُلُّ حَمَامَةٍ تَضْطَرِبُ فِي حَبَائِلِهَا ،  
 وَتَلْتَمِسُ الْخَلَّاصَ لِنَفْسِهَا . قَالَتِ الْمُطَوَّقَةُ : لَا تَخَازِنَنَّ  
 فِي الْمُعَالَجَةِ ، وَلَا تُكْنِ نَفْسُ إِحْدَاكُنَّ أَهْمًا إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِ  
 صَاحِبَتِهَا ، وَلَكِنْ تَتَعَاوَنُ جَمِيعًا ، فَتَقْلَعُ الشَّبَكَةَ ، فَيَنْجُو  
 بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، فَقْلَعْنَ الشَّبَكَةَ جَمِيعَهُنَّ بِتَعَاوُنِهِنَّ ، وَعَلَوْنَ  
 فِي الْجَوِّ ، وَلَمْ يَقْطَعْ الصَّيَّادُ رِجَاءَهُ مِنْهُنَّ وَظَنَّ أَنَّهُنَّ لَا يُجَاوِزْنَ

إِلَّا قَرِيبًا وَيَقَعْنَ . فَقَالَ الْغُرَابُ : لَا تَبْعِهِنَّ وَأَنْظِرْ مَا يَكُونُ  
 مِنْهُنَّ . فَالْتَفَتَتِ الْمُطَوَّقَةُ فَرَأَتِ الصَّيَّادَ يَتَّبِعُهُنَّ . فَقَالَتْ  
 لِلْحَمَامِ : هَذَا الصَّيَّادُ مُجِدٌّ فِي طَلَبِكُنَّ ، فَإِنِ نَحْنُ أَخَذْنَا  
 فِي الْفَضَاءِ لَمْ يَخَفَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَّبِعُنَا ، وَإِنِ نَحْنُ  
 تَوَجَّهْنَا إِلَى الْعِمْرَانِ خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، وَأَنْصَرَفَ . وَبِمَكَانٍ كَذَا  
 جَرَدٌ هُوَ لِي أَخٌ ، فَلَوْ أَنْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَطَعَ عَنَّا هَذَا الشَّرْكَ .  
 فَفَعَلْنَ ذَلِكَ . وَأَيْسَ الصَّيَّادُ مِنْهُنَّ وَأَنْصَرَفَ . وَتَبِعَهُنَّ الْغُرَابُ .  
 فَلَمَّا انْتَهَتِ الْحَمَامَةُ الْمُطَوَّقَةُ إِلَى الْجُرْدِ ، أَمَرَتِ الْحَمَامُ أَنْ  
 يَسْقُطْنَ ، فَوَقَعْنَ ، وَكَانَ لِلْجُرْدِ مِائَةٌ جِجْرٍ لِلْمَخَافِيفِ ، فَنَادَتْهُ  
 الْمُطَوَّقَةُ بِأَسْمِهِ ، وَكَانَ اسْمُهُ زِيرِكٌ ، فَأَجَابَهَا الْجُرْدُ مِنْ جُجْرِهِ :  
 مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا خَلِيلَتُكَ الْمُطَوَّقَةُ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا الْجُرْدُ  
 يَسْعَى ، فَقَالَ لَهَا : مَا أَوْقَعَكَ فِي هَذِهِ الْوَرِطَةِ ؟ قَالَتْ لَهُ : أَلَمْ  
 تَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ مُقَدَّرٌ عَلَيَّ مِنْ تَصْيِبِهِ  
 الْمَقَادِيرُ ، وَهِيَ الَّتِي أَوْقَعْتَنِي فِي هَذِهِ الْوَرِطَةِ ، فَقَدْ لَا يَمْتَنِعُ

مِنَ الْقَدْرِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا ، وَقَدْ تَنَكَّسَ الشَّمْسُ  
 وَالْقَمَرُ إِذَا قُضِيَ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَخَذَ فِي قُرْضِ  
 الْعَقْدِ الَّذِي فِيهِ الْمُطَوَّقَةُ . فَقَالَتْ لَهُ الْمُطَوَّقَةُ : أَبَدًا يَقْطَعُ  
 عَقْدَ سَائِرِ الْجَمَامِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَى عَقْدِي ، وَأَعَادَتْ  
 ذَلِكَ عَلَيْهِ مَرَارًا ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهَا ، فَلَمَّا أَكْثَرَتْ  
 عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَكَرَّرَتْ ، قَالَ لَهَا : لَقَدْ كَرَّرْتَ الْقَوْلَ عَلَيَّ  
 كَأَنَّكَ لَيْسَ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ ، وَلَا لَكَ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ ،  
 وَلَا تَرَعِينَ لَهَا حَقًّا . قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ ، إِنَّ أَنْتَ بَدَأْتَ  
 بِقَطْعِ عَقْدِي أَنْ تَمَلَّ وَتَتَكَسَّلَ عَنِ قَطْعِ مَا بَقِيَ ، وَعَرَفْتُ أَنَّكَ  
 إِذَا بَدَأْتَ بَيْنَ قَبْلِي ، وَكُنْتُ أَنَا الْأَخِيرَةَ ، لَمْ تَرْضَ ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ  
 الْفِتْرُ ، أَنْ أَبْقَى فِي الشَّرِكِ ، قَالَ الْجُرْدُ : هَذَا مِمَّا يَزِيدُ الرَّغْبَةَ  
 وَالْمَوَدَّةَ فِيكَ . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَخَذَ فِي قُرْضِ الشَّبَكَةِ حَتَّى فَرَّغَ  
 مِنْهَا ، فَانْطَلَقَتْ الْمُطَوَّقَةُ وَحَمَامَهَا مَعَهَا .

فَلَمَّا رَأَى الْغُرَابُ صُنْعَ الْجُرْدِ ، رَغِبَ فِي مَصَادِقَتِهِ ، بَغَاءً  
 وَنَادَاهُ بِاسْمِهِ ، فَأَخْرَجَ الْجُرْدُ رَأْسَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ ؟

قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ مُصَادَقَتَكَ . قَالَ الْجُرَذُ : لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ  
 تَوَاصُلٌ ، وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْتَمِسَ مَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ،  
 وَيَتْرَكَ التَّمَّاسَ مَا لَيْسَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ، فَإِنَّهَا أَنْتَ الْآكِلُ ،  
 وَأَنَا طَعَامُ لَكَ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنْ أَكَلِي إِيَّاكَ ، وَإِنْ كُنْتُ لِي  
 طَعَامًا ، مِمَّا لَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا ، وَإِنْ مَوَدَّتْكَ آتَسُ لِي مِمَّا  
 ذَكَرْتَ ، وَلَسْتُ بِمُحَقِّقٍ ، إِذَا جِئْتُ أَطْلُبُ مَوَدَّتَكَ ، أَنْ تُرَدِّي  
 خَائِبًا . فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي مِنْكَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا رَغَبْتِي فِيكَ ،  
 وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَلْتَمِسُ إِظْهَارَ ذَلِكَ : فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَخْفَى فَضْلُهُ ،  
 وَإِنْ هُوَ أَخْفَاهُ ، كَالْمِسْكِ الَّذِي يُشَكِّمُ ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنَ النَّشْرِ  
 الطَّيِّبِ وَالْأَرَجِ الْفَاحِشِ . قَالَ الْجُرَذُ . إِنْ أَشَدَّ الْعَدَاوَةِ عَدَاوَةُ  
 الْجَوْهَرِ : وَهِيَ عَدَاوَتَانِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُتَكَافِيٌّ كَعَدَاوَةِ الْفِيلِ  
 وَالْأَسَدِ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا قَتَلَ الْأَسَدُ الْفِيلَ أَوِ الْفِيلُ الْأَسَدَ ، وَمِنْهَا  
 مَا قُوَّتُهُ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى الْآخَرِ كَعَدَاوَةِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ السِّنُورِ  
 وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ : فَإِنَّ الْعَدَاوَةَ الَّتِي بَيْنَنَا لَيْسَتْ تَضُرُّكَ ، وَإِنَّمَا  
 ضَرُّهَا عَائِدٌ عَلَيَّ : فَإِنَّ الْمَاءَ لَوْ أَطِيلَ إِسْتِحْنَانَهُ لَمْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ

إِطْفَاءِ النَّارِ إِذَا صَبَّ عَلَيْهَا ، وَإِنَّمَا مُصَاحِبُ الْعَدُوِّ وَمُصَالِحُهُ  
 كَصَاحِبِ الْحَيَّةِ يَحْمِلُهَا فِي كُمِّهِ ، وَالْعَاقِلُ لَا يَسْتَأْنِسُ إِلَى الْعَدُوِّ  
 الْأَرِيبِ !

قَالَ الْغُرَابُ : قَدْ فَهِمْتُ مَا تَقُولُ ، وَأَنْتَ خَلِيقٌ أَنْ تَأْخُذَ  
 بِفَضْلِ خَلِيقَتِكَ ، وَتَعْرِفَ صِدْقَ مَقَالَتِي ، وَلَا تُضْعِبَ عَلَيَّ  
 الْأَمْرَ بِقَوْلِكَ : لَيْسَ إِلَى التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا سَبِيلٌ : فَإِنَّ الْعُقَلَاءَ  
 الْكِرَامَ لَا يَتَبَغَّوْنَ عَلَى مَعْرُوفٍ جَزَاءً ، وَالْمُودَّةُ بَيْنَ الصَّالِحِينَ  
 سَرِيعٌ اتِّصَالُهَا بِطَيِّئٍ انْقِطَاعُهَا . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الْكُوزِ مِنْ  
 الذَّهَبِ : بَطِيءُ الْإِنْكَسَارِ ، سَرِيعُ الْإِعَادَةِ ، دَيْنُ الْإِصْلَاحِ ،  
 إِنْ أَصَابَهُ ثَلْمٌ أَوْ كَسْرٌ ، وَالْمُودَّةُ بَيْنَ الْأَشْرَارِ سَرِيعٌ انْقِطَاعُهَا ،  
 بَطِيءٌ اتِّصَالُهَا . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الْكُوزِ مِنَ الْفَخَّارِ ، سَرِيعُ  
 الْإِنْكَسَارِ ، يَتَكْسَرُ مِنْ أَدْنَى عَيْبٍ ، وَلَا وَصْلَ لَهُ أَبَدًا . وَالْكَرِيمُ  
 يُوَدُّ الْكَرِيمَ ، وَاللَّئِيمُ لَا يُوَدُّ أَحَدًا إِلَّا عَن رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ . وَأَنَا  
 إِلَى وُدِّكَ وَمَعْرُوفِكَ مُتَّحِجٌ : لِأَنَّكَ كَرِيمٌ ، وَأَنَا مُلَازِمٌ لِبَابِكَ ،  
 غَيْرَ ذَائِقٍ طَعَامًا ، حَتَّى تُوَافِقَنِي . قَالَ الْجُرْدُ : قَدْ قَبِلْتُ إِخَاءَكَ :

فَإِنِّي لَمْ أَرُدُّ أَحَدًا عَنِ حَاجَةٍ قَطُّ ، وَإِنَّمَا بَدَأْتُكَ بِمَا بَدَأْتُكَ  
 بِهِ إِرَادَةَ التَّوَثُّقِ لِنَفْسِي ، فَإِنِ أَنْتَ غَدَرْتِ بِي لَمْ تَقُلْ : إِنِّي  
 وَجَدْتُ الْجُرْدَ سَرِيعَ الْإِنْخِدَاعِ . ثُمَّ نَحَرَ مِنْ جُحْرِهِ ، فَوَقَفَ  
 عِنْدَ الْبَابِ . فَقَالَ لَهُ الْغُرَابُ : مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيَّ ،  
 وَالْإِسْتِنَاسِ بِي ؟ فَهَلْ فِي نَفْسِكَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنِّي رِيْبَةٌ ؟ قَالَ  
 الْجُرْدُ : إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا يَتَعَاطُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَمْرَيْنِ ، وَيَتَوَاصِلُونَ  
 عَلَيْهِمَا ، وَهُمَا ذَاتُ النَّفْسِ ، وَذَاتُ الْيَدِ . فَالْمُتَبَاذِلُونَ  
 ذَاتَ النَّفْسِ هُمُ الْأَصْفِيَاءُ ، وَأَمَّا الْمُتَبَاذِلُونَ ذَاتَ الْيَدِ فَهُمْ  
 الْمُتَعَاوِنُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمُ الْإِنْتِفَاعَ بِبَعْضٍ . وَمَنْ كَانَ  
 يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ لِبَعْضِ مَنَافِعِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّمَا مَثَلُهُ فِيمَا يَبْدُلُ  
 وَيُعْطِي كَمَثَلِ الصَّيَّادِ وَالْقَائِمِ الْحَبَّ لِلطَّيْرِ ، لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْعَ  
 الطَّيْرِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ نَفْعَ نَفْسِهِ . فَتَعَاطَى ذَاتِ النَّفْسِ أَفْضَلُ مِنْ  
 تَعَاطَى ذَاتِ الْيَدِ . وَإِنِّي وَثِقْتُ مِنْكَ بِذَاتِ نَفْسِكَ ، وَمَنْحَتِكَ  
 مِنْ نَفْسِي مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكَ سُوءُ ظَنِّي  
 بِكَ ، وَلَكِنْ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ لَكَ أَصْحَابًا جَوْهَرُهُمْ كَجَوْهَرِكَ ،  
 وَلَيْسَ رَأْيُهُمْ فِي كَرَائِكَ .

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ مِنْ عِلَامَةِ الصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقِ  
 صَدِيقِهِ صَدِيقًا ، وَلِعَدُوِّ صَدِيقِهِ عَدُوًّا ؛ وَلَيْسَ لِي بِصَاحِبِ  
 وَلَا صَدِيقٍ مَنْ لَا يَكُونُ لَكَ مُحِبًّا ؛ وَإِنَّهُ يَهْوَنُ عَلَى قَطِيعَةٍ مِنْ  
 كَانَ كَذَلِكَ مِنْ جَوْهَرِي . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ نَحَرَ إِلَى الْغُرَابِ ،  
 فَتَصَاحَفَا وَتَصَافَيَا ، وَأَسَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ؛ حَتَّى إِذَا  
 مَضَتْ لهُمَا أَيَّامٌ قَالَ الْغُرَابُ لِلْجُرْدِ : إِنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ  
 النَّاسِ ، وَأَخَافُ أَنْ يَرْمِيكَ بَعْضُ الصَّبِيَّانِ بِحَجَرٍ ؛ وَلِي مَكَانٌ  
 فِي عُرْلَةٍ ، وَلِي فِيهِ صَدِيقٌ مِنَ السَّلَاحِفِ ، وَهُوَ مُخَصَّبٌ مِنْ  
 السَّمَكِ ؛ وَنَحْنُ وَاجِدُونَ هُنَاكَ مَا نَأْكُلُ ؛ فَأُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ  
 إِلَى هُنَاكَ لِتَعِيشَ آمِنِينَ . قَالَ الْجُرْدُ : إِنَّ لِي أَخْبَارًا وَقِصَصًا  
 سَاقِصَهَا عَلَيْكَ إِذَا أَنْتَهَيْتَنَا حَيْثُ تَرِيدُ ، فَأَفْعَلُ مَا تَشَاءُ . فَأَخَذَ  
 الْغُرَابُ بِذَنْبِ الْجُرْدِ ، وَطَارَ بِهِ حَتَّى بَلَغَ بِهِ حَيْثُ أَرَادَ . فَلَمَّا  
 دَنَا مِنَ الْعَيْنِ الَّتِي فِيهَا السَّلَحْفَاءُ ، بَصُرَتْ السَّلَحْفَاءُ بِالْغُرَابِ وَمَعَهُ  
 جُرْدٌ ، فَذَعِرَتْ مِنْهُ ، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُهَا ؛ فَنَادَاهَا ، فَخَرَجَتْ  
 إِلَيْهِ ، وَسَأَلَتْهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَأَخْبَرَهَا بِقِصَّتِهِ حِينَ تَبِعَ



لِحَمَامٍ ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْجُرَذِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا .  
 فَلَمَّا سَمِعَتْ السُّلْحَفَاءُ شَأْنَ الْجُرَذِ ، عَجِبَتْ مِنْ عَقْلِهِ وَوَفَائِهِ ،  
 وَرَحَّبَتْ بِهِ ، وَقَالَتْ لَهُ : مَا سَأَلَكِ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ ؟ قَالَ  
 الْغُرَابُ لِلْجُرَذِ : اقْضِضْ عَلَيَّ الْأَخْبَارَ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّكَ تُحَدِّثُنِي  
 بِهَا ، فَأَخْبِرْنِي بِهَا مَعَ جَوَابِ مَا سَأَلْتِ السُّلْحَفَاءُ : فَإِنَّهَا  
 عِنْدَكَ بِمَنْزِلَتِي ، فَبَدَأَ الْجُرَذُ وَقَالَ :

كَانَ مَنْزِلِي أَوَّلَ أَمْرِي بِمَدِينَةِ مَارُوتَ فِي بَيْتِ رَجُلٍ نَاسِكٍ ،  
 وَكَانَ خَالِيًا مِنَ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ ، وَكَانَ يُوْتِي فِي كُلِّ يَوْمٍ بِسَلَّةٍ  
 مِنَ الطَّعَامِ فَيَأْكُلُ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَيَعْلُقُ الْبَاقِي ، وَكُنْتُ أَرْصِدُ  
 النَّاسِكَ ، حَتَّى يَخْرُجَ وَائْتِبُ إِلَى السَّلَّةِ ، فَلَا أَدْعُ فِيهَا طَعَامًا إِلَّا  
 أَكَلْتُهُ ، وَأَرْمِي بِهِ إِلَى الْجُرَذَانِ . بَجَهْدِ النَّاسِكِ مِرَارًا أَنْ يُعْلِقَ  
 السَّلَّةَ مَكَانًا لَا أَنَالُهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ  
 ضَيْفٌ ، فَأَكَلَا جَمِيعًا ، ثُمَّ أَخَذَا فِي الْحَدِيثِ ، فَقَالَ النَّاسِكُ  
 لِلضَّيْفِ : مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ تُرِيدُ الْآنَ ؟ وَكَانَ الرَّجُلُ  
 قَدْ جَابَ الْآفَاقَ ، وَرَأَى عَجَائِبَ ، فَأَنْشَأَ يُحَدِّثُ النَّاسِكَ عَمَّا

عائشة

وَطَىءَ مِنْ الْبِلَادِ ، وَرَأَى مِنْ الْعَجَائِبِ ؛ وَجَعَلَ النَّاسِكُ خِلَالَ  
 ذَلِكَ يُصْفِقُ بِيَدَيْهِ ، لِيَنْفِرَنِي <sup>مِنْ يَدَيْهِ</sup> عَنِ السَّلَّةِ ؛ فَغَضِبَ الضَّيْفُ  
 وَقَالَ : أَنَا أَحَدُكَ وَأَنْتَ تَهْرَأُ بِحَدِيثِي ! فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ  
 سَأَلْتَنِي ؟ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ ، وَقَالَ : إِنَّمَا أَصْفَقُ بِيَدِي  
 لِأَنْفَرُ جَرْدًا قَدْ تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَسْتُ أَضَعُ فِي الْبَيْتِ شَيْئًا  
 إِلَّا أَكَلَهُ ، فَقَالَ الضَّيْفُ : جَرْدٌ وَاحِدٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَمْ جِرْدَانٌ  
 كَثِيرَةٌ ؟ فَقَالَ النَّاسِكُ : جِرْدَانُ الْبَيْتِ كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنْ فِيهَا جَرْدٌ  
 وَاحِدٌ هُوَ الَّذِي غَلَبَنِي ، فَمَا اسْتَطِيعَ لَهُ حِيلَةٌ . قَالَ الضَّيْفُ :  
 لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي قَوْلَ الَّذِي قَالَ : لِأَمْرِ مَا بَاعَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ سِمِينًا <sup>مِثْلًا</sup>  
 مَقْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ ! قَالَ النَّاسِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الضَّيْفُ : نَزَلْتُ مَرَّةً عَلَى رَجُلٍ بِمَكَانٍ كَذَا ، فَتَعَشَيْتُنَا ،  
 ثُمَّ فَرَشَ لِي . وَانْقَلَبَ الرَّجُلُ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي آخِرِ  
 اللَّيْلِ لِأَمْرَاتِهِ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُو غَدًا رَهْطًا لِيَأْكُلُوا عِنْدَنَا ،  
 فَبَاصَنِي لَهُمْ طَعَامًا . فَتَوَالَّتِ الْمَرْأَةُ : كَيْفَ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى

طَعَامِكَ ، وَلَيْسَ فِي يَدَيْكَ فَضِيلٌ <sup>بجانبها</sup> عَنْ عِيَالِكَ ؟ وَأَنْتَ رَجُلٌ  
لَا تُبْقِي شَيْئًا وَلَا تُدَحِّرُهُ . قَالَ الرَّجُلُ : لَا تَنْدِي عَلَيَّ شَيْءٌ أَطْعَمَنَاهُ  
وَأَنْفَقَنَاهُ : فَإِنَّ الْجَمْعَ وَالْإِدْخَارَ رُبَّمَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ كَعَاقِبَةِ الذَّنْبِ .  
قَالَتِ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الرَّجُلُ : زَعَمُوا أَنَّهُ نَحَرَ جِذَاتِ يَوْمِ رَجُلٍ قَانِصٍ ، وَمَعَهُ  
قَوْسُهُ وَنَسَابُهُ فَلَمْ يُجَاوِزْ غَيْرَ بَعِيدٍ ، حَتَّى رَمَى ظِييًّا ، <sup>ساراً بهرباً</sup> فَخَمَلَهُ وَرَجَعَ  
طَالِبًا مَنْزِلَهُ ، فَاعْتَرَضَهُ خَنْزِيرٌ بَرِيٌّ فَرَمَاهُ بِنَشَابَةٍ نَفَذَتْ فِيهِ ،  
فَادْرَكَهُ الْخَنْزِيرُ وَضَرَبَهُ بِأَنْبِيَابِهِ ضَرْبَةً أَطَارَتْ مِنْ يَدِهِ الْقَوْسُ ،  
وَوَقَعَ مَيِّتِينَ ، فَأَتَى عَلَيْهِمْ ذَنْبٌ فَقَالَ : هَذَا الرَّجُلُ وَالظَّيُّ  
وَالْخَنْزِيرُ يَكْفِينِي أَكْلَهُمْ مَدَّةً ، وَلَكِنْ أِبْدَأُ بِهَذَا الْوَتْرِ فَأَكَلَهُ ،  
فَيَكُونُ قُوْتٌ يَوْمِي ، فَعَالَجَ الْوَتْرَ حَتَّى قَطَعَهُ ، فَلَمَّا انْقَطَعَ  
طَارَتْ سِيَةُ الْقَوْسِ <sup>(٢)</sup> ، فَضَرَبَتْ حَلْقَهُ فَمَاتَ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ  
لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْجَمْعَ وَالْإِدْخَارَ وَخِيْمَ الْعَاقِبَةِ . فَقَالَتْ

(١) جمع نشابة ودى اللحم . (٢) طرفها .

الْمَرَاةُ : نَعِمَ مَا قُلْتِ ! وَعِنْدَنَا مِنَ الْأُرْزِ وَالسِّمِمْ مَا يَكْفِي سِتَّةَ  
 نَفَرٍ أَوْ سَبْعَةٍ ، فَأَنَا غَادِيَةٌ عَلَى اضْطِنَاعِ الطَّعَامِ ، فَادْعُ مِنْ أُخِيَّتِ .  
 وَأَخَذَتِ الْمَرَاةُ حِينَ أَصْبَحَتْ سَمِيمًا فَقَشَرَتْهُ ، وَبَسَطَتْهُ فِي الشَّمْسِ  
 لِيَجْفَ ، وَقَالَتْ لِغُلَامٍ لَهُمْ : أَطْرُدْ عَنْهُ الطَّيْرَ وَالْكَلابَ ،  
 وَتَفَرَّغْتَ الْمَرَاةُ لِصُنْعِهَا ، وَتَغَافَلَ الْغُلَامُ عَنِ السِّمِمْ ، بِخَاءِ  
 كَلْبٍ ، فَعَاثَ فِيهِ ، فَاسْتَقْدَرَتْهُ الْمَرَاةُ ، وَكَرِهَتْ أَنْ تَصْنَعَ مِنْهُ  
 طَعَامًا مَا ، فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى السُّوقِ ، فَأَخَذَتْ بِهِ مُقَابِضَةً سَمِيمًا  
 غَيْرَ مَقْشُورٍ : مِثْلًا بِمِثْلِ ، وَأَنَا وَأَقِفُ فِي السُّوقِ ، فَقَالَ رَجُلٌ :  
 لِأَمْرِ مَا بَاعْتَ هَذِهِ الْمَرَاةُ سَمِيمًا مَقْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ . وَكَذَلِكَ  
 قَوْلِي فِي هَذَا الْجُرْدِ الَّذِي ذَكَرْتَ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ عِلَّةٍ مَا يَقْدِرُ عَلَى  
 مَا شَكُوتَ مِنْهُ . فَالْتَمِسْ لِي فَاسًّا لَعَلِّي أَحْتَفِرُ بِجَحْرِهِ فَأَطَّلِعَ عَلَى  
 بَعْضِ شَأْنِهِ ! فَاسْتَعَارَ النَّاسِكُ مِنْ بَعْضِ جِيرَانِهِ فَاسًّا ، فَأَتَى  
 بِهَا الضَّيْفَ ، وَأَنَا حِينئِذٍ فِي جُحْرٍ غَيْرِ جُحْرِي أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ،  
 وَفِي جُحْرِي كَيْسٌ فِيهِ مِائَةٌ دِينَارٍ ، لَا أُدْرِي مَنْ وَضَعَهَا ، فَاحْتَفَرَ

الضئيف حتى انتهى إلى الدنانير فأخذها وقال للناسك : ما كان  
هذا الجرد يقوى على الوثوب حيث كان يثب إلا بهذه  
الدنانير : فإن المال جعل له قوة وزيادة في الرأي والتمكين .  
وسترى بعد هذا أنه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب .  
فلما كان من الغد اجتمع الجرذان التي كانت معي فقالت :  
قد أصابنا الجوع ، وأنت رجأونا . فانطلقت ومعي الجرذان إلى  
المكان الذي كنت أثب منه إلى السلّة ، فحاولت ذلك مراراً :  
فلم أقدر عليه . فاستبان لجرذان نقص حالي ، فسمعتهن يقلن :  
أنصرفن عنه ، ولا تطمئن فيما عنده : فإننا نرى له حالاً  
لا نحسبه إلا قد احتاج معها إلى من يعوله . فتركتني ، ولحقن  
باعدائي وجفوني ، وأخذن في غيبي عند من يعاديني ويحسدني .  
فقلت في نفسي : ما الإخوان ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلا  
بالمال ووجدت من لا مال له ، إذا أراد أمراً ، قعد به العدم  
عما يريد : كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الشتاء :  
لا يمر إلى نهر ولا يجري إلى مكان ، فتشربه أرضه . ووجدت

مَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ لَا أَهْلَ لَهُ ، وَمَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا ذِكْرَ لَهُ ، وَمَنْ لَا  
 مَالَ لَهُ لَا عَقْلَ لَهُ ، وَلَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ لَهُ : لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ  
 قَطَعَهُ أَقَارِبُهُ وَإِخْوَانُهُ : فَإِنَّ الشَّجَرَةَ النَّابِتَةَ فِي السِّبَاخِ ، الْمَأْكُولَةَ  
 مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، كَحَالِ الْفَقِيرِ الْمُحْتَاجِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ .  
 وَوَجَدْتُ الْفَقْرَ رَأْسَ كُلِّ بَلَاءٍ ، وَجَالِبًا <sup>بِشَيْءٍ</sup> إِلَى صَاحِبِهِ كُلِّ مَقْتٍ ،  
 وَمَعْدَنَ النَّمِيمَةِ . وَوَجَدْتُ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ اتَّهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ  
 مَوْتِمًا ، وَاسَاءَ بِهِ الظَّنُّ <sup>بِالرَّجُلِ</sup> مَنْ كَانَ يظُنُّ فِيهِ حَسَنًا : فَإِنْ أَذْنَبَ  
 غَيْرُهُ كَانَ هُوَ لِلتَّهْمَةِ مَوْضِعًا . وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ هِيَ لِلغِيِّ مَدْحٌ  
 إِلَّا وَهِيَ لِلْفَقِيرِ ذَمٌّ ، فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا قِيلَ : أَهْوَجُ ، وَإِنْ كَانَ  
 جَوَادًا سُمِّيَ مَبْدِرًا ، وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا ، وَإِنْ كَانَ  
 وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا . فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ الْجِجَاعَةِ الَّتِي تُخَوِّجُ صَاحِبَهَا  
 إِلَى الْمَسْأَلَةِ ، وَلَا سِوَا مَسْأَلَةِ الْأَشْيَاءِ وَاللُّثَامِ : فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ  
 كَلَّفَ أَنْ يَدْخُلَ يَدُهُ فِي فَمِ الْأَفْعَى ، فَيُخْرِجَ مِنْهُ سَمًّا فَيَتَلَعَهُ ،  
 كَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ ، وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَسْأَلَةِ الْبَخِيلِ اللَّثَمِ .  
 وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ الضَّعِيفَ حِينَ أَخَذَ الدَّنَانِيرَ فَقَاسَمَهَا النَّاسِكَ ،

ففعل الناسك نصيبه في خرايطه عند رأسه لما جن الليل ،  
 فطمعت أن أصيب منها شيئاً فأردته إلى جحري ، ورجوت أن  
 يزيد ذلك في قوتي ، ويراجعني بسببه بعض أصدقائي . فانطلقت  
 إلى الناسك وهو نائم ، حتى انتهيت عند رأسه ، ووجدت  
 الضيف يقظان ، وبيده قضيب ، فضربني على رأسي ضربة  
 موجعة ، فسعيت إلى جحري . فلما سكن عني الألم ، هيجني  
 الحرص والشرة ، فخرجت طمعا كطمعي الأول ، وإذا الضيف  
 يرصدني ، فضربني ضربة أسالت مني الدم . فتقأبت ظهرا  
 لبطن إلى جحري ، فخررت مغشيا علي ، فأصابني من الوجع  
 ما بغض إلى المال ، حتى لا اسمع بذكره إلا تداخلني من ذكر  
 المال رعدة وهيبة . ثم تذكرت فوجدت البلاء في الدنيا إنما  
 يسوقه الحرص والشرة ، ولا يزال صاحب الدنيا في بلية وتعب  
 ونصب ، ووجدت تجشم الأسفار البعيدة في طلب الدنيا  
 أهون علي من بسط اليد إلى السخي بالمال ، ولم أركلرضا

شَيْئًا ، فَصَارَ أَمْرِي إِلَى أَنْ رَضِيتُ وَقِنَعْتُ ، وَانْتَقَلْتُ مِنْ  
بَيْتِ النَّاسِكِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، وَكَانَ لِي صَدِيقٌ مِنَ الْحَمَامِ ، فَسِيقَتْ  
إِلَى بِصَدَاقَتِهِ صَدَاقَةٌ . ثُمَّ ذَكَرَ لِي الْغُرَابُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنْ  
الْمَوَدَّةِ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَرِيدُ إِتْيَانِكَ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ آتِيكَ مَعَهُ ،  
فَكَرِهْتُ الْوَحْدَةَ ، فَإِنَّهُ لَأَشْيَاءٌ مِنْ سُورِ الدُّنْيَا يَعْدِلُ صُحْبَةَ  
الْإِخْوَانِ ، وَلَا غَمَّ فِيهَا يَعْدِلُ الْبُعْدَ عَنْهُمْ . وَجَرَّبْتُ : فَعَلِمْتُ  
أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَلْتَمَسَ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ الْكَفَافِ الَّذِي  
يُدْفَعُ بِهِ الْأَذَى عَنِ نَفْسِهِ : وَهُوَ الْيَسِيرُ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ ،  
إِذَا اشْتَمَلَ عَلَى صِحَّةِ الْبَدَنِ وَرَفَاهَةِ الْبَابِ . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا وَهَبَتْ لَهُ  
الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا ، لَمْ يَكُ يَنْتَفِعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْقَلِيلِ الَّذِي  
يُدْفَعُ بِهِ عَنِ نَفْسِهِ الْحَاجَةَ : فَأَقْبَلْتُ مَعَ الْغُرَابِ إِلَيْكَ عَلَى هَذَا  
الرَّأْيِ ، وَأَنَا لَكَ أَخٌ ، فَلْتَكُنْ مَنْزِلَتِي عِنْدَكَ كَذَلِكَ .

فَلَمَّا فَرَغَ الْجُرْدُ مِنْ كَلَامِهِ أَجَابَتْهُ السُّلْحَفَاءُ بِكَلَامٍ رَفِيقٍ  
عَذِبٍ ، وَقَالَتْ : قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكَ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا تَحَدَّثْتَ بِهِ !  
إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُكَ تَذْكُرُ بِقَايَا أُمُورِهِ فِي نَفْسِكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ



حُسْنَ الْكَلَامِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ ، وَأَنَّ الْمَرِيضَ الَّذِي قَدْ  
 عَلِمَ دَوَاءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَدَاوِ بِهِ ، لَمْ يُغْنِ عَلَيْهِ بِهِ شَيْئًا ، وَلَمْ يَجِدْ  
 لِدَائِهِ رَاحَةً وَلَا خِفَّةً . فَاسْتَعْمِلْ رَأْيَكَ ، وَلَا تَحْزَنْ لِقِلَّةِ الْمَالِ :  
 فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ : كَالْأَسَدِ الَّذِي  
 يَهَابُ ، وَإِنْ كَانَ رَافِضًا ، وَالْغَنِيِّ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يَهَانُ ،  
 وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ : كَالْكَلْبِ لَا يُحْفَلُ بِهِ ، وَإِنْ طُوقَ  
 وَخُلِعِلَ بِالذَّهَبِ <sup>(١)</sup> . فَلَا تَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ غُرْبَتُكَ : فَإِنَّ الْعَاقِلَ  
 لَا غُرْبَةَ لَهُ : كَالْأَسَدِ الَّذِي لَا يَنْقَابُ إِلَّا وَمَعَهُ قُوَّتُهُ . فَلْتُحْسِنِ  
 لِعَاهِدِكَ لِنَشِيكَ : فَإِنَّكَ إِذَا فَعَعْتَ ذَلِكَ جَاءَكَ الْخَيْرُ يَطْلُبُكَ  
 كَمَا يَطْلُبُ الْمَاءَ اتِّخِدَارُهُ . وَإِنَّمَا جَعَلَ الْفَضْلُ لِلْحَازِمِ الْبَصِيرِ  
 بِالْأُمُورِ ، وَمَا الْكَسْلَانُ الْمُرْتَدِدُ فَإِنَّ الْفَضْلَ لَا يَصْحَبُهُ . وَتَذُ  
 قِيلَ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا بَقَاءٌ : ظِلُّ الْغَمِّ مِمَّةٌ فِي الصَّيْفِ ،  
 وَخَلَّةُ الْأَشْرَارِ ، وَالْبِنَاءُ عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ ، وَالْمَالُ الْكَثِيرُ :

(١) يمكن أن يكون مأخوذاً من المحلل وهو موضع الخلل والافان كلمة خالجل لم ترد  
 صريحاً إلا في معنى خالجل العظم أخذ ما عليه من اللحم والمخجل مشتق فهو يشعر بأن له فعلاً وإن لم  
 تذكره المعاجم لأنها لا تعرض للقياس أو هو مما أميت من الكلم .

فَالْعَاقِلُ لَا يَحْزَنُ لِقَلْتِهِ ، وَإِنَّمَا مَالُ الْعَاقِلِ عَقْلُهُ ، وَمَا قَدِمَ  
 مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ ، فَهُوَ وَاثِقٌ بِأَنَّهُ لَا يَسْلُبُ مَا عَمِلَ ، وَلَا يُؤَاخِذُ  
 بِشَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ ، وَهُوَ خَلِيقٌ إِلَّا يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ : فَإِنَّ  
 الْمَوْتَ لَا يَأْتِي إِلَّا بَغْتَةً ، لَيْسَ لَهُ وَقْتُ مَعِينٍ . وَأَنْتَ عَنْ  
 مَوْعِظَتِي غَنِيٌّ بِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ . وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنَّ أَقْضَى  
 مَا لَكَ مِنْ حَقِّ قَبْلِنَا : لِأَنَّكَ أَخُونَا ، وَمَا عِنْدَنَا مِنَ النَّصِيحِ  
 مَبْدُولٌ لَكَ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْغُرَابُ كَلَامَ السَّلْحَفَةِ لِلْجُرْدِ ، وَرَدَّهَا عَلَيْهِ ،  
 وَمَلَّاطَفَتَهَا إِيَّاهُ فَرِحَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : لَقَدْ سَرَّرْتَنِي ، وَأَنْعَمْتَ  
 عَلَيَّ ، وَأَنْتِ جَدِيرَةٌ أَنْ تُسَرِّيَ نَفْسِي بِمِثْلِ مَا سَرَّرْتَنِي بِهِ . وَإِنَّ  
 أَوْلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِشِدَّةِ الشُّرُورِ مَنْ لَا يَزَالُ رَبَعَهُ مِنْ إِخْوَانِهِ  
 وَأَصْدِقَائِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ مَعْمُورًا ، وَلَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ  
 يَسْرَهُمْ وَيَسْرُونَهُ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ أُمُورِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ  
 بِالْمُرْصَادِ : فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا عَسَرَ لَا يَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَّا الْكَرَامُ :  
 كَالْفِيلِ إِذَا وَحَلَ لَا تُخْرِجُهُ إِلَّا الْفَيْلَةُ .

فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ فِي كَلَامِهِ ، إِذَا أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ ظَبْيٌ يَسْعَى ،  
فَدَعَرَتْ مِنْهُ السَّلْحَفَاءُ ، فَغَاضَتْ فِي الْمَاءِ ، وَخَرَجَ الْجُرْدُ  
إِلَى بُحْرِهِ ، وَطَارَ الْغُرَابُ ، فَوَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ . ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ حَلَقَ  
فِي السَّمَاءِ لِيَنْظُرَ هَلْ لِلظَّبْيِ طَالِبٌ ؟ فَظَنَّ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَنادَى  
الْجُرْدَ وَالسَّلْحَفَاءَ ، وَخَرَجًا ، فَقَالَتِ السَّلْحَفَاءُ لِلظَّبْيِ ، حِينَ  
رَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ : أَشْرَبَ إِنْ كَانَ بِكَ عَطَشٌ ، وَلَا تَخَفْ :  
فَإِنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْكَ . فَدَنَا الظَّبْيُ ، فَرَحِبَتْ بِهِ السَّلْحَفَاءُ  
وَحَيْتَهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أُسْنَعُ<sup>(١)</sup>  
بِهَذِهِ الصَّحَارَى ، فَلَمْ تَزَلِ الْأَسَاوِرَةُ تَطْرُدُنِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى  
مَكَانٍ . حَتَّى رَأَيْتُ الْيَوْمَ شَبْعًا . نَخِيفُ أَنْ يَكُونَ قَانِصًا .  
قَالَتْ : لَا تَخَفْ : فَإِنَّا لَمْ نَرِهَا هُنَا قَانِصًا قَطُّ ، وَنَحْنُ نَبْدُلُ  
لَكَ وَدَنَا وَمَكَانَنَا ، وَالْمَاءُ وَالْمَرْعَى كَثِيرَانِ عِنْدَنَا : فَارْغَبْ  
فِي صُحْبَتِنَا . فَأَقَامَ الظَّبْيُ مَعَهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ عَرِيشٌ يَجْتَمِعُونَ<sup>(٢)</sup>

(١) اسنح من الصيد : عامر من المياصر الى المياصر . والبارح صده ، والمرادها مطلق الرتوع .

(٢) جمع إسوار وهو الرامي بالسهم .

(٣) مكان يستظل به .

فِيهِ ، وَيَتَدَاكِرُونَ الْأَحَادِيثَ وَالْأَخْبَارَ . فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ وَالْجُرْدُ  
 وَالسُّلْحَفَاءُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْعَرِيشِ ، غَابَ الظُّبْيُ ، فَتَوَقَّعُوهُ سَاعَةً ،  
 فَلَمْ يَأْتِ . فَلَمَّا أَبْطَأَ أَشْفَقُوا <sup>(١)</sup> أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ عَنَتٌ <sup>(٢)</sup> ،  
 فَقَالَ الْجُرْدُ وَالسُّلْحَفَاءُ لِلْغُرَابِ : أَنْظِرْ هَلْ تَرَى مِمَّا يَلِينَا شَيْئًا ؟  
 فَخَلَّقَ الْغُرَابُ فِي السَّمَاءِ فَنَظَرَ : فَإِذَا الظُّبْيُ فِي الْحَبَائِلِ مُقْتَنَصًا ،  
 فَانْقَضَ مُسْرِعًا ، فَأَخْبَرَهُمَا بِذَلِكَ ، فَقَالَتِ السُّلْحَفَاءُ وَالْغُرَابُ  
 لِلْجُرْدِ : هَذَا أَمْرٌ لَا يُرْجَى فِيهِ غَيْرُكَ ، فَأَغِثْ أَخَاكَ . فَسَعَى  
 الْجُرْدُ مُسْرِعًا ، فَأَتَى الظُّبْيَ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ وَقَعْتَ فِي هَذِهِ  
 الْوَرِطَةِ وَأَنْتَ مِنَ الْأَنْجَاسِ <sup>(٣)</sup> ؟ قَالَ الظُّبْيُ : هَلْ يُغْنِي الْكَيْسُ  
 مَعَ الْمَقَادِيرِ شَيْئًا ، فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَدِيثِ إِذْ وَافَتْهُمَا السُّلْحَفَاءُ ،  
 فَقَالَ لَهَا الظُّبْيُ . مَا أَصَبْتَ بِمَجِيئِكَ إِلَيْنَا : فَإِنَّ الْقَانِصَ لَوْ  
 انْتَهَى إِلَيْنَا وَقَدْ قَطَعَ الْجُرْدُ الْحَبَائِلَ اسْتَبَقْتُهُ عَدُوًّا ، وَلِجُرْدِ  
 أَنْجَارٍ كَثِيرَةٍ ، وَالْغُرَابُ يَطِيرُ ، وَأَنْتِ ثَقِيلَةٌ : لَا سَعَى لَكَ  
 وَلَا حَرَكَةَ ، وَأَخَافُ عَلَيْكَ الْقَانِصَ . قَالَتْ : لَا عَيْشَ مَعَ

(١) خافوا . (٢) وقوع في أمر شاق . (٣) جمع كَيْسٍ وهو الفطن الغريز .

فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ ، وَإِذَا فَارَقَ الْأَلِيفُ الْأَيْفَهُ فَقَدْ سَلِبَ فُؤَادَهُ ،  
وَحَرِمَ سُرُورَهُ ، وَغَشِيَ بَصْرَهُ . فَلَمْ يَنْتَهِ كَلَامُهَا حَتَّى وَافَى  
الْقَانِصُ ، وَوَافَقَ ذَلِكَ فَرَاحَ الْجُرْدُ مِنْ قَطْعِ الشَّرِكِ ، فَنَجَا  
الظَّبْيُ بِنَفْسِهِ ، وَطَارَ الْغُرَابُ مُحَلِّقًا ، وَدَخَلَ الْجُرْدُ بَعْضَ  
الْأَجْحَارِ ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ السَّلْحَفَاءِ ، وَدَنَا الصَّيَّادُ فَوَجَدَ حِبَالَتَهُ  
مُقَطَّعَةً ، فَنظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ السَّلْحَفَاءِ تَدِبُّ ، فَأَخَذَهَا  
وَرَبَطَهَا ، فَلَمْ يَلْبَثِ الْغُرَابُ وَالْجُرْدُ وَالظَّبْيُ أَنْ اجْتَمَعُوا فَنظَرُوا  
الْقَانِصَ قَدْ رَبَطَ السَّلْحَفَاءَ ، فَاشْتَدَّ حُزْنُهُمْ ، وَقَالَ الْجُرْدُ :  
مَا أَرَانَا نُجَاوِزُ عَقَبَةً مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا صِرْنَا فِي أَشَدِّ مِنْهَا . وَلَقَدْ  
صَدَقَ الَّذِي قَالَ : لَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ مُسْتَمِرًّا فِي إِقْبَالِهِ مَا لَمْ يَغْتَرْ ،  
فَإِذَا عَثَرَ بِجِذْبِ الْعِثَارِ ، وَإِنْ مَشَى فِي جَدِّ الْأَرْضِ . وَحَدَرِي  
عَلَى السَّلْحَفَاءِ خَيْرِ الْأَصْدِقَاءِ الَّتِي خَلَّتْهَا لَيْسَتْ لِلْمُجَازَاةِ وَلَا  
لِالْتِمَاسِ مُكَافَأَةٍ ، وَلَكِنَّهَا خَلَّةُ الْكَرَمِ وَالشَّرَفِ ، خَلَّةٌ هِيَ

(٣) الخلة: الصداقة .

(٢) الأرض الغليظة المستوية .

(١) تمادى .

أَفْضَلُ مِنْ خُلَّةِ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ ، خُلَّةٌ لَا يُزِيلُهَا إِلَّا الْمَوْتُ . وَيُحِبُّ  
لِهَذَا الْجَسَدِ الْمُوَكَّلِ بِهِ الْبَلَاءُ الَّذِي لَا يَزَالُ فِي تَصَرُّفٍ وَتَقَلُّبٍ ،  
وَلَا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَلْبَثُ مَعَهُ أَمْرٌ : كَمَا لَا يَدُومُ لِلطَّلَاعِ  
مِنَ النُّجُومِ طُلُوعٌ ، وَلَا لِلْأَفِلِ مِنْهَا أَقْوَالٌ ، لَكِنْ لَا يَزَالُ الطَّلَاعُ  
مِنْهَا أَفِلًا ، وَالْأَفِلُ طَالِعًا ، وَكَمَا تَكُونُ آلَامُ الْكُلُومِ <sup>(١)</sup> وَانْتِقَاضُ  
الْجِرَاحَاتِ ، كَذَلِكَ مِنْ قَرِحَتْ كَلُومُهُ بِفَقْدِ إِخْوَانِهِ بَعْدَ  
اجْتِمَاعِهِ بِهِمْ . فَقَالَ الظَّيُّ وَالْغُرَابُ لِلْجُرْدِ : إِنْ حَذَرْنَا وَحَذَرَكَ  
وَكَلامَكَ ، وَإِنْ كَانَ بَلِيغًا ، كُلُّ مِنْهَا لَا يُغْنِي عَنِ السَّلْحَفَةِ  
شَيْئًا . وَإِنَّهُ كَمَا يُقَالُ : إِنَّمَا يُخْتَبَرُ النَّاسُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَذُو  
الْأَمَانَةِ عِنْدَ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ ، وَالْأَهْلُ وَالْوَالِدُ عِنْدَ الْفَاقَةِ ، كَذَلِكَ  
يُخْتَبَرُ الْإِخْوَانُ عِنْدَ النَّوَائِبِ . قَالَ الْجُرْدُ : أَرَى مِنْ الْحِيلَةِ أَنْ  
تَذَهَبَ ، أَيُّهَا الظَّيُّ ، فَتَقَعَ بِمَنْظَرٍ مِنَ الْقَانِصِ : كَأَنَّكَ جَرِيحٌ ،  
وَيَقَعُ الْغُرَابُ عَلَيْكَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْكَ ، وَأَسْعَى أَنَا فَأَكُونُ قَرِيبًا  
مِنَ الْقَانِصِ ، مُرَاقِبًا لَهُ ، فَعَلَّهُ أَنْ يَرِي مَا مَعَهُ مِنَ الْآلَةِ ،

(١) جمع كلم وهو الجرح .

وَيَضَعُ السَّاحِفَةَ ، وَيَقْصِدُكَ طَامِعًا فِيكَ ، رَاجِيًا تَحْصِيلَكَ .  
فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَفَرَّ عَنْهُ رُويِدًا : بِحَيْثُ لَا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُ مِنْكَ ،  
وَمَكَانَهُ مِنْ أَخْذِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، حَتَّى يَبْعُدَ عَنَّا ، وَأَنْحُ مِنْهُ  
هَذَا النَّحْوَ مَا اسْتَطَعْتَ : فَإِنِّي أَرْجُو إِلَّا يَنْصَرِفَ إِلَّا وَقَدْ  
قَطَعْتُ الحَبَائِلَ عَنِ السَّلْحَفَةِ ، وَأَنْجُو بِهَا . فَفَعَلَ الغُرَابُ  
وَالظَّبْيُ مَا أَمَرَهُمَا بِهِ الجُرْدُ ، وَتَبِعَهُمَا القَانِصُ ، فَاسْتَجَرَهُ الظَّبْيُ ،  
حَتَّى أَبْعَدَهُ عَنِ الجُرْدِ وَالسَّلْحَفَةِ ، وَالجُرْدُ مُقْبِلٌ عَلَى قَطْعِ  
الحَبَائِلِ ، حَتَّى قَطَعَهَا ، وَنَجَا بِالسَّلْحَفَةِ ، وَعَادَ القَانِصُ  
مَجْهُودًا لِأَغْبٍ<sup>(١)</sup> فَوَجَدَ حِبَالَتَهُ مُقَطَّعَةً . فَفَكَّرَ فِي أَمْرِهِ مَعَ الظَّبْيِ  
الْمُتَظَالِعِ ، فَظَنَّ أَنَّهُ خُولِطٌ فِي عَقْلِهِ ، وَفَكَّرَ فِي أَمْرِ الظَّبْيِ<sup>(٢)</sup>  
وَالغُرَابِ الَّذِي كَانَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَقَرِضَ حِبَالَتِهِ ، فَاسْتَوْحَشَ  
مِنَ الأَرْضِ وَقَالَ : هَذِهِ أَرْضُ جِنِّ أَوْ سَحْرَةٍ . فَرَجَعَ مُوَلِيًا  
لَا يَلْتَمِسُ شَيْئًا ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ . وَاجْتَمَعَ الغُرَابُ وَالظَّبْيُ  
وَالجُرْدُ وَالسَّلْحَفَةُ إِلَى عَرِيشِهِمْ سَائِلِينَ آمِنِينَ كَأَحْسَنِ  
مَا كَانُوا عَلَيْهِ .

(٢) المتظاهر بالظلم وهو مشى شديه بالمرج .

(١) تعباً .

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْخَلْقُ مَعَ صِغَرِهِ وَضَعْفِهِ قَدْ قَدَرَ عَلَى التَّخْلِصِ  
 مِنْ مَرَابِطِ الْهَلَكَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِمَوَدَّتِهِ وَخُلُوصِهَا ، وَثَبَاتِ  
 قَلْبِهِ عَلَيْهَا ، وَاسْتِمْتَاعِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ؛ قَالَ لِإِنْسَانٍ  
 الَّذِي قَدْ أُعْطِيَ الْعَقْلَ وَالْفَهْمَ . وَأَلْهِمَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، وَمُنِحَ  
 التَّمْيِيزَ وَالْمَعْرِفَةَ ، أَوْلَى وَأُخْرَى بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّعَاوُدِ . فَهَذَا مِثْلُ  
 إِخْوَانِ الصَّفَاءِ وَأَتِلَافِهِمْ فِي الصَّحْبَةِ .

( اقصى باب الحامة المطوقة )

### بَابُ الْبُومِ وَالْغُرَبَانِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مِثْلَ إِخْوَانِ  
 الصَّفَاءِ وَتَعَاوُنِهِمْ ، فَاضْرِبْ لِي مِثْلَ الْعَدُوِّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ  
 يُغْتَرَّ بِهِ ، وَإِنْ أَظْهَرَ تَضَرُّعًا وَمَلَقًا . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : مَنْ آغْتَرَّ  
 بِالْعَدُوِّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ عَدُوًّا ، أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْبُومَ مِنَ الْغُرَبَانِ .  
 قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ  
 الدُّوْحِ <sup>(١)</sup> ، فِيهَا وَكْرُ الْفِ غُرَابٍ ، وَعَلَيْهِنَّ وَالٍ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ ؛

(١) جمع دوحه وهي الشجرة العظيمة .



وَكَانَ عِنْدَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَهْفٌ فِيهِ أَلْفُ بَوْمَةٍ ، وَعَلَيْهِنَّ وَالٍ مِنْهُنَّ . فَخَرَجَ مَلِكُ الْبُومِ لِبَعْضِ غُدُوَاتِهِ وَرَوْحَاتِهِ ؛ وَفِي نَفْسِهِ الْعَدَاوَةَ لِمَلِكِ الْغُرَبَانَ ؛ وَفِي نَفْسِ الْغُرَبَانَ وَمَلِكِهَا مِثْلُ ذَلِكَ لِلْبُومِ ؛ فَأَغَارَ مَلِكُ الْبُومِ فِي أَصْحَابِهِ عَلَى الْغُرَبَانَ فِي أَوْكَارِهَا ، فَقَتَلَ وَسَبَى مِنْهَا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَكَانَتْ الْغَارَةُ لَيْلًا ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَتِ الْغُرَبَانَ اجْتَمَعَتْ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا لَقِينَا اللَّيْلَةَ مِنْ مَلِكِ الْبُومِ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا مَنْ أَصْبَحَ قَتِيلًا أَوْ جَرِيحًا أَوْ مَكْسُورَ الْجَنَاحِ أَوْ مَشْتُوفَ الرَّيشِ أَوْ مَقْطُوفَ الذَّنْبِ ، وَأَشَدَّ مِمَّا أَصَابَنَا ضَرًّا عَلَيْنَا جَرَاءَتُهُنَّ عَلَيْنَا ، وَعَلَيْهِنَّ بِمَكَانِنَا ، وَهُنَّ عَائِدَاتٌ إِلَيْنَا غَيْرُ مُنْقَطِعَاتٍ عَنَّا : لِعَلَّيْهِنَّ بِمَكَانِنَا : فَلِئِمَّا نَحْنُ لَكَ ، وَلَكَ الرَّأْيُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَانظُرْ لَنَا وَلِنَفْسِكَ . وَكَانَ فِي الْغُرَبَانَ خَمْسَةٌ مُعْتَرِفٌ لِهُنَّ بِحُسْنِ الرَّأْيِ ، يُسْنَدُ إِلَيْهِنَّ فِي الْأُمُورِ ، وَيُلْقَى عَلَيْهِنَّ أِزْمَةُ الْأَحْوَالِ . وَكَانَ الْمَلِكُ كَثِيرًا مَا يُشَاوِرُهُنَّ فِي الْأُمُورِ ، وَيَأْخُذُ آرَاءَهُنَّ فِي الْحَوَادِثِ وَالنَّوَازِلِ .

(١) جمع غُدوة وهي الذهاب في البكرة .

فَقَالَ الْمَلِكُ لِلأَوَّلِ مِنَ الْخَمْسَةِ : مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا الأَمْرِ ؟  
 قَالَ : رَأَيْي قَدْ سَبَقْتَنَا إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ  
 لِلْعَدُوِّ الْحَقِيقِ <sup>(١)</sup> إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ . قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّانِي : مَا رَأَيْكَ  
 أَنْتَ فِي هَذَا الأَمْرِ ؟ قَالَ : رَأَيْي مَا رَأَى هَذَا مِنَ الْهَرَبِ .  
 قَالَ الْمَلِكُ : لَا أَرَى لَكُمَا ذَلِكَ رَأْيًا ، أَنْ نَرْحَلَ عَنْ أَوْطَانِنَا  
 وَنُخْلِهَا لِعَدُونِنَا مِنْ أَوَّلِ نَكْبَةٍ أَصَابْتَنَا مِنْهُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَنَا ذَلِكَ ،  
 وَلَكِنْ نُجْمِعُ أَمْرِنَا ، وَنَسْتَعِدُّ لِعَدُونِنَا ، وَنُذَكِّي نَارَ الْحَرْبِ فِيمَا  
 بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُونِنَا ، وَنُخْتَرِسُ مِنَ الْغِرَّةِ إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْنَا ، فَنَلْقَاهُ  
 مُسْتَعِدِّينَ ، وَنُقَاتِلُهُ قِتَالًا غَيْرَ مُرَاجِعِينَ فِيهِ ، وَلَا مُقْصِرِينَ  
 عَنْهُ ، وَتَلْقَى أَطْرَافُنَا أَطْرَافَ الْعَدُوِّ ، وَنُحَرِّزُ بِحُصُونِنَا ، وَنُدَافِعُ  
 عَدُونَنَا : بِالْأَنَاءِ مَرَّةً ، وَبِالْجَلَادِ <sup>(٢)</sup> أُخْرَى ، حَيْثُ نَصِيبُ فُرْصَتِنَا  
 وَبُغْيَتِنَا ، وَقَدْ ثَنِينَا عَدُونَنَا عَنَّا .

ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّلَاثِ : مَا رَأَيْكَ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَرَى مَا قَالَا  
 رَأْيًا . وَلَكِنْ نَبُثُ الْعُيُونَ ، وَنَبْعَثُ الْجَوَاسِيسَ ، وَنُرْسِلُ

(١) الغناظ . (٢) نوقة . (٣) الغفلة . (٤) المضاربة بالسيوف .

الطَّلَائِعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُونَا ؛ فَتَعْلَمُ أَيُّرِيدُ صَلَاحَنَا أَمْ يُرِيدُ حَرْبَنَا  
 أَمْ يُرِيدُ الْفِدْيَةَ ؟ فَإِنْ رَأَيْنَا أَمْرَهُ أَمْرَ طَامِعٍ فِي مَالٍ ، لَمْ نَكْرَهُ  
 الصُّلْحَ عَلَى نَحْرَاجِ نُوْدِيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، نَدْفَعُ بِهِ عَنِ أَنْفُسِنَا .  
 وَنَظْمَيْنُ فِي أَوْطَانِنَا : فَإِنَّ مِنْ آرَاءِ الْمُلُوكِ إِذَا اشْتَدَّتْ شَوْكَةُ  
 عَدُوِّهِمْ ، نَخَافُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِلَادِهِمْ ، أَنْ يَجْعَلُوا الْأَمْوَالَ  
 جُنَّةَ الْبِلَادِ وَالْمَلِكِ وَالرَّعِيَّةِ . قَالَ الْمَلِكُ لِلرَّابِعِ : فَمَا رَأَيْكَ  
 فِي هَذَا الصُّلْحِ ؟ قَالَ لَا أَرَاهُ رَأْيًا ؛ بَلْ أَنْ نَفَارِقَ أَوْطَانَنَا  
 وَنَضْبِرَ عَلَى الْغُرْبَةِ وَشِدَّةِ الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نَضِيعَ أَحْسَابَنَا  
 وَنَخْضَعَ لِلْعَدُوِّ الَّذِي نَحْنُ أَشْرَفُ مِنْهُ ؛ مَعَ أَنَّ الْيَوْمَ لَوْ عَرَضْنَا  
 ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَمَا رَضِينَ مِنَّا إِلَّا بِالشُّطْطِ<sup>(١)</sup> . وَيُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ :  
 قَارِبَ عَدُوِّكَ بَعْضَ الْمُقَارَبَةِ : لِيَتَنَاَلَ حَاجَتَكَ . وَلَا تُقَارِبُهُ  
 كُلَّ الْمُقَارَبَةِ : فَيَجْتَرِيَّ عَلَيْكَ ، وَيُضْعِفُ جُنْدَكَ ، وَتَدَلَّ  
 نَفْسُكَ . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الْخَشْبَةِ الْمَنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ : إِذَا

أَمَلْتَهَا قَلِيلًا زَادَ ظِلُّهَا ، وَإِذَا جَاوَزْتَ بِهَا الْحَدَّ فِي إِمَالَتِهَا نَقَصَ  
الظُّلُّ . وَلَيْسَ عَدُونًا رَاضِيًا مِنَّا بِالذُّونِ فِي الْمُقَارَبَةِ . فَالرَّأْيُ  
لَنَا وَلَكَ الْمُحَارَبَةُ .

قَالَ الْمَلِكُ لِلخَامِسِ : مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا تَرَى : الْقِتَالَ  
أَمْ الصُّلْحَ أَمْ الْجَلَاءَ عَنِ الْوَطَنِ ؟ قَالَ : أَمَّا الْقِتَالُ فَلَا سَبِيلَ  
لِلْمَرْءِ إِلَى قِتَالِ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ ، وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ  
نَفْسَهُ وَعَدُوَّهُ ، وَقَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ ، حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى  
حَتْفِهَا ، مَعَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَسْتَصْغِرُ عَدُوًّا : فَإِنَّ مَنْ اسْتَصْغَرَ  
عَدُوَّهُ اغْتَرَبَ بِهِ ، وَمَنْ اغْتَرَبَ بِعَدُوِّهِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ . وَأَنَا لِلْيَوْمِ شَدِيدُ  
الْهَيْبَةِ ، وَإِنْ أَضْرَبَنَ عَنِ قِتَالِنَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَهَابُهَا قَبْلَ ذَلِكَ ،  
فَإِنَّ الْحَازِمَ لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنْ كَانَ بَعِيدًا  
لَمْ يَأْمَنَ سَطْوَتَهُ ، وَإِنْ كَانَ مُكْتَبًا لَمْ يَأْمَنَ وَثْبَتَهُ ، وَإِنْ كَانَ وَحِيدًا  
لَمْ يَأْمَنَ مَكْرَهُ . وَأَحْزَمُ الْأَقْوَامِ وَأَكْبَسُهُمْ مَنْ كَرِهَ الْقِتَالَ لِأَجْلِ  
النَّفَقَةِ فِيهِ : فَإِنَّ مَا دُونَ الْقِتَالِ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْقَوْلِ

وَالْعَمَلِ ، وَالْقِتَالُ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَنْفُسِ وَالْأَبْدَانِ . فَلَا  
يَكُونَنَّ الْقِتَالُ لِلْبُومِ مِنْ رَأْيِكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ  
مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَّرَ بِنَفْسِهِ <sup>(١)</sup> . فَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحَصَّنًا  
لِلْأَسْرَارِ ، مُتَخَيِّرًا لِلْوَزَرَاءِ ، مَهِيَّبًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، بَعِيدًا مِنْ  
أَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِ ، كَانَ خَلِيفًا إِلَّا يُسَلَّبَ صَحِيحَ مَا أُوتِيَ مِنَ  
الْخَيْرِ . وَأَنْتَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كَذَلِكَ . وَقَدْ اسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرِ  
جَوَابِكَ مِنِّي عَنْهُ ، فِي بَعْضِهِ عِلَانِيَةً ، وَفِي بَعْضِهِ سِرًّا  
وَلِلْأَسْرَارِ مَنَازِلُ : مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّهْطُ <sup>(٢)</sup> ، وَمِنْهَا مَا يُسْتَعَانُ  
فِيهِ بِالْقَوْمِ ، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّجُلَانِ . وَلَسْتُ أَرَى لِهَذَا  
السُّرْعَى قَدْرَ مَنْزِلَتِهِ أَنْ يُشَارَكَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعُ آذَانٍ وَلِسَانَانِ .  
فَنَهَضَ الْمَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَخَلَا بِهِ ، فَاسْتَشَارَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ  
مَا سَأَلَهُ عَنْهُ الْمَلِكُ أَنَّهُ قَالَ : هَلْ تَعْلَمُ ابْتِدَاءَ عَدَاوَةِ مَا بَيْنَنَا  
وَبَيْنَ الْبُومِ ؟ قَالَ : نَعَمْ : كَلِمَةٌ تَكَلَّمَ بِهَا غُرَابٌ . قَالَ  
الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

(١) عرضها للهلكة . (٢) قوم الرجل وفيلته .

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْكِرَاكِيِّ لَمْ يَكُنْ لَهَا  
 مَلِكٌ ، فَاجْتَمَعَتْ أَمْرَهَا عَلَى أَنْ يَمْلِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مَلِكُ الْبُومِ ،  
 فَبَيْنَمَا هِيَ فِي جَمْعِهَا إِذْ وَقَعَ لَهَا غُرَابٌ ، فَقَالَتْ : لَوْ جَاءَنَا  
 هَذَا الْغُرَابُ لَأَسْتَشِرَّنَاهُ فِي أَمْرِنَا ، فَلَمْ يَلْبَثَنَّ دُونَ أَنْ جَاءَهُنَّ  
 الْغُرَابُ . فَاسْتَشَرَّنَهُ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ بَادَتْ مِنَ الْأَقَالِيمِ ،  
 وَفَقِدَ الطَّاوُسُ وَالْبَطُّ وَالنَّعَامُ وَالْحَمَامُ مِنَ الْعَالَمِ لَمَا اضْطُرَّتُنَّ  
 إِلَى أَنْ تَمْلِكُنَّ عَلَيْكِنَّ الْبُومَ الَّتِي هِيَ أَقْبَحُ الطَّيْرِ مَنظَرًا ،  
 وَأَسْوَأُهَا خُلُقًا ، وَأَقْلَبُهَا عَقْلًا ، وَأَشَدُّهَا غَضَبًا ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ  
 كُلِّ رَحْمَةٍ ، مَعَ عَمَاهَا وَمَا بِيهَا مِنَ الْعِشَاءِ بِالنَّهَارِ ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ  
 وَأَقْبَحُ أُمُورِهَا سَفَهُهَا وَسُوءُ أَخْلَاقِهَا ، إِلَّا أَنْ تَرَيْنَ أَنْ تَمْلِكَنَّهَا  
 وَتَكُنَّ أَنْتِ تَدِيرِينَ الْأُمُورَ دُونَهَا بِرَأْيِكِنَّ وَعُقُولِكِنَّ ، كَمَا فَعَلْتِ  
 الْأَرْزَبُ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّ الْقَمَرَ مَلِكُهَا ، ثُمَّ عَمِلْتَ بِرَأْيِهَا . قَالَ  
 الطَّيْرُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الْفَيْلَةِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا  
 السُّنُونُ ، وَأَجْدَبَتْ ، وَقَلَّ مَآوُهَا ، وَغَارَتْ عَيْنُهَا ، وَذَوَى  
 نَبْتُهَا ، وَيَبَسَ شَجَرُهَا ، فَأَصَابَ الْفَيْلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ : فَشَكَّوْنَ  
 ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهِنَّ ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ رُسُلَهُ وَرُوَادَهُ فِي طَلَبِ  
 الْمَاءِ ، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ ، فَأَخْبَرَهُ  
 إِلَى قَدِّ وَجَدْتُ بِمَكَانٍ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْقَمَرِ ، كَثِيرَةٌ  
 الْمَاءِ . فَتَوَجَّهَ مَلِكُ الْفَيْلَةِ بِأَصْحَابِهِ إِلَى تِلْكَ الْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْهَا  
 هُوَ وَفَيْلَتُهُ . وَكَانَتِ الْعَيْنُ فِي أَرْضِ الْأَرَانِبِ ، فَوَطِئْنَ  
 الْأَرَانِبَ فِي أَجْحَارِهِنَّ ، فَأَهْلَكْنَ مِنْهُنَّ كَثِيرًا . فَاجْتَمَعَتْ  
 الْأَرَانِبُ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْفَيْلَةِ  
 فَقَالَ : لِيُخْضِرْ مِنْكُمْ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَتَقَدَّمَتْ أَرْنَبٌ  
 مِنَ الْأَرَانِبِ يُقَالُ لَهَا فَيْرُوزُ . وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحُسْنِ  
 الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ ، فَقَالَتْ : إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَبْعَثَنِي إِلَى الْفَيْلَةِ  
 وَيُرْسِلَ مَعِيَ أَمِينًا ، لِيَرَى وَيَسْمَعَ مَا أَقُولُ ، وَيَرْفَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ .  
 فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ : أَنْتِ أَمِينَةٌ ، وَنَرَضَى بِقَوْلِكَ ، فَاَنْطَلِقِي إِلَى

الْفَيْلَةَ ، وَبَلَغَنِي عَنِّي مَا تُرِيدِينَ . وَأَعْلَمِي أَنَّ الرَّسُولَ بِرَأْيِهِ  
وَعَقْلِهِ ، وَلَيْنِهِ وَفَضْلِهِ ، يُخْبِرُ عَن عَقْلِ الْمُرْسَلِ . فَعَلَيْكَ بِاللَّيْنِ  
وَالرَّفِيقِ ، وَالْحِلْمِ وَالتَّائِي : فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُلِينُ الصُّدُورَ  
إِذَا رَفِقَ ، وَيُخَشِّنُ الصُّدُورَ إِذَا نَحِرُقَ <sup>(١)</sup> . ثُمَّ إِنَّ الْأَرْنَبَ  
انْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ ، حَتَّى اتَّهَتْ إِلَى الْفَيْلَةِ ، وَكَرِهَتْ أَنْ  
تَدْنُو مِنْهُنَّ : مَخَافَةَ أَنْ يَطَّانَهَا بِأَرْجُلِهِنَّ ، فَيَقْتُلْنَهَا ، وَإِنْ كُنَّ  
غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ . ثُمَّ أَشْرَفَتْ عَلَى الْجَبَلِ ، وَنَادَتْ مَلِكَ الْفَيْلَةِ ،  
وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ ، وَالرَّسُولُ غَيْرُ مَلُومٍ فِيمَا  
يُبَلِّغُ ، وَإِنْ أَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْفَيْلَةِ : فَمَا الرِّسَالَةُ ؟  
قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ : إِنَّ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ قُوَّتِهِ عَلَى الضُّعْفَاءِ ،  
فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ فِي شَأْنِ الْأَقْوِيَاءِ ، قِيَاسًا لَهُمْ عَلَى الضُّعْفَاءِ ، كَانَتْ  
قُوَّتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى الدَّوَابِّ ،  
فَغَرَّكَ ذَلِكَ ، فَعَمَدْتَ إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى بِاسْمِي ، فَشَرِبْتَ  
مِنْهَا ، وَكَدَّرْتَهَا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ : فَأَنْذِرُكَ إِلَّا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ



ذَلِكَ . وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَغْشَى بَصْرَكَ ، وَأَتْلَفَ نَفْسَكَ .  
وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي ، فَهَلِّمْ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ :  
فَإِنِّي مُوَافِيكَ بِهَا . فَعَجِبَ مَلِكُ الْفَيْلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْنَبِ ،  
فَانْطَلَقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزِ الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا ، رَأَى  
ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا . فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ الرَّسُولِ : خُذْ بِحُرْطُومِكَ  
مِنَ الْمَاءِ فَاغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ ، وَاسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَلَ الْفَيْلُ  
حُرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ ، فَتَحَرَّكَ نَفِيلٌ لِلْفَيْلِ أَنَّ الْقَمَرَ آرْتَعَدَ .  
فَقَالَ : مَا شَأْنُ الْقَمَرِ آرْتَعَدَ ؟ أَرَأَاهُ غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِ  
الْحُرْطُومِ فِي الْمَاءِ ؟ قَالَتْ فَيْرُوزُ الْأَرْنَبِ : نَعَمْ . فَسَجَدَ الْفَيْلُ  
لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ ، وَشَرَطَ لِأَلَّا يَعُودَ  
إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ فَيْلَتِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : وَمَعَ  
مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَمْرِ الْبُومِ إِنَّ فِيهَا الْخُبَّ وَالْمَكْرَ وَالْحَدِيدَةَ ، وَشَرُّ  
الْمُلُوكِ الْخَادِعُ ، وَمَنْ ابْتُلِيَ بِسُلْطَانِ خَادِعٍ ، وَخَدَمَهُ ، أَصَابَهُ  
مَا أَصَابَ الْأَرْنَبَ وَالصِّفْرِدَ حِينَ اخْتَكَمَا إِلَى السُّنُورِ . قَالَتْ  
الْكِرَاكِيُّ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْغُرَابُ : كَانَ لِي جَارٌ مِنَ الصَّفَارِدَةِ ، فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ  
 قَرِيبَةٍ مِنْ وَكْرِي ، وَكَانَ يُكْثِرُ مُوَاصَلَتِي ؛ ثُمَّ فَقَدْتُهُ ، فَلَمْ أَعْلَمْ  
 أَيْنَ غَابَ ؛ وَطَأَّتْ غَيْبَتَهُ عَنِّي . فَجَاءَتْ أَرْبُ إِلَى مَكَانِ  
 الصِّفْرِدِ . فَسَكَّنَتْهُ ، فَكْرِهْتُ أَنْ أَخَاصِمَ الْأَرْبَ ، فَلَبِثْتُ  
 فِيهِ زَمَانًا . ثُمَّ إِنَّ الصِّفْرِدَ عَادَ بَعْدَ زَمَانٍ ، فَأَتَى مَنْزِلَهُ ، فَوَجَدَ  
 فِيهِ الْأَرْبَ . فَقَالَ لَهَا : هَذَا الْمَكَانُ لِي ، فَانْتَقِلِي عَنْهُ .  
 قَالَتِ الْأَرْبُ : الْمَسْكَنُ لِي ، وَتَحْتَ يَدِي ؛ وَأَنْتَ مُدَّعٍ لَهُ .  
 فَإِنْ كَانَ لَكَ حَقٌّ فَاسْتَعِدِّي بِإثْبَاتِهِ عَلَيَّ . قَالَ الصِّفْرِدُ : الْقَاضِي  
 مِنَّا قَرِيبٌ ؛ فَهَلِّئِي بِنَا إِلَيْهِ . قَالَتِ الْأَرْبُ : وَمَنِ الْقَاضِي ؟  
 قَالَ الصِّفْرِدُ : إِنَّ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ سَنُورًا مُتَعَبِدًا ، يَصُومُ النَّهَارَ ،  
 وَيَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ؛ وَلَا يُؤْذِي دَابَّةً ، وَلَا يُهْرِيقُ دَمًا ؛ عَيْشُهُ  
 مِنَ الْحَشِيشِ وَمِمَّا يَقْدِفُهُ إِلَيْهِ الْبَحْرُ . فَإِنْ أَحْبَبْتَ تَحَاكُمَنَا  
 إِلَيْهِ ، وَرَضِينَا بِهِ . قَالَتِ الْأَرْبُ : مَا أَرْضَانِي بِهِ إِذَا كَانَ كَمَا  
 وَصَفْتَ ! فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ ، فَتَبِعْتُهُمَا لِأَنْظُرَ إِلَى حُكُومَةِ الصَّوَامِ  
 الْقَوَامِ . ثُمَّ إِنَّهُمَا ذَهَبَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا بَصُرَ السُّنُورَ بِالْأَرْبِ وَالصِّفْرِدِ

مُقْبِلِينَ نَحْوَهُ ، انْتَصَبَ قَائِمًا يُصَلِّي ، وَأَظْهَرَ الْخُشُوعَ  
وَالْتَنَسُّكَ . فَعَجِبَا لِمَا رَأَيَا مِنْ حَالِهِ ، وَدَنُوا مِنْهُ هَائِبِينَ لَهُ ،  
وَسَلَّمَا عَلَيْهِ ، وَسَأَلَاهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمَا . فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقْضَا  
عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَفَعَلَا . فَقَالَ لَهُمَا : قَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ ، وَثَقُلْتُ  
أُذُنَايَ : فَادْنُوا مِنِّي ، فَأَسْمِعَانِي مَا تَقُولَانِ . فَدَنُوا مِنْهُ ، وَأَعَادَا  
عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، وَسَأَلَاهُ الْحُكْمَ . فَقَالَ قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتُمَا ، وَأَنَا  
مُبْتَدِئُكُمْ بِالنَّصِيحَةِ قَبْلَ الْحُكُومَةِ بَيْنَكُمَا : فَأَنَا أَمْرُكُمْ بِتَقْوَى  
اللَّهِ وَأَلَّا تَطْلُبَا إِلَّا الْحَقَّ : فَإِنَّ طَالِبَ الْحَقِّ هُوَ الَّذِي يُفْلِحُ ،  
وَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ ، وَطَالِبَ الْبَاطِلِ مَحْضُومٌ ، وَإِنْ قُضِيَ لَهُ .  
وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُ شَيْءٌ ، لَا مَالٌ وَلَا صَدِيقٌ  
سِوَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يُقَدِّمُهُ ، فَذُو الْعَقْلِ حَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ  
سَعِيٌّ فِي طَلَبِ مَا يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ غَدًا ، وَأَنْ يَمْتَقَتَ  
بِسَعْيِهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا : فَإِنَّ مَنَزِلَةَ الْمَالِ عِنْدَ  
الْعَاقِلِ بِمَنَزِلَةِ الْمَدْرِ ، وَمَنَزِلَةَ النَّاسِ عِنْدَهُ فِيمَا يُحِبُّ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ  
وَيَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ بِمَنَزِلَةِ نَفْسِهِ . ثُمَّ إِنَّ السُّنُورَ لَمْ يَزَلْ يَقْضُ

(١) واحده مدرة وهو قطع الطين اليابس والحجارة .

عَلَيْهِمَا مِنْ جِنْسٍ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ ، حَتَّى أَنْسَا إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ ،  
وَدَنُوا مِنْهُ ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا .

قَالَ الْغُرَابُ : ثُمَّ إِنَّ الْبُومَ تَجَمَّعَ — مَعَ مَا وَصَفْتُ لَكُنَّ  
مِنَ الشُّومِ — سَائِرَ الْعُيُوبِ : فَلَا يَكُونَنَّ تَمْلِيكَ الْبُومِ مِنْ  
رَأْيِكُنَّ . فَلَمَّا سَمِعَ الْكَرَّاءِيُّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْغُرَابِ أَضْرَبَنَّ  
عَنْ تَمْلِيكَ الْبُومِ . وَكَانَ هُنَاكَ بَوْمٌ حَاضِرٌ قَدْ سَمِعَ مَا قَالُوا ،  
فَقَالَ لِلْغُرَابِ : لَقَدْ وَتَرْتَنِي أَعْظَمَ التَّرَةِ ، وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَلَفَ مِنِّي  
إِلَيْكَ سُوءٌ أَوْجَبَ هَذَا . وَبَعْدُ فَاغْلَمْ أَنَّ الْفَأْسَ يُقَطِّعُ بِهِ الشَّجَرُ ،  
فَيَعُودُ يَنْبِتُ ، وَالسَّيْفُ يَقَطِّعُ اللَّحْمَ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَنْدَمِلُ ، وَاللِّسَانَ  
لَا يَنْدَمِلُ بَجُرْحِهِ وَلَا تُوسِنِي مَقَاطِعُهُ <sup>(٢)</sup> . وَالنَّضْلَ مِنَ السَّهْمِ  
يَغِيبُ فِي اللَّحْمِ ، ثُمَّ يُنْزَعُ فَيُخْرِجُ ، وَأَشْبَاهَ النَّضْلِ مِنَ الْكَلَامِ  
إِذَا وَصَلْتَ إِلَى الْقَلْبِ لَمْ تُنْزَعْ وَلَمْ تُسْتَخْرِجْ . وَلِكُلِّ حَرِيقٍ  
مُطْفِئٌ : فَلِلنَّارِ الْمَاءُ ، وَلِلسَّمِّ الدَّوَاءُ ، وَلِلْحَزَنِ الصَّبْرُ ، وَنَارُ  
الْحَقْدِ لَا تَحْبُو أَبَدًا . وَقَدْ غَرَسْتُمْ ، مَعَاشِرَ الْغُرَبَانِ ، بَيْنَنَا  
وَبَيْنَكُمْ شَجَرَ الْحَقْدِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ .

(١) أصبني بأذى عظيم : جعل لك في قلبي عداوة لا تمحي وحقدا لا يزول . (٢) تداوى .

فَلَمَّا قَضَى الْبُومُ مَقَالَتَهُ ، وَلى مُغْضَبًا ، فَأَخْبَرَ مَلِكَ الْبُومِ  
بِمَا جَرَى وَبِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ الْغُرَابِ ، ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ نَدِمَ  
عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَحَرْتُ فِي قَوْلِي الَّذِي  
جَلَبْتُ بِهِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ عَلَى نَفْسِي وَقَوْمِي ! وَلَيْتَنِي لَمْ أَخْبِرِ  
الْكِرَاكِي بِهَذِهِ الْحَالِ ! وَلَا أَعْلَمْتُهَا بِهَذَا الْأَمْرِ ! وَلَعَلَّ أَكْثَرَ الطَّيْرِ  
قَدْ رَأَى أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُ ، وَعَلِمَ أَضْعَافَ مَا عَلِمْتُ ، فَمَنْعَهَا  
مِنَ الْكَلَامِ بِمِثْلِ مَا تَكَلَّمْتُ اتِّقَاءً مَا لَمْ أَتَّقِ ، وَالنَّظْرُ فِيمَا  
لَمْ أَنْظُرْ فِيهِ مِنْ حِدَارِ الْعَوَاقِبِ ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ أَفْطَحَ  
كَلَامَ ، يَلْتَقِي مِنْهُ سَامِعُهُ وَقَائِلُهُ الْمَكْرُوهَ مِمَّا يُورِثُ الْحِقْدَ  
وَالضَّغِينَةَ ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَشْبَاهِ هَذَا الْكَلَامِ أَنْ تُسَمَّى كَلَامًا ،  
وَلَكِنْ سِهَامًا . وَالْعَاقِلُ ، وَإِنْ كَانَ وَائِقًا بِقُوَّتِهِ وَفَضْلِهِ ،  
لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَجْلِبَ الْعَدَاوَةَ عَلَى نَفْسِهِ اتِّكَالًا  
عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ وَالْقُوَّةِ ، كَمَا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ التَّرْيَاقُ<sup>(١)</sup>  
لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْرَبَ السَّمَّ اتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَهُ . وَصَاحِبُ

حُسْنِ الْعَمَلِ ، وَإِنْ قَصَرَ بِهِ الْقَوْلُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ ، كَانَ فَضْلُهُ  
بَيْنًا وَاضِحًا فِي الْعَاقِبَةِ وَالِإِخْتِبَارِ ؛ وَصَاحِبُ حُسْنِ الْقَوْلِ ،  
وَإِنْ أَعْجَبَ النَّاسَ مِنْهُ حُسْنُ صِفَتِهِ لِلْأُمُورِ ، لَمْ تُحْمَدِ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ .  
وَأَنَا صَاحِبُ الْقَوْلِ الَّذِي لَا عَاقِبَةَ لَهُ تَحْمُودَةً . أَلَيْسَ مِنْ  
سَفَهِي اجْتِرَائِي عَلَى التَّكَلُّمِ فِي الْأَمْرِ الْجَسِيمِ لَا اسْتِشِيرُ فِيهِ  
أَحَدًا ، وَلَمْ أَعْمَلْ فِيهِ رَأْيًا ؟ وَمَنْ لَمْ يَسْتَشِرِ النَّصَحَاءَ الْأَوْلِيَاءَ ،  
وَعَمِلَ بِرَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ تَكَرُّرِ النَّظَرِ وَالرَّوْيَةِ ، لَمْ يَغْتَبِطْ بِمَوَاقِعِ رَأْيِهِ .  
فَمَا كَانَ أَغْنَانِي عَمَّا كَسَبْتُ يَوْمِي هَذَا ، وَمَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الْهَمِّ !  
وَعَاتَبَ الْغُرَابُ نَفْسَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ وَذَهَبَ . فَهَذَا  
مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْ ابْتِدَاءِ الْعِدَاوَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبُومِ .

وَأَمَّا الْقِتَالُ فَقَدْ عَلِمْتُ رَأْيِي فِيهِ ، وَكَرَاهَتِي لَهُ ؛ وَلَكِنْ عِنْدِي  
مِنَ الرَّأْيِ وَالْحِيلَةِ غَيْرَ الْقِتَالِ مَا يَكُونُ فِيهِ الْفَرْجُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ  
تَعَالَى : فَإِنَّهُ رَبُّ قَوْمٍ قَدْ أَحْتَالُوا بِأَرَائِهِمْ حَتَّى ظَفَرُوا بِمَا  
أَرَادُوا . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ ظَفَرُوا بِالنَّاسِكِ ،  
وَأَخَذُوا عَرِيضَهُ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا اشْتَرَى عَرِيضًا ضَخْمًا لِيَجْعَلَهُ  
 قُرْبَانًا ، فَأَنْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ . فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ الْمَكْرَةِ ، فَأَتَمَرُوا  
 بَيْنَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنَ النَّاسِكِ . فَعَرَّضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقَالَ لَهُ :  
 أَيُّهَا النَّاسِكُ ، مَا هَذَا الْكَلْبُ الَّذِي مَعَكَ ؟ ثُمَّ عَرَّضَ لَهُ الْآخَرُ  
 فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا هَذَا نَاسِكٌ ، لِأَنَّ النَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْبًا .  
 فَلَمْ يَزَالُوا مَعَ النَّاسِكِ عَلَى هَذَا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشْكُ أَنْ الَّذِي  
 يَقُودُهُ كَلْبٌ ، وَأَنَّ الَّذِي بَاعَهُ إِيَّاهُ سَحَرَ عَيْنَهُ ، فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ ،  
 فَأَخَذَهُ الْجَمَاعَةُ الْمُحْتَالُونَ وَمَضُوا بِهِ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا  
 الْمَثَلَ لِمَا أَرْجُو أَنْ نُصِيبَ مِنْ حَاجَتِنَا بِالرَّفِيقِ وَالْحِيلَةِ . وَإِذَا  
 أُرِيدُ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يَنْقُرَنِي عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَيَنْتِفِ رِيشِي  
 وَذَنَبِي ، ثُمَّ يَطْرَحَنِي فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَيَرْتَحِلَ الْمَلِكُ هُوَ  
 وَجُنُودُهُ إِلَى مَكَانٍ كَذَا . فَأَرْجُو أَنِّي أَصْبِرُ وَأَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِمْ  
 وَمَوَاضِعِ تَحْصِينِهِمْ وَأَبْوَابِهِمْ ، فَأُخَادِعُهُمْ وَأَتِي إِلَيْكُمْ لِنَهْجِ  
 عَلَيْهِمْ ، وَنَنَالَ مِنْهُمْ غَرَضَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ الْمَلِكُ : أَتَطِيبُ نَفْسَكَ لِذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَكَيْفَ  
 لَا تَطِيبُ نَفْسِي لِذَلِكَ وَفِيهِ أَعْظَمُ الرَّاحَاتِ لِلْمَلِكِ وَجُنُودِهِ ؟  
 فَفَعَلَ الْمَلِكُ بِالْغُرَابِ مَا ذَكَرَ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ . بِجَعَلِ الْغُرَابُ  
 يَبِينُ وَيَهْمِسُ حَتَّى رَأَتْهُ الْبُيُوتُ وَسَمِعَتْهُ يَبِينُ ، فَأَخْبَرَنَ مَلِكَهُنَّ  
 بِذَلِكَ ، فَتَقَصَّدَ نَحْوَهُ لِيَسْأَلَهُ عَنِ الْغُرَبَانِ . فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَمَرَ بَوْمًا  
 أَنْ يَسْأَلَهُ فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَأَيْنَ الْغُرَبَانُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا اسْمِي  
 فَقُلَانٌ ، وَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ فَإِنِّي أَحْسَبُكَ تَرَى أَنَّ حَالِي حَالُ  
 مَنْ لَا يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ . فَتَقِيلَ لِمَلِكِ الْبُيُوتِ : هَذَا وَزِيرُ مَلِكِ الْغُرَبَانِ  
 وَصَاحِبُ رَأْيِهِ ، فَسَأَلَهُ بِأَيِّ ذَنْبٍ صُنِعَ بِهِ مَا صُنِعَ ؟ فَسُئِلَ  
 الْغُرَابُ عَنْ أَمْرِهِ فَقَالَ : إِنَّ مَلِكَنَا اسْتَبْشَرَ جَمَاعَتَنَا فَيَكُنُّ :  
 وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ بِمَحْضَرٍ مِنَ الْأَمْرِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْغُرَبَانُ ، مَا تَرَوْنَ  
 فِي ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِقِتَانِ الْبُيُوتِ : لِأَنَّهِنَّ  
 أَشَدُّ بَطْشًا ، وَأَحَدٌ قَلْبًا مِنَّا . وَلَكِنْ أَرَى أَنَّ نَلْتَمِسَ الصُّلْحَ ،  
 ثُمَّ نَبْدُلَ الْقِدْيَةَ فِي ذَلِكَ ، فَإِنِ قَبِلَتْ الْبُيُوتُ ذَلِكَ مِنَّا ، وَإِلَّا



هَرَبْنَا فِي الْبِلَادِ . وَإِذَا كَانَ الْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَوْمِ كَانَ  
 خَيْرًا لَّهِنَّ وَشَرًّا لَنَا ، فَالْصُّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ الْخُصُومَةِ . وَأَمْرَتُهُنَّ  
 بِالرَّجُوعِ عَنِ الْحَرْبِ ، وَضَرَبْتُ لِهِنَّ الْأَمْثَالَ فِي ذَلِكَ ، وَقُلْتُ  
 لِهِنَّ : إِنَّ الْعَدُوَّ الشَّدِيدَ لَا يَرُدُّ بِأَسُهُ وَغَضَبِهِ مِثْلُ الْخُضُوعِ لَهُ :  
 الْأَتْرَيْنَ إِلَى الْحَشِيشِ كَيْفَ يَسْلَمُ مِنْ عَاصِفِ الرِّيحِ لِلْيَنَةِ وَمِثْلَهُ  
 مَعَهَا حَيْثُ مَالَتْ . فَعَصَيْتَنِي فِي ذَلِكَ ، وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ يَرُدْنَ  
 الْقِتَالَ وَاتَّهَمَنِي فِيمَا قُلْتُ ، وَقُلْنَ : إِنَّكَ قَدْ مَالَتْ الْيَوْمَ  
 عَلَيْنَا ، وَرَدَدْنَ قَوْلِي وَنَصِيحَتِي ، وَعَذَّبَنِي بِهَذَا الْعَذَابِ ، وَتَرَكَنِي  
 الْمَلِكُ وَجُنُودَهُ وَارْتَحَلَ . وَلَا عِلْمَ لِي بَيْنَ بَعْدَ ذَلِكَ :  
 فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ الْيَوْمِ مَقَالَةَ الْغُرَابِ قَالَ لِبَعْضِ وَزَرَانِهِ :  
 مَا تَقُولُ فِي الْغُرَابِ ؟ وَمَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ : مَا أَرَى إِلَّا الْمُعَاجِلَةَ  
 لَهُ بِالْقَتْلِ : فَإِنَّ هَذَا أَفْضَلُ عُدَدِ الْغُرَبَانِ ، وَفِي قَتْلِهِ لَنَا رَاحَةٌ  
 مِنْ مَكْرِهِ ، وَفَقَدُهُ عَلَى الْغُرَبَانِ شَدِيدٌ . وَيُقَالُ : مَنْ ظَفِرَ  
 بِالسَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا يَنْجَحُ الْعَمَلُ ، ثُمَّ لَا يُعَاجِلُهُ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ ،

فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ . وَمَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ الْحَسِيمَ ، فَأَمَكَّنَهُ ذَلِكَ فَأَغْفَلَهُ .  
 فَاتَهُ الْأَمْرُ ؛ وَهُوَ خَلِيقٌ إِلَّا تَعُودَ لَهُ الْفُرْصَةُ ثَانِيَةً . وَمَنْ وَجَدَ  
 عَدُوَّهُ ضَعِيفًا وَلَمْ يُجِزْ قَتْلَهُ ، نَدِمَ إِذَا اسْتَقْوَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ .  
 قَالَ الْمَلِكُ لِرِوَيْزِيرِ آخَرَ : مَا تَرَى أَنْتَ فِي هَذَا الْغُرَابِ ؟ قَالَ :  
 أَرَى إِلَّا تَقْتُلَهُ : فَإِنَّ الْعَدُوَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ أَهْلٌ لِأَنَّ  
 يُسْتَبَقَى وَيُرْحَمُ وَيُصْفَحَ عَنْهُ ، لَا سِيَّامَا الْمُسْتَجِيرُ الْخَائِفُ :  
 فَإِنَّهُ أَهْلٌ لِأَنَّ يَوْمَهُ .

قَالَ مَلِكُ الْيَوْمِ لِرِوَيْزِيرِ آخَرَ مِنْ وَزَرَائِهِ : مَا تَقُولُ فِي الْغُرَابِ ؟  
 قَالَ : أَرَى أَنَّ تَسْتَبْقِيهِ وَتُحْسِنُ إِلَيْهِ : فَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَنْصَحَكَ .  
 وَالْعَاقِلُ يَرَى مُعَادَاةَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بَعْضًا ظَفَرًا حَسَنًا ؛ وَيَرَى  
 اشْتِغَالَ بَعْضِ الْأَعْدَاءِ بِبَعْضِ خَلَاصًا لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ ، وَنَجَاةً  
 كُنْجَاةَ النَّاسِكِ مِنَ اللَّصِّ وَالشَّيْطَانِ حِينَ اخْتَلَفَا عَلَيْهِ .  
 قَالَ الْمَلِكُ لَهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْوَزِيرُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ رَجُلٍ بَقْرَةً حَلُوبًا ،  
 فَانْطَلَقَ بِهَا يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَعَرَّضَ لَهُ لِيَصُّ أَرَادَ سَرِقَتَهَا ،

وَاتَّبَعَهُ شَيْطَانٌ يُرِيدُ اخْتِطَافَهُ . فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلصُّ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا اللُّصُّ ، أُرِيدُ أَنْ أُسْرِقَ هَذِهِ الْبَقْرَةَ مِنَ النَّاسِكِ إِذَا نَامَ . فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الشَّيْطَانُ أُرِيدُ اخْتِطَافَهُ إِذَا نَامَ وَأَذْهَبُ بِهِ . فَأَنْتَهَيَا عَلَى هَذَا إِلَى الْمَنْزِلِ ، فَدَخَلَ النَّاسِكُ مَنْزِلَهُ ، وَدَخَلَ خَلْفَهُ ، وَأَدْخَلَ الْبَقْرَةَ فَرَبَطَهَا فِي زَاوِيَةِ الْمَنْزِلِ ، وَتَعَشَّى وَنَامَ . فَأَقْبَلَ اللُّصُّ وَالشَّيْطَانُ يَأْتَمِرَانِ فِيهِ ، وَاخْتَلَفَا عَلَى مَنْ يَبْدَأُ بِسُغْلِهِ أَوَّلًا ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلصُّ : إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِأَخْذِ الْبَقْرَةِ فَرُبَّمَا اسْتَيْقِظَ وَصَاحَ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ : فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِ . فَأَنْظِرْنِي رُبَّمَا أَخْذُهُ ، وَشَأْنُكَ وَمَا تُرِيدُ . فَأَشْفَقَ اللُّصُّ إِنْ بَدَأَ الشَّيْطَانُ بِاخْتِطَافِهِ فَرُبَّمَا اسْتَيْقِظَ ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَخْذِ الْبَقْرَةِ ، فَقَالَ : لَا ، بَلْ أَنْظِرْنِي أَنْتَ حَتَّى أَخْذَ الْبَقْرَةَ ، وَشَأْنُكَ وَمَا تُرِيدُ . فَلَمْ يَزَالَا فِي الْمَجَادَلَةِ هَكَذَا ، حَتَّى نَادَى اللُّصُّ : أَيُّهَا النَّاسِكُ انْتَبِهْ : فَهَذَا الشَّيْطَانُ يُرِيدُ اخْتِطَافَكَ ، وَنَادَى الشَّيْطَانُ : أَيُّهَا النَّاسِكُ انْتَبِهْ : فَهَذَا اللُّصُّ يُرِيدُ أَنْ يُسْرِقَ بِقَرَّتِكَ . فَانْتَبَهَ النَّاسِكُ وَجِيرَانُهُ بِأَصْوَاتِهِمَا ،

وَهَرَبَ الْحَبِيشَانِ . قَالَ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِ  
 الْغُرَابِ : أَظُنُّ أَنَّ الْغُرَابَ قَدْ خَدَعَكُنَّ ، وَوَقَعَ كَلَامُهُ فِي نَفْسِ  
 الْغَيْبِيِّ مِنْكُنَّ مَوْقِعَهُ ، فَتُرِدُنَّ أَنْ تَضَعْنَ الرَّأْيَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .  
 فَهَلَّا مَهَلًا أَيُّهَا الْمَلِكُ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْمَلِكُ  
 إِلَى قَوْلِهِ وَأَمَرَ بِالْغُرَابِ أَنْ يُجْمَلَ إِلَى مَنَازِلِ الْيَوْمِ ، وَيُكْرَمَ  
 وَيُسْتَرْضَى بِهِ خَيْرًا

ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ قَالَ لِلْمَلِكِ يَوْمًا ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْيَوْمِ ،  
 وَفِيهِنَّ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قَدْ عَلِمْتَ مَا جَرَى  
 عَلَيَّ مِنَ الْغُرَبَانِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَرِيحُ قَلْبِي دُونَ أَخَذِي بِشَأْرِي  
 مِنْهُنَّ ، وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي ذَلِكَ ، فَإِذَا بِي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا  
 رُمْتُ : لِأَنِّي غُرَابٌ . وَقَدْ رَوَى عَنِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا :  
 مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يَحْرِقَهَا ، فَقَدْ قَرَّبَ لِلَّهِ أَكْثَرَ الْقُرْبَانِ .  
 لَا يَدْعُو عِنْدَ ذَلِكَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ <sup>(١)</sup> . فَإِنْ رَأَى الْمَلِكُ  
 أَنْ يَأْمُرَنِي فَأَحْرِقَ نَفْسِي ، وَأَدْعُو رَبِّي أَنْ يَحْوِلَنِي يَوْمًا ، فَأَكُونَ

(١) هذا في اعتقاد الهند الذين لم يستضيئوا بنور الإسلام .

أَشَدَّ عَدَاوَةً وَأَقْوَى بَأْسًا عَلَى الْغَرِبَانِ ، لَعَلِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُنَّ ! قَالَ  
 الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ : مَا أَشْبَهَكَ فِي خَيْرٍ مَا تُظْهَرُ وَشَرًّا مَا  
 تُخْفِي إِلَّا بِالْحَمْرَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّعِيمِ وَالرِّيْحِ الْمُنْقَعِ فِيهَا السَّمُّ . أَرَأَيْتَ  
 لَوْ أَحْرَقْنَا جِسْمَكَ بِالنَّارِ كَانَ جَوْهَرُكَ وَطِبَاعُكَ مُتَغَيِّرَةً ! أَلَيْسَتْ  
 أَخْلَاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ حَيْثُمَا دُرْتَ ، وَتَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْلِكَ  
 وَطَوَيْتِكَ ؟ كَالْفَأْرَةِ الَّتِي خُيِّرَتْ فِي الْأَزْوَاجِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالرِّيْحِ  
 وَالسَّحَابِ وَالْحَبْلِ فَلَمْ يَقَعْ اخْتِيَارُهَا إِلَّا عَلَى الْجُرْدِ . قِيلَ لَهُ :  
 وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ  
 يَوْمٍ جَالِسٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حِدَاةٌ فِي رِجْلِهَا  
 دِرْصٌ فَارَةٌ . فَوَقَعَتْ مِنْهَا عِنْدَ النَّاسِكِ ، وَادْرَكَتَهُ لَهَا رَحْمَةٌ ،  
 فَأَخَذَهَا وَلَفَّهَا فِي وَرْقَةٍ ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ خَافَ أَنْ  
 تَسْقَى عَلَى أَهْلِهِ تَرْبِيئَتَهَا ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يَحْوِلَهَا جَارِيَةً : فَتَحَوَّلَتْ  
 جَارِيَةً حَسَنَاءَ . فَأَنْطَلَقَ بِهَا إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ لَهَا : هَذِهِ ابْنَتِي ،

(١) ولد الفأرة .

فَاصْنَعِي مَعَهَا صَنِيعَكَ بِوَلَدِي . فَلَمَّا كَبُرَتْ قَالَ لَهَا النَّاسِكُ :  
يَا بِنِيَّةُ اخْتَارِي مَنْ أَحْبَبْتَ حَتَّى أُزَوِّجَكَ بِهِ . فَقَالَتْ ، أَمَّا إِذَا  
خَيْرْتَنِي فَإِنِّي أَخْتَارُ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى الْأَشْيَاءِ . فَقَالَ النَّاسِكُ  
لَعَلَّكَ تُرِيدِينَ الشَّمْسَ ! ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الشَّمْسِ فَقَالَ : أَيُّهَا  
الْمَخْلُوقُ الْعَظِيمُ ، لِي جَارِيَةٌ ، وَقَدْ طَلَبْتُ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى  
الْأَشْيَاءِ ، فَهَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجُهَا ؟ فَقَالَتِ الشَّمْسُ : أَنَا أَدُلُّكَ  
عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي : السَّحَابُ الَّذِي يَغْطِينِي ، وَيُرْدِحُ  
شُعَاعِي ، وَيَكْسِفُ أَشِعَّةَ أَنْوَارِي . فَذَهَبَ النَّاسِكُ إِلَى السَّحَابِ  
فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ لِلشَّمْسِ ، فَقَالَ السَّحَابُ : وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ  
هُوَ أَقْوَى مِنِّي : فَاذْهَبْ إِلَى الرِّيحِ الَّتِي تُقْبِلُ بِي وَتُدْبِرُ ، وَتَذْهَبُ  
بِي شَرْقًا وَغَرْبًا . بِخَاءِ النَّاسِكِ إِلَى الرِّيحِ فَقَالَ لَهَا كَقَوْلِ  
لِلشَّمْسِ . فَقَالَتْ : وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي ، وَهُوَ  
الْجَبَلُ الَّذِي لَا أَقْدِرُ عَلَى تَحْرِيكِهِ . فَمَضَى إِلَى الْجَبَلِ فَقَالَ لَهُ  
الْقَوْلَ الْمَذْكُورَ . فَأَجَابَهُ الْجَبَلُ وَقَالَ لَهُ : أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ  
أَقْوَى مِنِّي : الْجُرْدُ الَّذِي لَا اسْتَطِيعُ الْإِمْتِنَاعَ مِنْهُ إِذَا ثَقَبَنِي .

وَاتَّخَذَنِي مَسْكًا . فَانْطَلَقَ النَّاسِكُ إِلَى الْجُرْدِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ  
 أَنْتَ مَتْرُوجٌ هَذِهِ الْجَارِيَّةُ ؟ فَقَالَ : وَكَيْفَ أَتَزَوَّجُهَا وَبُحْرَى  
 ضَيْقٌ ؟ وَإِنَّمَا يَتَزَوَّجُ الْجُرْدُ الْفَأْرَةَ . فَدَعَا النَّاسِكُ رَبَّهُ أَنْ  
 يُحَوِّلَهَا فَأْرَةً كَمَا كَانَتْ وَذَلِكَ بِرِضَا الْجَارِيَّةِ ، فَأَعَادَهَا اللَّهُ إِلَى  
 عُنْصُرِهَا الْأَوَّلِ فَانْطَلَقَتْ مَعَ الْجُرْدِ . فَهَذَا مِثْلُكَ : أَيُّهَا الْمُخَادِعُ .  
 فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَلِكُ الْبُومِ إِلَى ذَلِكَ الْقَوْلِ ، وَرَفَقَ بِالْغُرَابِ ، وَلَمْ  
 يَزِدْ لَهُ إِلَّا إِكْرَامًا ، حَتَّى إِذَا طَابَ عَيْشُهُ ، وَنَبَتَ رِيشُهُ ،  
 وَاطَّلَعَ عَلَى مَا أَرَادَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ ، رَاغَ رَوْغَةً . فَأَتَى أَصْحَابَهُ  
 بِمَا رَأَى وَسَمِعَ . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ فَرَعْتُ مِمَّا كُنْتُ  
 أُرِيدُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ ، قَالَ لَهُ : أَنَا وَالْجُنْدُ  
 تَحْتَ أَمْرِكَ ، فَأَحْتَكِمْ كَيْفَ شِئْتَ .

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ الْبُومَ بِمَكَانٍ كَذَا ، فِي جَبَلٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ ،  
 وَفِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ قَطِيعٌ مِنَ الْغَنَمِ ، مَعَ رَجُلٍ رَاغٍ ، وَنَحْنُ  
 مُصِيبُونَ هُنَاكَ نَارًا ، وَنُلْقِيهَا فِي أَنْقَابِ الْبُومِ ، وَنَقْدِفُ عَلَيْهَا

(١) جمع نَقَبٍ أو نُقْبٍ بمعنى الثقب أو الطريق ، والمراد بها مساكن البوم .

مِنْ يَابِسِ الْحَطَبِ ، وَنَتْرَاوِحُ عَلَيْهَا ضَرْبًا بِأَجْنِحَتِنَا ، حَتَّى  
تَضْطَرَّمِ النَّارُ فِي الْحَطَبِ : فَسَنُخْرِجُ مِنْهُنَّ احْتَرَقَ وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ  
مَاتَ بِالدُّخَانِ مَوْضِعَهُ . فَفَعَلَ الْغُرَبَانُ ذَلِكَ : فَأَهْلَكَنَّ الْيَوْمَ  
قَاطِبَةً ، وَرَجَعْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ سَالِمَاتٍ آمِنَاتٍ .

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الْغُرَبَانِ قَالَ لِذَلِكَ الْغُرَابِ : كَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى  
صُحْبَةِ الْيَوْمِ ، وَلَا صَبَرَ لِلْأَخْيَارِ عَلَى صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ؟ فَقَالَ الْغُرَابُ :  
إِنَّ مَا قُلْتَهُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ لَكَذَلِكَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا آتَاهُ الْأَمْرُ  
الْفَظِيعُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَخَافُ مِنْ عَدَمِ تَحْمَلِهِ الْجَائِحَةَ <sup>(١)</sup> عَلَى نَفْسِهِ  
وَقَوْمِهِ ، لَمْ يَجْزَعْ مِنْ شِدَّةِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ ، لِمَا يَرْجُو مِنْ أَنْ يُعْقِبَهُ  
صَبْرُهُ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ وَكَثِيرَ الْخَيْرِ فَلَمْ يَجِدْ لِذَلِكَ الْمَاءِ ، وَلَمْ  
تَكْرَهُ نَفْسُهُ الْخُضُوعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ ، حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ . فَيَغْتَبِطُ  
بِخَاتِمَةِ أَمْرِهِ ، وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ : أَخْبِرْنِي عَنْ عُقُولِ  
الْيَوْمِ : قَالَ الْغُرَابُ : لَمْ أَجِدْ فِيهِنَّ عَاقِلًا إِلَّا الَّذِي كَانَ يَحْتَشِنُ  
عَلَى قَتْلِي ، وَكَانَ حَرَّضَهُنَّ عَلَى ذَلِكَ مِرَارًا ، فَكُنَّ أَضْعَفَ شَيْءٍ

(١) الشدة المهلكة .



رَأْيَا ! فَلَمْ يَنْظُرَنَّ فِي أَمْرِي ، وَيَذْكُرَنَّ أَنِّي قَدْ كُنْتُ ذَا مَنْزِلَةٍ  
 فِي الْغُرَبَانِ ، وَأَنِّي أُعَدُّ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ ، وَلَمْ يَخَوْفَنَّ مَكْرِي  
 وَحِيلَتِي ، وَلَا قِبْلَنَ مِنَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ ، وَلَا أَخْفَيْنَ دُونِي  
 أَسْرَارَهُنَّ . وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُحَصِّنَ أُمُورَهُ  
 مِنْ أَهْلِ النَّمِيمَةِ ، وَلَا يُطْلِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى مَوَاضِعِ سِرِّهِ .  
 فَقَالَ الْمَلِكُ : مَا أَهْلَكَ الْيَوْمَ فِي نَفْسِي إِلَّا الْبَغْيُ ، وَضَعْفُ رَأْيِ  
 الْمَلِكِ ، وَمُؤَافَقَتُهُ وَزُرَّاءَ السُّوءِ . فَقَالَ الْغُرَابُ : صَدَقْتَ أَيُّهَا  
 الْمَلِكُ ، إِنَّهُ قَلِمًا ظَفِرَ أَحَدُ بَغْيِي وَلَمْ يُطْعَ ، وَقَلَّ مِنْ أَكْثَرِ  
 مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا مَرِيضٌ . وَقَلَّ مَنْ وَثِقَ بِوُزَرَاءِ السُّوءِ وَسَلِمَ مِنْ  
 أَنْ يَقَعَ فِي الْمَهَالِكِ . وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَظْمَعَنَّ ذُو الْكِبَرِ  
 فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ ، وَلَا الْخُبُّ فِي كَثْرَةِ الصَّدِيقِ ، وَلَا السِّيُّ  
 الْأَدَبِ فِي الشَّرَفِ ، وَلَا الشَّحِيحُ فِي الْبِرِّ ، وَلَا الْحَرِيصُ  
 فِي قِلَّةِ الذُّنُوبِ ، وَلَا الْمَلِكُ الْمُحْتَالَ ، الْمُتَهَاوِنُ بِالْأُمُورِ ،  
 الضَّعِيفُ الْوُزَرَاءِ فِي ثَبَاتِ مُلْكِهِ ، وَصَلَاحُ رَعِيَّتِهِ . قَالَ  
 الْمَلِكُ : لَقَدْ اخْتَمَلْتَ مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصْنِيعِكَ لِلْيَوْمِ ،

وَتَضَرَّعَكَ لَهْنًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّهُ مِنْ اِحْتِمَلِ مَشَقَّةً يَرْجُو  
نَفْعَهَا ، وَنَحَى عَنْ نَفْسِهِ الْأَنْفَةَ وَالْحَمِيَّةَ ، وَوَطَّنَهَا عَلَى الصَّبْرِ  
حَمْدَ غَيْبِ رَأْيِهِ ؛ كَمَا صَبَرَ الْأَسْوَدُ عَلَى حَمْلِ مَلِكِ الضَّفَادِعِ عَلَى  
ظَهْرِهِ ، وَشَبِعَ بِذَلِكَ وَعَاشَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدَ مِنَ الْحَيَاتِ كَبِيرًا ، وَضَعْفَ  
بَصَرِهِ . وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ : فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى طَعَامٍ ؛  
وَإِنَّهُ انْسَابَ يَلْتَمِسُ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَيْنٍ كَثِيرَةٍ  
الضَّفَادِعِ ، قَدْ كَانَ يَأْتِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ ، فَيُصِيبُ مِنْ ضَفَادِعِهَا  
رِزْقَهُ ، فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيبًا مِنْهُنَّ مُظْهِرًا لِلْكَأَبَةِ وَالْحُزْنِ . فَقَالَ لَهُ  
ضِفْدَعٌ<sup>(٢)</sup> : مَا لِي أَرَاكَ ، أَيُّهَا الْأَسْوَدُ ، كَثِيرًا حَزِينًا ؟ قَالَ : وَمَنْ  
أُخْرَى بِطُولِ الْحُزْنِ مِنِّي ! وَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرَ مَعِيشَتِي مِمَّا كُنْتُ  
أَصِيبُ مِنَ الضَّفَادِعِ ، فَابْتُلَيْتُ بِبِالَاءٍ ، وَحُرِمْتُ عَلَى الضَّفَادِعِ  
مِنْ أَجَلِهِ ؛ حَتَّى إِنِّي إِذَا التَّقَيْتُ بِبَعْضِهَا ، لَا أَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِهَا .

(١) عاقبة . (٢) بكسر أوله وثالثه أو فتحهما أو ضم الأول وفتح الثالث الواحدة بها .

فَانطَلَقَ الضَّفَدِيعُ إِلَى مَلِكِ الضَّفَادِيعِ ، فَبَشَّرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنَ  
الْأَسْوَدِ . فَأَتَى مَلِكُ الضَّفَادِيعِ إِلَى الْأَسْوَدِ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ  
كَانَ أَمْرُكَ ؟ قَالَ : سَعَيْتُ مُنْذُ أَيَّامٍ فِي طَلَبِ ضَفَدِيعٍ . وَذَلِكَ  
عِنْدَ الْمَسَاءِ ، فَاضْطَرَرْتُ إِلَى بَيْتِ نَاسِكٍ ، وَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ  
فِي الظُّلْمَةِ وَفِي الْبَيْتِ ابْنُ لِلنَّاسِكِ ، فَأَصَبْتُ إِصْبَعَهُ ، فَظَنَنْتُ  
أَنَّهَا الضَّفَدِيعُ ، فَلَدَغْتُهُ فَمَاتَ . فَخَرَجْتُ هَارِبًا ، فَتَبِعَنِي  
النَّاسِكُ فِي أَثَرِي ، وَدَعَا عَلَيَّ ، وَلَعَنَنِي . وَقَالَ : كَمَا قَتَلْتَ ابْنَ  
الْبَرِيءِ ظُلْمًا وَتَعَدُّيًا ، أَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَدَلَّ وَتَصِيرَ مَرَكَبًا  
لِمَلِكِ الضَّفَادِيعِ ، فَلَا تَسْتَطِيعُ أَخْذَهَا ، وَلَا أَكُلَ شَيْءٍ مِنْهَا ،  
إِلَّا مَا يَتَّصَدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ مَلِكُهَا . فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَنِي ، مُقِرًّا  
بِذَلِكَ ، رَاضِيًا بِهِ . فَرَغِبَ مَلِكُ الضَّفَادِيعِ فِي رُكُوبِ الْأَسْوَدِ ،  
وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ نَحْرُ لَهُ وَشَرَفٌ ، وَرِفْعَةٌ ، فَرَكِبَهُ وَاسْتَطَابَ ذَلِكَ .  
فَقَالَ لَهُ الْأَسْوَدُ ، قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنِّي مُحْرَمٌ ، فَاجْعَلْ لِي  
رِزْقًا أَعِيشُ بِهِ . قَالَ مَلِكُ الضَّفَادِيعِ : لَعَمْرِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ  
رِزْقٍ يَقُومُ بِكَ ، إِذْ كُنْتَ مَرَكَبِي . فَأَمَرَ لَهُ بِضَفْدَعَيْنِ

يُؤْخَذَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَيُدْفَعَانِ إِلَيْهِ . فَعَاشَ بِذَلِكَ ، وَلَمْ  
يُضْرَهُ خَضُوعُهُ لِلْعَدُوِّ الدَّلِيلِ ؛ بَلِ انْتَفَعَ بِذَلِكَ ، وَصَارَ لَهُ رِزْقًا  
وَمَعِيشَةً . وَكَذَلِكَ كَانَ صَبْرِي عَلَى مَا صَبَرْتُ عَلَيْهِ ، التِمَاسًا  
لِهَذَا النِّفْعِ العَظِيمِ الَّذِي اجْتَمَعَ لَنَا فِيهِ الأَمْنُ وَالظَّفَرُ ، وَهَلَاكُ  
العَدُوِّ وَالرَّاحَةُ مِنْهُ . وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ اللِّينِ وَالرَّفِيقِ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ  
اسْتِنصَاحًا لِلْعَدُوِّ مِنْ صَرْعَةِ المُسْكَابِرَةِ : فَإِنَّ النَّارَ لَا تَزِيدُ بِجِدَّتِهَا  
وَحَرَّهَا إِذَا أَصَابَتِ الشَّجَرَةَ عَلَى أَنْ تُحْرِقَ مَا فَوْقَ الأَرْضِ مِنْهَا .  
وَالْمَاءُ يَبْرِدُهُ وَلِينُهُ يَسْتَأْصِلُ مَا تَحْتَ الأَرْضِ مِنْهَا . وَيُقَالُ  
أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لَا يُسْتَقَلُّ قَلِيلُهَا : النَّارُ وَالْمَرَضُ وَالْعَدُوُّ وَالدِّينُ .  
قَالَ العُرَابُ : وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ رَأْيِ المَلِكِ وَأَدَبِهِ وَسَعَادَةِ  
جَدِّهِ . وَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : إِذَا طَلَبَ اثْنَانِ أَمْرًا ظَفَرِيهِ مِنْهُمَا  
أَفْضَلُهُمَا مُرْوَةٌ . فَإِنَّ اعْتِدَالَ فِي المُرْوَةِ ، فَأَشَدُّهُمَا عَزْمًا .  
فَإِنَّ اسْتَوِيَا فِي العَزْمِ ، فَأَسْعَدُهُمَا جَدًّا . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ  
خَارَبَ المَلِكَ الحَازِمَ الأَرِيْبَ المُتَضَرِّعَ الَّذِي لَا تُبْطِرُهُ السَّرَّاءُ ،  
وَلَا تُدْهِشُهُ الضَّرَّاءُ ، كَانَ هُوَ دَاعِي الحَتْفِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَا سِيَّمَا

إِذَا كَانَ مِثْلَكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَالِمُ بِفُرُوضِ الْأَعْمَالِ ، وَمَوَاضِعِ  
الشَّدَّةِ وَاللَّيْنِ ، وَالغَضَبِ وَالرُّضَا ، وَالْمُعَاجَلَةِ وَالْأَنَانَةِ ، النَّاطِرُ  
فِي أَمْرِ يَوْمِهِ وَغَدِهِ ، وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ . قَالَ الْمَلِكُ لِلْغُرَابِ :  
بَلْ بَرَأَيْكَ وَعَقْلِكَ وَنَصِيحَتِكَ وَيَمْنِ طَالِعِكَ كَانَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ  
رَأَى الرَّجُلَ الْوَاحِدَ ، الْعَاقِلِ الْحَازِمِ ، أَبْلَغُ فِي هَلَاكِ الْعَدُوِّ مِنَ  
الْجُنُودِ الْكَثِيرَةِ ، مِنْ ذَوِي الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، وَالْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ .  
وَإِنَّ مِنْ عَجِيبِ أَمْرِكَ عِنْدِي طُولَ لُبِّكَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْيَوْمِ  
تَسْمَعُ الْكَلَامَ الْغَلِيظَ ، ثُمَّ لَمْ تَسْقُطْ بَيْنَهُنَّ بِكَلِمَةٍ ! قَالَ الْغُرَابُ :  
لَمْ أَزَلْ مُتَمَسِّكًا بِأَدْيِكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : أَصْحَبُ الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ ،  
بِالرَّفْقِ وَاللَّيْنِ ، وَالْمُبَالَغَةِ وَالْمَوَاتَاةِ . قَالَ الْمَلِكُ : أَصْبَحْتُ  
وَقَدْ وَجَدْتُكَ صَاحِبَ الْعَمَلِ ، وَوَجَدْتُ غَيْرَكَ مِنَ الْوُزَرَاءِ  
أَصْحَابَ أَقَاوِيلَ : لَيْسَ لَهَا عَاقِبَةٌ حَمِيدَةٌ فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا  
بِكَ مِنَّةً عَظِيمَةً لَمْ نَكُنْ قَبْلَهَا نَجِدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَلَا الشَّرَابِ ،  
وَلَا النَّوْمِ وَلَا الْقَرَارِ . وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَجِدُ الْمَرِيضُ لَذَّةَ الطَّعَامِ  
وَالنَّوْمِ حَتَّى يَبْرَأَ ، وَلَا الرَّجُلُ الشَّرُّهُ الَّذِي قَدْ أَطْمَعَهُ سُلْطَانُهُ

فِي مَالٍ وَعَمَلٍ فِي يَدِهِ ، حَتَّى يُنْجِزَهُ لَهُ ، وَلَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ أَحْرَقَ  
عَلَيْهِ عَدُوَّهُ ، وَهُوَ يَخَافُهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً حَتَّى يَسْتَرِيحَ مِنْهُ قَلْبُهُ .  
وَمَنْ وَضَعَ الْحِمْلَ الثَّقِيلَ عَنْ يَدَيْهِ أَرَّاحَ نَفْسَهُ . وَمَنْ أَمِنَ عَدُوَّهُ  
ثَلَجَ صَدْرُهُ <sup>(١)</sup> .

قَالَ الْغُرَابُ : أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّكَ أَنْ يَمْتَعَكَ  
بِسُلْطَانِكَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ صَلاَحَ رَعِيَّتِكَ ، وَيُشْرِكَهُمْ  
فِي قُرَّةِ الْعَيْنِ بِمُلْكِكَ ! فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مُلْكِهِ قُرَّةَ  
عُيُونِ رَعِيَّتِهِ ، فَمَثَلُهُ مِثْلُ زَنْمَةِ الْعَنْزِ الَّتِي يَمْتَصُّهَا ، وَهُوَ يَحْسِبُهَا  
حَلْمَةَ الضَّرْعِ ، فَلَا يُصَادِفُ فِيهَا خَيْرًا . قَالَ الْمَلِكُ : أَيُّهَا  
الْوَزِيرُ الصَّالِحُ ، كَيْفَ كَانَتْ سِيرَةُ الْبُومِ وَمَلِكُهَا فِي حُرُوبِهَا ،  
وَفِيهَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ أُمُورِهَا ؟ قَالَ الْغُرَابُ : كَانَتْ سِيرَتُهُ سِيرَةَ  
بَطْرِ ، وَأَشْرٍ وَخِيَلَاءَ ، وَعَجْزٍ ، وَنَفَرٍ ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ  
الذَّمِيمَةِ . وَكُلُّ أَصْحَابِهِ وَوُزَرَائِهِ شَبِيهُ بِهِ ، إِلَّا الْوَزِيرَ الَّذِي  
كَانَ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِي : فَإِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا أَرِيبًا ، فَيَلْسُوفًا حَازِمًا

(١) اطمان . (٢) قطعة لحم تتدلى من عنقه .

عَالِمًا ، قَلَمًا يُرَى مِثْلَهُ فِي عُلُوِّ الْهِمَّةِ ، وَكَمَالِ الْعَقْلِ ، وَجَوْدَةِ  
الرَّأْيِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَآيُ خَصْلَةٍ رَأَيْتَ مِنْهُ كَانَتْ أَدَلَّ عَلَى عَقْلِهِ ؟  
قَالَ : خَلَّتَانِ : إِحْدَاهُمَا رَأْيُهُ فِي قَتْلِي ، وَالْأُخْرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ  
يَكْتُمُ صَاحِبَهُ نَصِيحَتَهُ ، وَإِنْ اسْتَقْلَاهَا ، وَلَمْ يَكُنْ كَلَامَهُ كَلَامَ  
عُنْفٍ وَقَسْوَةٍ ، وَلَكِنَّهُ كَلَامٌ رَفِيقٌ وَلِينٌ حَتَّى إِنَّهُ رَبَّمَا أَخْبَرَهُ  
بِبَعْضِ عُيُوبِهِ ، وَلَا يُصْرِحُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ بَلْ يَضْرِبُ لَهُ الْأَمْثَالَ ،  
وَيُحَدِّثُهُ بِعَيْبِ غَيْرِهِ ، فَيَعْرِفُ عَيْبَهُ . فَلَا يَجِدُ مَلِكُهُ إِلَى الْغَضَبِ  
عَلَيْهِ سَبِيلًا . وَكَانَ مِمَّا سَمِعْتَهُ يَقُولُ لِمَلِكِهِ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي  
لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْفَلَ عَنِ أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ جَسِيمٌ ، لَا يَظْفَرُ بِهِ مِنْ  
النَّاسِ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْحَزْمِ ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ عَزِيزٌ ،  
فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ فَلْيُحْسِنِ حِفْظَهُ وَتَحْصِينَهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ : إِنَّهُ  
فِي قِلَّةِ بَقَائِهِ بِمَنْزِلَةِ قِلَّةِ بَقَاءِ الظِّلِّ عَنِ وَرَقِ النَّيْلُوفِرِ ؛ وَهُوَ  
فِي خِفَّةِ زَوَالِهِ ، وَسُرْعَةِ إِقْبَالِهِ وَإِدْبَارِهِ كَالرَّيْحِ ؛ وَفِي قِلَّةِ  
ثَبَاتِهِ كَاللَّيْبِ مَعَ اللَّثَامِ ؛ وَفِي سُرْعَةِ اضْمِحْلَالِهِ كَحَبَابِ الْمَاءِ مِنْ  
وَقَعِ الْمَطَرِ . فَهَذَا مِثْلُ أَهْلِ الْعَدَاوَةِ الَّذِينَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَرَبَ بِهِمْ ؛  
وَإِنْ هُمْ أَظْهَرُوا تَوَدُّدًا وَتَضَرُّعًا .

بَابُ الْقِرْدِ وَالْغَيْلِمِ<sup>(١)</sup>

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيَّاسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ ،  
فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ ، فَإِذَا ظَفَرَ بِهَا ،  
أَضَاعَهَا . قَالَ الْفَيَّاسُوفُ : إِنَّ طَلَبَ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ  
الِإِحْتِفَاطِ بِهَا ، وَمَنْ ظَفَرَ بِحَاجَةٍ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ الْقِيَامَ بِهَا ،  
أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْغَيْلِمَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ ، كَانَ مَلِكَ الْقِرْدَةِ ،  
وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ  
فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ مَكَانَهُ . نَخَّرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى  
انْتَهَى إِلَى السَّاحِلِ ، فَوَجَدَ شَجْرَةً مِنْ شَجَرِ التَّيْنِ ، فَارْتَقَى إِلَيْهَا  
وَجَعَلَهَا مَقَامَهُ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ التَّيْنِ ،  
إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تَيْنَةٌ فِي الْمَاءِ ، فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيقَاعًا ،  
فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي الْمَاءِ ، فَأَطْرَبَهُ ذَلِكَ : فَأَكْثَرَ مِنْ طَرْجِ  
التَّيْنِ فِي الْمَاءِ ، وَثُمَّ غَيْلِمٌ ، كَلَّمَا وَقَعَتْ تَيْنَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا

(١) السَّحْفَةُ الذِّكْرُ .



كَثُرَ ذَلِكَ ظَنًّا أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ ، فَرَغِبَ  
 فِي مُصَادَقَتِهِ ، وَأَنَسَ إِلَيْهِ ، وَكَلَّمَهُ ، وَأَلِفَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
 صَاحِبُهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغَيْلِمِ عَنْ زَوْجَتِهِ : بَخِرَعَتْ عَلَيْهِ ،  
 وَشَكَّتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا ، وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ  
 قَدْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ سُوءٌ فَاغْتَالَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنْ زَوَّجَكَ  
 بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وَأَلِفَهُ الْقِرْدُ : فَهُوَ مَوَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ ،  
 وَهُوَ الَّذِي قَطَعَهُ عَنْكَ ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَكَ حَتَّى تَحْتَالِي  
 لِهَلَاكِ الْقِرْدِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ . قَالَتْ جَارَتُهَا : إِذَا  
 وَصَلَ إِلَيْكَ فْتَمَارِضِي ، فَإِذَا سَأَلَكَ عَنْ حَالِكَ فَقُولِي : إِنْ  
 الْحُكَمَاءُ وَصَفُوا لِي قَلْبَ قِرْدٍ . ثُمَّ إِنَّ الْغَيْلِمَ انْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ  
 إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ مَهْمُومَةً ، فَقَالَ لَهَا  
 الْغَيْلِمُ : مَا لِي أَرَاكَ هَكَذَا ، فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا ، وَقَالَتْ : إِنْ  
 زَوْجَتَكَ مَرِيضَةٌ مَسْكِينَةٌ . وَقَدْ وَصَفَ لَهَا الْأَطِبَاءُ قَلْبَ قِرْدٍ ،  
 وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . قَالَ الْغَيْلِمُ : هَذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ . مِنْ أَيْنَ  
 لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ ، وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ ؟ لَكِنْ سَأَحْتَالُ لِصَدِيقِي .

ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ : فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ يَا أَخِي ، مَا حَبَسَكَ  
 عَنِّي ؟ قَالَ لَهُ الْغَيْلِمُ : مَا حَبَسَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَاتِي : فَلَمْ أَعْرِفْ  
 كَيْفَ أَجَازِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيَّ ؟ وَارِيدُ أَنْ تُتِمَّ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ  
 بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي : فَإِنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ .  
 فَأَرَكَبُ ظَهْرِي لِأَسْبِحَ بِكَ . فَرَعِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ ، وَنَزَلَ  
 فَرَكَبَ ظَهْرَ الْغَيْلِمِ ، فَسَبَحَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا سَبَحَ بِهِ ، عَرَضَ لَهُ  
 قُبْحُ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَدْرِ ، فَتَكَسَّ رَأْسُهُ ، فَقَالَ لَهُ  
 الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا ؟ قَالَ الْغَيْلِمُ : إِنَّمَا هُمِّي لِأَنِّي  
 ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ ، وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا  
 أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ وَمُلَاطَفَتِكَ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنَّ الَّذِي  
 أَعْرِفُ مِنْ حَرِصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْئِنَةَ التَّكْلِيفِ . قَالَ  
 الْغَيْلِمُ : أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ، ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً :  
 فَسَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا اخْتَبَأَسُ الْغَيْلِمَ وَإِبْطَاوَهُ  
 إِلَّا لِأَمْرٍ ! وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لِي ، وَحَالَ عَن  
 مَوَدَّتِي ، فَأَرَادَ بِي سُوءًا : فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْفُ وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا

مِنْ الْقَلْبِ . وَقَدْ يُقَالُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ إِلَّا يَغْفُلَ عَنِ التَّمَاسِ  
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ ، عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ ،  
 وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ ، وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ  
 فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَشْهَدُ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ  
 إِذَا دَخَلَ قَلْبَ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رَيْبَةٌ فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ  
 فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ ، وَلْيَتَفَقَّدْ ذَلِكَ فِي لِحَظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ  
 مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفَرَ بِالسَّلَامَةِ ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفَرَ بِالْحَزْمِ ، وَلَمْ  
 يَضُرَّهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلِمِ : مَا الَّذِي يَحْبِسُكَ ؟ وَمَالِي أَرَاكَ  
 مُهْتَمًّا ، كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى ؟ قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ  
 تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تَجِدُ أَمْرِي كَمَا أَحِبُّ : لِأَنَّ زَوْجَتِي مَرِيضَةٌ .  
 قَالَ الْقِرْدُ : لَا تَهْتَمَّ ، فَإِنَّ أَلْهَمَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ  
 التَّمَسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْدِيَةِ : فَإِنَّهُ يُقَالُ  
 لِيَبْدُلَ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ ، وَفِي  
 وَقْتِ الْحَاجَةِ ، وَعَلَى الْبَنِينَ ، وَعَلَى الْأَزْوَاجِ . قَالَ الْغَيْلِمُ :  
 صَدَقْتَ . وَقَدْ قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا قَلْبُ  
 قِرْدٍ . فَقَالَ الْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَأَسْفَاهُ ! لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْحَرْصُ

وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِ سِنِي : حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ وَرْطَةٍ ! وَلَقَدْ صَدَقَ  
الَّذِي قَالَ : يَعِيشُ الْقَانِعُ الرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا ، وَذُو  
الْحِرْصِ وَالشَّرِّ يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ  
اِحْتَجَجْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي التِّمَاسِ الْمَخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ .  
ثُمَّ قَالَ لِلغَيْلِمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي عِنْدَ مَنْزِلِي ، حَتَّى كُنْتُ  
أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي ؟ فَهَذِهِ سَنَةٌ فِينَا ، مَعَاشِرَ الْقِرَدَةِ ، إِذَا نَحَرَجَ  
أَحَدُنَا لَزِيَارَةِ صَدِيقٍ ، خَلَفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ ، أَوْ فِي مَوْضِعِهِ ،  
لِنَنْظُرَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَلَيْسَ قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ  
الغَيْلِمُ : وَأَيْنَ قَلْبِكَ الْآنَ ؟ قَالَ : خَلَفْتُهُ فِي الشَّجَرَةِ . فَإِنْ شِئْتَ  
فَارْجِعْ بِي إِلَى الشَّجَرَةِ ، حَتَّى آتِيكَ بِهِ . فَفَرِحَ الغَيْلِمُ بِذَلِكَ .  
وَقَالَ : لَقَدْ وَافَقَنِي صَاحِبِي بِدُونِ أَنْ أُغْدِرَ بِهِ . ثُمَّ رَجَعَ بِالْقِرَدِ  
إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ السَّاحِلَ ، وَثَبَ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَارْتَقَى  
الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الغَيْلِمِ ، نَادَاهُ : يَا خَلِيلِي ، أَحْمِلْ قَلْبَكَ  
وَانزِلْ ، فَقَدْ حَبَسْتَنِي . فَقَالَ الْقِرَدُ : هَيْهَاتَ ! أَتُظَنُّ أُنِي  
كَالْحِمَارِ الَّذِي زَعَمَ ابْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ :  
قَالَ الغَيْلِمُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْقِرْدُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ أَسَدٌ فِي أَيْحَةَ ، وَكَانَ مَعَهُ ابْنُ  
 آوَى يَأْكُلُ مِنْ فَوَاضِلِ طَعَامِهِ ، فَأَصَابَ الْأَسَدَ جَرَبٌ ،  
 وَضَعْفٌ شَدِيدٌ ، وَجَهْدٌ ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الصَّيْدَ . فَقَالَ لَهُ  
 ابْنُ آوَى : مَا بِالْكَ ، يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ ، قَدْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُكَ ؟  
 قَالَ : هَذَا الْجَرَبُ الَّذِي قَدْ أَجْهَدَنِي ، وَلَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا قَابُ  
 حِمَارٍ وَأُذْنَاهُ . قَالَ ابْنُ آوَى : مَا أَيْسَرَ هَذَا ! وَقَدْ عَرَفْتُ  
 بِمَكَانٍ كَذَا حِمَارًا مَعَ قَصَارٍ يَحْمِلُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ ثِيَابَهُ ، وَأَنَا آتِيكَ بِهِ ،  
 ثُمَّ دَلَفَ إِلَى الْحِمَارِ فَأَتَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : مَا لِي أَرَاكَ مَهْزُولًا ؟  
 قَالَ مَا يُطْعِمُنِي صَاحِبِي شَيْئًا . فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ تَرْضَى الْمَقَامَ  
 مَعَهُ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : فَمَا لِي حِيلَةٌ فِي الْهَرَبِ مِنْهُ ، لَسْتُ  
 أَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةٍ إِلَّا أَضْرَبِي إِنْ سَانَ فَكَدَّنِي وَأَجَاعَنِي . قَالَ  
 ابْنُ آوَى : فَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَكَانٍ مَعْزُولٍ عَنِ النَّاسِ ، لَا يَمُرُّ  
 بِهِ إِنْ سَانَ ، نَخِيبِ الْمَرْعَى ، فِيهِ قَطِيعٌ مِنَ الْحَمْرِ لَمْ تَرَ عَيْنٌ  
 مِثْلَهَا حُسْنًا وَسِمْنًا . قَالَ الْحِمَارُ : وَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهَا ؟ فَاَنْطَلِقْ

بِنَا إِلَيْهَا ، فَانْطَلَقَ بِهِ ابْنُ آوَى نَحْوَ الْأَسَدِ ، وَتَقَدَّمَ ابْنُ آوَى ،  
 وَدَخَلَ الْغَايَةَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ الْجِمَارِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ  
 وَأَرَادَ أَنْ يَنْبِ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ لضعفه ، وَتَخَلَّصَ الْجِمَارُ  
 مِنْهُ . فَأَقْلَتَ هَلِعًا عَلَى وَجْهِهِ <sup>(١)</sup> . فَلَمَّا رَأَى ابْنُ آوَى أَنَّ الْأَسَدَ  
 لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْجِمَارِ ، قَالَ لَهُ : أَعْجَزْتَ يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ إِلَى هَذِهِ  
 الْغَايَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنْ جِئْتَنِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَلَنْ يَنْجُو مِنِّي  
 أَبَدًا . فَضَى ابْنُ آوَى إِلَى الْجِمَارِ فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي جَرَى  
 عَلَيْكَ ؟ إِنَّ أَحَدَ الْحُمُرِ رَاكَ غَرِيبًا ، فَخَرَجَ يَتَلَقَّاكَ مَرْحَبًا بِكَ ،  
 وَلَوْ ثَبَّتَ لَهُ لَأَنَسَكَ ، وَمَضَى بِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ  
 الْجِمَارُ كَلَامَ ابْنِ آوَى ، وَلَمْ يَكُنْ رَأَى أَسَدًا قَطُّ ، صَدَّقَهُ ،  
 وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى الْأَسَدِ ، فَسَبَقَهُ ابْنُ آوَى إِلَى الْأَسَدِ ، وَأَعْلَمَهُ  
 بِمَكَانِهِ . وَقَالَ لَهُ : اسْتَعِدَّ لَهُ ، فَقَدْ خَدَعْتَهُ لَكَ : فَلَا يُدْرِكَنَّكَ  
 الضَّعْفُ فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ : فَإِنَّهُ إِنْ أَقْلَتَ فَلَنْ يَعودَ مَعِيَ أَبَدًا .  
 فَجَاشَ <sup>(٢)</sup> جَاشُ الْأَسَدِ لِتَحْرِيطِ ابْنِ آوَى لَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى مَوْضِعِ

(١) اطلع : أفضح الجزع . (٢) غلى والجاش ، وقد لا يهمز ، من معانيه النفس .

الجمار . فلما بصر به عاجله بوثية افترسه بها . ثم قال : قد  
ذكرت الأطباء أنه لا يؤكل إلا بعد الغسل والطهور : فاحتفظ  
به حتى أعود فأكل قلبه وأذنيه ، وأترك ما سوى ذلك قوتاً  
لك . فلما ذهب الأسد ليغتسل ، عمده ابن آوى إلى الجمار  
فأكل قلبه وأذنيه ، وجاء أن يتطير الأسد منه ، فلا يأكل منه  
شيئاً . ثم إن الأسد رجع إلى مكانه ، فقال لابن آوى : أين  
قلب الجمار وأذناه ؟ قال ابن آوى : ألم تعلم أنه لو كان له  
قلب يفقه به ، وأذنان يسمع بهما ، لم يرجع إليك بعد ما أفات  
وتجأ من الهلكة :

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أني لست كذلك الجمار  
الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب وأذنان ، ولينك  
احتلت على ، وخذعتني ، وخذعتك بمثل خديعتك ،  
واستدركت فارط أمري . وقد قيل : إن الذي يفسده الحلم  
لا يصلحه إلا العلم . قال الغيلم : صدقت ، إلا أن الرجل  
الصالح يعترف بزلاته ، وإذا أذنب ذنباً لم يستحي أن يودب :

لِصِدْقِهِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمْكَنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا بِحِيلَتِهِ وَعَقْلِهِ : كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْتُرُّ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَنْهَضُ عَلَيْهَا مُعْتَمِدًا . فَهَذَا مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا .

( انقضى باب القرد والغيلم )

## بَابُ النَّاسِكِ وَأَبْنِ عَرِسٍ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الْعَجَلَانَ فِي أَمْرِهِ ، مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا نَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ مُتَثَبِّتًا ، لَمْ يَزَلْ نَادِمًا ، وَيَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ مِنْ قَتْلِ ابْنِ عَرِسٍ . وَقَدْ كَانَ لَهُ وَدُودًا . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا مِنَ النَّسَاكِ كَانَ بِأَرْضِ جُرْجَانَ <sup>(١)</sup> وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ بَجِيمِلَةً ، فَكَأَنَّ زَمَانًا لَمْ يُرْزَقَا وَلَدًا ،

(١) بلد بفارس .



ثُمَّ حَمَلَتْ مِنْهُ بَعْدَ الْإِيَّاسِ . فَسُرَّتِ الْمَرْأَةُ وَسَرَّ النَّاسِكُ بِذَلِكَ ،  
فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ الْحَمْلُ ذَكَرًا . وَقَالَ  
لِزَوْجَتِهِ : أَبْشِرِي : فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلَامًا ، لَنَا فِيهِ  
مَنَافِعُ ، وَقُرَّةُ عَيْنٍ ، أَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ ، وَأُحْضِرُ لَهُ  
سَائِرَ الْأَدْبَاءِ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : مَا يَجْمَلُ أَيُّهَا الرَّجُلُ عَلَى أَنْ  
تَتَكَلَّمَ بِمَا لَا تَدْرِي أَيُّكُونُ أَمْ لَا ؟ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَصَابَهُ  
مَا أَصَابَ النَّاسِكُ الَّذِي أَرَأَقَ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ .  
قَالَ لَهَا : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَتْ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ  
تَاجِرٍ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ، رِزْقٌ مِنَ السَّمَنِ وَالْعَسَلِ ، وَكَانَ يَأْكُلُ  
مِنْهُ قُوَّةً وَحَاجَتَهُ ، وَيَرْفَعُ الْبَاقِي ، وَيَجْعَلُهُ فِي جَرَّةٍ ، فَيُعَلِّقُهَا  
فِي وَتِدٍ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ، حَتَّى امْتَلَأَتْ . فَبَيْنَمَا النَّاسِكُ ذَاتَ  
يَوْمٍ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَالْعُكَّازَةُ فِي يَدِهِ ، وَالْحِجْرَةُ مُعَلَّقَةٌ عَلَى  
رَأْسِهِ ، تَفَكَّرَ فِي غَلَاءِ السَّمَنِ وَالْعَسَلِ ، فَقَالَ : سَأَبِيعُ مَا فِي  
هَذِهِ الْجِرَّةِ بِدَيْنَارٍ ، وَأَشْتَرِي بِهِ عَشْرَةَ أَعْنُرٍ ، فَيُحْبِلُنَّ وَيَلِدُنَّ

فِي كُلِّ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ بَطْنًا ، وَلَا تَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَصِيرَ غَنَمًا  
 كَثِيرَةً ، إِذَا وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا ، ثُمَّ حَرَّرَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ سِنِينَ  
 فَوَجَدَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ عَنَزٍ ، فَقَالَ : أَنَا أَشْتَرِي بِهَا  
 مِائَةً مِنَ الْبَقَرِ ، بِكُلِّ أَرْبَعَةِ أَعْنُزٍ ثَوْرًا أَوْ بَقْرَةً ، وَأَشْتَرِي أَرْضًا  
 وَبَدْرًا ، وَأَسْتَأْجِرُ أَكْرَةً <sup>(١)</sup> وَأَزْرَعُ عَلَى الشِّرَازِ ، وَأَنْتَفِعُ بِالْبَانَ  
 الْإِنَاثِ وَنِتَاجِهَا فَلَا يَأْتِي عَلَى خَمْسِ سِنِينَ إِلَّا وَقَدْ أَصَبْتُ  
 مِنَ الزَّرْعِ مَالًا كَثِيرًا : فَأَبْنَيْ بَيْتًا فَاحِرًا ، وَأَشْتَرِي إِمَاءً وَعَعِيدًا ،  
 وَأَتَزَوَّجُ امْرَأَةً جَمِيلَةً ذَاتَ حُسْنٍ ، ثُمَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ سَرِيٍّ نَجِيبٍ ،  
 فَأَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ ، فَإِذَا تَرَعَّرَعَ أَدَبْتُهُ ، وَأَحْسَنْتُ  
 تَأْدِيبَهُ ، وَأَشَدُّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، فَإِنْ يَقْبَلُ مِنِّي ، وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ  
 بِهَذِهِ الْعُكَّازَةِ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْحَرَّةِ فَكَسَرَهَا ، فَسَالَ مَا كَانَ  
 فِيهَا عَلَى وَجْهِهِ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِكَيْ لَا تَعْجَلَ  
 بِذِكْرِ مَا لَا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ ، وَمَا لَا تَدْرِي أَيَّ صِحِّهِ أَمْ لَا يَصِحُّ .  
 فَاتَّعَظْ النَّاسِكُ بِمَا حَكَتْ زَوْجَتُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلَامًا

(١) جمع أكار وهو الحراث .

جَمِيلًا فَفَرِحَ بِهِ أَبُوهُ . وَبَعْدَ أَيَّامٍ حَانَ لَهَا أَنْ تَتَطَهَّرَ فَقَالَتْ  
 الْمَرْأَةُ لِلنَّاسِكِ : اقْعُدْ عِنْدَ ابْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَّامِ فَأَغْتَسِلَ  
 وَأَعُودَ . ثُمَّ إِنَّهَا أَنْطَلَقَتْ إِلَى الْحَمَّامِ ، وَخَلَفَتْ زَوْجَهَا وَالغُلَّامَ .  
 فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَخْلُفُهُ  
 عِنْدَ ابْنِهِ ، غَيْرَ ابْنِ عَرِيْسٍ دَاجِنٍ عِنْدَهُ ، كَانَ قَدْ رَبَّاهُ صَغِيرًا  
 فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلٌ وَلَدِهِ . فَتَرَكَ النَّاسِكُ عِنْدَ الصَّبِيِّ ، وَأَغْلَقَ  
 عَلَيْهِمَا الْبَيْتَ ، وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ  
 الْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءٌ ، فَدَنَّتْ مِنَ الْغُلَّامِ ، فَضَرَبَهَا ابْنُ عَرِيْسٍ ،  
 ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا ، ثُمَّ قَطَعَهَا وَأَمْتَلَأَ فَمَّهُ مِنْ دَمِهَا ، ثُمَّ جَاءَ  
 النَّاسِكُ ، وَفَتَحَ الْبَابَ ، فَالْتَقَاهُ ابْنُ عَرِيْسٍ ، كَالْمُبَشِّرِ لَهُ بِمَا  
 صَنَعَ مِنَ قَتْلِ الْحَيَّةِ . فَلَمَّا رَأَاهُ مُلَوَّثًا بِالدِّمِّ ، وَهُوَ مَدْعُورٌ ،  
 طَارَ عَقْلُهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ . وَلَمْ يَتَثَبَّتْ فِي أَمْرِهِ ،  
 وَلَمْ يَتَرَوَّفِ فِيهِ ، حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْحَالِ ، وَيَعْمَلَ بِغَيْرِ مَا ظَنَّ  
 مِنْ ذَلِكَ . وَلَكِنْ عَجَّلَ عَلَى ابْنِ عَرِيْسٍ ، وَضَرَبَهُ بِعُكَّازَةٍ كَانَتْ

فِي يَدِهِ ، عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ، فَمَاتَ . وَدَخَلَ النَّاسِكُ فَرَأَى الْغُلَامَ  
 سَلِيماً حَيّاً ، وَعِنْدَهُ اسْوَدٌ مُقَطَّعٌ . فَلَمَّا عَرَفَ الْقِصَّةَ ، وَتَبَيَّنَ  
 لَهُ سُوءُ فِعَالِهِ فِي الْعَجَلَةِ ، لَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ . وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ  
 هَذَا الْوَلَدَ ، وَلَمْ أَغْدِرْ هَذَا الْغَدْرَ ! وَدَخَلَتْ امْرَأَتُهُ ، فَوَجَدَتْهُ  
 عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَأَخْبَرَهَا بِالْخَبْرِ مِنْ  
 حُسْنِ فِعْلِ ابْنِ عَرِيسٍ وَسُوءِ مَكَافَأَتِهِ لَهُ . فَقَالَتْ : هَذِهِ ثَمَرَةُ  
 الْعَجَلَةِ ! فَهَذَا مِثْلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ ، بَلْ يَفْعَلُ أَغْرَاضَهُ  
 بِالسَّرْعَةِ وَالْعَجَلَةِ .

( انقصى باب الناسك وابن عريس )

## بَابُ الْجُرْدِ وَالسَّنُورِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمِثْلَ ،  
 فَأَضْرِبْ لِي مِثْلَ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْدَاؤُهُ ، وَأَخَذَ قَوَائِمَهُ مِنْ كُلِّ  
 جَانِبٍ ، فَأَشْرَفَ مَعَهُمْ عَلَى الْهَلَاكِ ، فَالْتَمَسَ النِّجَاةَ وَالْمَخْرَجَ  
 بِمُؤَاوَاةِ بَعْضِ أَعْدَائِهِ وَمُصَالِحَتِهِ ، فَسَلِمَ مِنَ الْخَوْفِ وَأَمِنَ ، ثُمَّ  
 وَفَى لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْهُمْ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ الْمُوَدَّةَ وَالْعَدَاوَةَ

لَا تَثْبُتَانِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا . وَرُبَّمَا حَالَتِ الْمَوَدَّةُ إِلَى  
الْعَدَاوَةِ ، وَصَارَتِ الْعَدَاوَةُ وَلايَةً وَصَدَاقَةً . وَلِهَذَا حَوَادِثُ  
وَعِلَلٌ وَتَجَارِبٌ ، وَذُو الرَّأْيِ يُحَدِّثُ لِكُلِّ مَا يَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ  
رَأْيًا جَدِيدًا : أَمَّا مِنْ قِبَلِ الْعَدُوِّ فَبِالْبَاسِ ، وَأَمَّا مِنْ قِبَلِ الصَّدِيقِ  
فَبِالِاسْتِنَاسِ . وَلَا تَمْنَعُ ذَا الْعَقْلِ عَدَاوَةٌ كَانَتْ فِي نَفْسِهِ لِعَدُوِّهِ  
مِنْ مُقَارَبَتِهِ وَالِاسْتِنَجَادِ بِهِ عَلَى دَفْعِ مَخُوفٍ أَوْ جَرِّ مَرْغُوبٍ .  
وَمَنْ عَمِلَ فِي ذَلِكَ بِالْحَزْمِ ظَفَرَ بِحَاجَتِهِ . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ  
الْجُرَذِ وَالسَّنُورِ حِينَ وَقَعَا فِي الْوَرِظَةِ ، فَنَجَّوَا بِاصْطِلَاحِهِمَا  
بِجَمِيعَا مِنَ الْوَرِظَةِ وَالشَّدَةِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟  
قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ شَجَرَةً عَظِيمَةً كَانَتْ فِي أَصْلِهَا بِحَجْرِ سَنُورٍ  
يُقَالُ لَهُ رُومِي ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ بِحَجْرِ جُرَذٍ يُقَالُ لَهُ فَرِيدُونُ ،  
وَكَانَ الصَّيَّادُونَ كَثِيرًا يَتَدَاوَلُونَ ذَلِكَ الْمَكَانَ ، يَصِيدُونَ فِيهِ  
الْوَحْشَ وَالطَّيْرَ ، فَنَزَلَ ذَاتَ يَوْمٍ صَيَّادٌ ، فَنَصَبَ حِبَاتَهُ  
قَرِيبًا مِنْ مَوْضِعِ رُومِي ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَقَعَ فِيهَا . فَخَرَجَ الْجُرَذُ  
يَدَبُ ، وَيَطْلُبُ مَا يَأْكُلُ ، وَهُوَ حَذِرٌ مِنْ رُومِي . فَبَيْنَمَا هُوَ

يَسْعَى إِذْ بَصُرَ بِهِ فِي الشَّرِكِ ، فَسَرَ وَأَسْتَبَشَرَ . ثُمَّ التَفَتَ فَرَأَى  
خَلْفَهُ ابْنَ عَرِسٍ ، يُرِيدُ أَخْذَهُ ؛ وَفِي الشَّجَرَةِ بَوْمًا ، يُرِيدُ  
اِخْتِطَافَهُ ؛ فَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَخَافَ إِنْ رَجَعَ وَرَاءَهُ أَخْذَهُ ابْنَ  
عَرِسٍ ، وَإِنْ ذَهَبَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا اِخْتِطَفَهُ الْبَوْمُ ، وَإِنْ تَقَدَّمَ  
أَمَامَهُ أَفْتَرَسَهُ السُّنُورُ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذَا بَلَاءٌ قَدْ اِكْتَنَفَنِي ،  
وَشُرُورٌ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ ، وَمِحْنٌ قَدْ أَحَاطَتْ بِي . وَبَعْدَ ذَلِكَ  
فَعَى عَقْلِي ، فَالَا يُفْزِعُنِي أَمْرِي ، وَلَا يَهُولُنِي شَأْنِي ، وَلَا يَلْحَقُنِي  
الدَّهْشُ ، وَلَا يَذْهَبُ قَلْبِي شَعَاعًا : فَالْعَاقِلُ لَا يَفْرُقُ عِنْدَ سَدَادِ  
رَأْيِهِ ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ ذِهْنُهُ عَلَى حَالٍ . وَإِنَّمَا الْعَقْلُ شَبِيهُ  
بِالْبَحْرِ الَّذِي لَا يَدْرِكُ غُورَهُ . وَلَا يَبْلُغُ الْبَلَاءُ مِنْ ذِي الرَّأْيِ  
مَجْهُودَهُ فَيُهْلِكُهُ ، وَتَحَقُّقُ الرَّجَاءِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ مَبْلَغًا  
يَبْطِرُهُ وَيُسْكِرُهُ : فَيَعْمَى عَلَيْهِ أَمْرُهُ . وَلَسْتُ أَرَى لِي مِنْ هَذَا  
الْبَلَاءِ مَخْلَصًا إِلَّا مُصَالِحَةَ السُّنُورِ : فَإِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ  
مِثْلُ مَا قَدْ نَزَلَ بِي أَوْ بَعْضُهُ . وَلَعَلَّهُ إِنْ سَمِعَ كَلَامِي الَّذِي أَكَلَّمَهُ بِهِ ،

وَوَعَى عَنِّي فَصِيحَ خَطَابِي ، وَمَحْضُ صِدْقِي الَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ ،  
وَلَا خِدَاعَ مَعَهُ فَفَهِمَهُ ، وَطَمِعَ فِي مَعُونَتِي إِيَّاهُ ، تَخَلُّصُ  
جَمِيعًا .

ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ دَنَا مِنَ السُّنُورِ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَ لَهُ  
السُّنُورُ : كَمَا تُحِبُّ : فِي ضَنْكِ وَضَيْقِي . قَالَ : وَأَنَا الْيَوْمَ  
شَرِيكَكَ فِي الْبَلَاءِ ، وَلَسْتُ أَرْجُو لِنَفْسِي خَلَاصًا إِلَّا بِالَّذِي  
أَرْجُو لَكَ فِيهِ الْخَلَاصَ . وَكَلَامِي هَذَا لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ وَلَا  
خَدِيعَةٌ . وَأَبْنُ عَرِيسٍ هَا هُوَ كَامِنٌ لِي ، وَالْيَوْمَ يَرِصُدُنِي ،  
وَكَلاهُمَا لِي وَلَكَ عَدُوٌّ . فَإِنْ جَعَلْتَ لِي الْأَمَانَ ، قَطَعْتُ  
حَبَائِلَكَ ، وَخَلَصْتُكَ مِنْ هَذِهِ الْوَرِطَةِ . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ تَخَلَّصَ  
كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِسَبَبِ صَاحِبِهِ : كَالسَّفِينَةِ وَالرَّكَّابِ فِي الْبَحْرِ :  
فَبِالسَّفِينَةِ يَنْجُونَ ، وَبِهِمْ تَنْجُو السَّفِينَةُ . فَلَمَّا سَمِعَ السُّنُورُ  
كَلَامَ الْجُرْدِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ صَادِقٌ ، قَالَ لَهُ : إِنَّ قَوْلَكَ هَذَا  
لَشَبِيهُ بِالْحَقِّ ، وَأَنَا أَيْضًا رَاغِبٌ فِيمَا أَرْجُو لَكَ وَلِنَفْسِي بِهِ

انخِلاص . ثُمَّ إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَسَأَشْكُرُ لَكَ مَا بَقِيَتْ .  
 قَالَ الْجُرْدُ : فَإِنِّي سَادَنُ مِنْكَ ، فَأَقْطَعُ الْحَبَائِلَ كُلَّهَا إِلَّا حَبْلًا  
 وَاحِدًا أَبْقِيهِ لِأَسْتَوْتِقَ لِنَفْسِي مِنْكَ . ثُمَّ أَخَذَ فِي قَرْضِ حَبَائِلِهِ  
 ثُمَّ إِنَّ الْبُومَ وَابْنَ عَرِسٍ لَمَّا رَأَيَا دُنُو الْجُرْدِ مِنَ السَّنُورِ أَيْسَأَ  
 مِنْهُ وَأَنْصَرَفَا . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَبْطَأَ عَلَى رُومِي فِي قَطْعِ الْحَبَائِلِ  
 فَقَالَ لَهُ : مَالِي لَا أَرَاكَ مُجِدًّا فِي قَطْعِ حَبَائِلِي ؟ فَإِنْ كُنْتَ قَدْ  
 ظَفَرْتَ بِحَاجَتِكَ : فَتَغَيَّرْتَ عَمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ ، وَتَوَانَيْتَ فِي حَاجَتِي ،  
 فَمَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الصَّالِحِينَ : فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يَتَوَانَى فِي حَقِّ  
 صَاحِبِهِ . وَقَدْ كَانَ لَكَ فِي سَابِقِ مَوَدَّتِي مِنَ الْفَائِدَةِ وَالنَّفْعِ  
 مَا قَدْ رَأَيْتَ . وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تُكَافِئَنِي بِذَلِكَ ، وَلَا تَذْكُرُ  
 الْعَدَاوَةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ : فَالَّذِي حَدَّثَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ  
 الصُّلْحِ حَقِيقٌ أَنْ يُنْسِيكَ ذَلِكَ ، مَعَ مَا فِي الْوَفَاءِ مِنَ الْفَضْلِ  
 وَالْأَجْرِ ، وَمَا فِي الْغَدْرِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ : فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يَكُونُ  
 إِلَّا شَكُورًا غَيْرَ حَقُودٍ ، تُنْسِيهِ الْخَلَّةُ الْوَاحِدَةَ مِنَ الْإِحْسَانِ

(١) شكر ونصح : تعديتهما باللام أفصح : من تعديتهما بنفسهما .



اِنِحَالَالِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الْاِسَاءَةِ . وَقَدْ يُقَالُ : اِنَّ اَعْجَلَ الْعُقُوبَةِ  
 عُقُوبَةُ الْغَدْرِ . وَمَنْ اِذَا تَضَرَّعَ اِلَيْهِ ، وَسُئِلَ الْعَفْوَ ، فَلَمْ يَرْحَمْ ،  
 وَلَمْ يَعْفُ ، فَقَدْ غَدَرَ ، قَالَ الْجُرْدُ : اِنَّ الصَّدِيقَ صَدِيقَانِ :  
 طَائِعٌ وَمُضْطَرٌ . وَكِلَاهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْمَنْفَعَةَ ، وَيَحْتَرِسَانِ مِنَ  
 الْمَضَرَّةِ . فَاَمَّا الطَّائِعُ فَيُسْتَرْسَلُ اِلَيْهِ ، وَيَوْمَنْ فِي جَمِيعِ  
 الْاُخْوَالِ . وَاَمَّا الْمُضْطَرُ فَنِي بَعْضِ الْاُخْوَالِ يُسْتَرْسَلُ اِلَيْهِ ،  
 وَفِي بَعْضِهَا يُنْحَدَّرُ مِنْهُ . وَلَا يَزَالُ الْعَاقِلُ يَرْتَهِنُ مِنْهُ بَعْضَ حَاجَاتِهِ ،  
 لِبَعْضِ مَا يَتَّقِي وَيَخَافُ . وَلَيْسَ عَاقِبَةُ التَّوَاصُلِ مِنَ الْمُتَوَاصِلِ  
 اِلَّا طَلَبَ عَاجِلِ النِّفْعِ وَبُلُوغِ مَآمُولِهِ . وَاَنَا وَاِفِ لَكَ بِمَا  
 جَعَلْتُ لَكَ ، وَمُحْتَرِسٌ مِنْكَ مَعَ ذَلِكَ ، مِنْ حَيْثُ اَخَافُكَ  
 تَخَوُّفًا اَنْ يُصِيبَنِي مِنْكَ مَا اَلْجَائِي خَوْفُهُ اِلَى مُصَالِحَتِكَ ، وَاَلْجَاكَ  
 اِلَى قَبُولِ ذَلِكَ مِنِّي : فَاِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ حِينًا . فَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ  
 فِي حِينِهِ ، فَلَا حُسْنَ لِعَاقِبَتِهِ . وَاَنَا قَاطِعُ حَبَائِلِكَ كُلِّهَا ، غَيْرَ  
 اَنْي تَارِكَ عُقْدَةً وَاِحِدَةً اُرْتَهِنُكَ بِهَا ، وَلَا اَقْطَعُهَا اِلَّا فِي السَّاعَةِ  
 الَّتِي اَعْلَمُ اَنَّكَ فِيهَا عَنِّي مَشْغُولٌ : وَذَلِكَ عِنْدَ مُعَايِنَتِي الصِّيَادَ .

ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَخَذَ فِي قَطْعِ حَبَائِلِ السُّنُورِ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ وَافَى الصَّيَّادُ ، فَقَالَ لَهُ السُّنُورُ : الْآنَ جَاءَ الْجِدُّ فِي قَطْعِ حَبَائِلِي . فَأَجْهَدَ الْجُرْدُ نَفْسَهُ فِي الْقَرِضِ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ وَثَبَ السُّنُورُ إِلَى الشَّجَرَةِ عَلَى دَهْشٍ مِنَ الصَّيَّادِ ، وَدَخَلَ الْجُرْدُ بَعْضَ الْأَجْحَارِ ، وَجَاءَ الصَّيَّادُ فَأَخَذَ حَبَائِلَهُ مُقَطَّعَةً ، ثُمَّ انصَرَفَ خَائِبًا .

ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ نَجَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَرِهَ أَنْ يَدْنُو مِنَ السُّنُورِ ، فَنَادَاهُ السُّنُورُ : أَيُّهَا الصَّدِيقُ النَّاصِحُ ، ذُو الْبَلَاءِ الْحَسَنِ عِنْدِي ، مَا مَنَعَكَ مِنَ الدُّنُوبِ إِلَيَّ ، لِأَجَازِيكَ بِأَحْسَنِ مَا أُسَدَيْتَ إِلَيَّ ، هَلُمَّ إِلَيَّ وَلَا تَقْطَعْ إِخَائِي : فَإِنَّهُ مِنَ اتَّخَذَ صَدِيقًا ، وَقَطَعَ إِخَاءَهُ ، وَأَضَاعَ صِدَاقَتَهُ ، حُرِمَ ثَمَرَةَ إِخَانِهِ ، وَأَيْسَ مِنْ نَفْعِهِ الْإِخْوَانُ وَالْأَصْدِقَاءُ . وَإِنَّ يَدَكَ عِنْدِي لَا تُنْسَى ، وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تَلْتَمِسَ مُكَافَأَةَ ذَلِكَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوَانِي وَأَصْدِقَائِي . وَلَا تَخَافَنَّ مِنِّي شَيْئًا . وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَبْلِي لَكَ مَبْدُولٌ . ثُمَّ حَلَفَ وَاجْتَهَدَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا قَالَ . فَنَادَاهُ الْجُرْدُ : رَبِّ صِدَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ بَاطِنُهَا عِدَاوَةٌ كَامِنَةٌ . وَهِيَ أَشَدُّ مِنَ الْعِدَاوَةِ الظَّاهِرَةِ .

وَمَنْ لَمْ يَخْتَرَسْ مِنْهَا ، وَقَعَ مَوْقِعَ الرَّجُلِ الَّذِي يَرْكَبُ نَابَ الْفِيلِ  
 الْمُغْتَلِمِ ، ثُمَّ يَغْلِبُهُ النَّعَاسُ ، فَيَسْتَيْقِظُ تَحْتَ فَرَاسِنِ الْفِيلِ ،  
 فَيَدُوسُهُ وَيَقْتُلُهُ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ الصَّدِيقُ صَدِيقًا : لِمَا يُرْجَى  
 مِنْ نَفْعِهِ ، وَسُمِّيَ الْعَدُوُّ عَدُوًّا : لِمَا يُخَافُ مِنْ ضَرَرِهِ . وَالْعَاقِلُ  
 إِذَا رَجَا نَفْعَ الْعَدُوِّ أَظْهَرَ لَهُ الصَّدَاقَةَ ، وَإِذَا خَافَ ضَرَّ الصَّدِيقِ  
 أَظْهَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ . أَلَا تَرَى ؟ تَتَّبِعُ الْبَهَائِمُ أُمَّهَاتِهَا رَجَاءَ الْبَاقِيَاتِ ،  
 فَإِذَا انْقَطَعَ ذَلِكَ انصرفت عنها . وَرُبَّمَا قَطَعَ الصَّدِيقُ عَنْ  
 صَدِيقِهِ بَعْضَ مَا كَانَ يَصِلُهُ ، فَلَمْ يَخَفْ شَرَّهُ : لِأَنَّ أَصْلَ  
 أَمْرِهِ لَمْ يَكُنْ عَدَاوَةً . فَأَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلُ أَمْرِهِ عَدَاوَةً جَوْهَرِيَّةً ،  
 ثُمَّ أَحْدَثَ صَدَاقَةً لِحَاجَةٍ حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ إِذَا زَالَتِ  
 الْحَاجَةُ الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ ، زَالَتِ صَدَاقَتُهُ ، فَتَحَوَّلَتْ  
 عَدَاوَةً ، وَصَارَ إِلَى أَصْلِ أَمْرِهِ : كَالْمَاءِ الَّذِي يُسَخَّنُ بِالنَّارِ ،  
 فَإِذَا رُفِعَ عَنْهَا عَادَ بَارِدًا . وَلَيْسَ مِنْ أَعْدَائِي عَدُوٌّ أَضْرَى لِي  
 مِنْكَ . وَقَدْ اضْطَرَّنِي وَإِيَّاكَ حَاجَةٌ إِلَى مَا أَحْدَثْنَا مِنَ الْمَصَالِحَةِ .  
 وَقَدْ ذَهَبَ الْأَمْرُ الَّذِي اخْتَجَجْتُ إِلَيْهِ وَاخْتَجَجْتُ إِلَيْكَ فِيهِ ،

(١) جمع فرسين وهو بمنزلة الحافر .

وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَعَ ذَهَابِهِ عَوْدُ الْعَدَاوَةِ . وَلَا خَيْرَ لِلضَّعِيفِ  
فِي قُرْبِ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ ، وَلَا لِلذَّلِيلِ فِي قُرْبِ الْعَدُوِّ الْعَزِيزِ .  
وَلَا أَعْلَمُ لَكَ قَبْلِي حَاجَةٌ ؛ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تُرِيدُ أَكْلِي ؛ وَلَا أَعْلَمُ  
لِي قَبْلَكَ حَاجَةٌ ، وَلَيْسَ عِنْدِي بِكَ ثِقَةٌ : فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ  
أَنَّ الضَّعِيفَ الْمُحْتَرَسَ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ  
مِنَ الْقَوِيِّ إِذَا اغْتَرَّ بِالضَّعِيفِ وَاسْتَرْسَلَ إِلَيْهِ . وَالْعَاقِلُ  
يُصَالِحُ عَدُوَّهُ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهِ ، وَيُصَانِعُهُ ، وَيُظْهِرُ لَهُ وَدَهُ ؛  
وَيُرِيهِ مِنْ نَفْسِهِ الْإِسْتِرْسَالَ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ ذَلِكَ بُدًّا ،  
ثُمَّ يَعَجَلُ الْإِنْصِرَافَ عَنْهُ ، حِينَ يَجِدُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ  
سَرِيعَ الْإِسْتِرْسَالَ لَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ . وَالْعَاقِلُ يَفِي لِمَنْ صَالَحَهُ  
مِنْ أَعْدَائِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَثِقُ بِهِ كُلَّ الثَّقَةِ ،  
وَلَا يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ الْقُرْبِ مِنْهُ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ  
مَا اسْتَطَاعَ . وَأَنَا أَوْدُكَ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأُحِبُّ لَكَ مِنَ الْبَقَاءِ  
وَالسَّلَامَةِ ، مَا لَمْ أَكُنْ أُحِبُّهُ لَكَ مِنْ قَبْلُ . وَلَا عَلَيكَ أَنْ تُجَازِيَنِي  
عَلَى صَنِيعِي إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ : إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى اجْتِمَاعِنَا وَالسَّلَامِ .

## بَابُ ابْنِ الْمَلِكِ وَالطَّائِرِ فَنَزَةَ

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا  
 الْمَثَلَ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلِ التَّرَاتِ<sup>(١)</sup> الَّذِينَ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ  
 مِنْ اتِّقَاءِ بَعْضٍ . قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ  
 كَانَ يُقَالُ لَهُ بَرِيدُونُ ، وَكَانَ لَهُ طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ فَنَزَةٌ ، وَكَانَ لَهُ فَرَخٌ  
 وَكَانَ هَذَا الطَّائِرُ وَفَرَخُهُ يَنْطِقَانِ بِأَحْسَنِ مَنَاطِقٍ ، وَكَانَ الْمَلِكُ  
 بِهِمَا مُعْجَبًا . فَأَمَرَ بِهِمَا أَنْ يُجْعَلَا عِنْدَ امْرَأَتِهِ ، وَأَمَرَهَا بِالْمُحَافَظَةِ  
 عَلَيْهِمَا . وَاتَّفَقَ أَنَّ امْرَأَةَ الْمَلِكِ وَلَدَتْ غُلَامًا ، فَأَلِفَ الْفَرَخُ  
 الْغُلَامَ . وَكِلَاهُمَا طِفْلَانِ يَلْعَبَانِ بِجَمِيعًا . وَكَانَ فَنَزَةٌ يَذْهَبُ  
 إِلَى الْجَبَلِ كُلِّ يَوْمٍ ، فَيَأْتِي بِفَاكِهَةٍ لَا تُعْرَفُ ، فَيُطْعِمُ  
 ابْنَ الْمَلِكِ شَطْرَهَا ، وَيُطْعِمُ فَرَخَهُ شَطْرَهَا . فَاسْرَعَ ذَلِكَ  
 فِي نِسَائِهِمَا ، وَزَادَ فِي شَبَابِهِمَا ، وَبَانَ عَلَيْهِمَا أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَلِكِ :  
 فَازْدَادَ لِفَنَزَةٍ إِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا وَمَحَبَّةً ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنْ  
 الْأَيَّامِ وَفَنَزَةٌ غَائِبٌ فِي اجْتِنَاءِ الثَّمَرَةِ ، وَفَرَخُهُ فِي جَبْرِ الْغُلَامِ ،

(١) جمع تيرة وهي النار .

ذَرَقَ فِي جِجْرِهِ ، فَغَضِبَ الْغُلَامُ ، وَأَخَذَ الْفَرْخَ فَضَرَبَ بِهِ  
الْأَرْضَ فَمَاتَ . ثُمَّ إِنَّ فَنزَةَ أَقْبَلَ فَوَجَدَ فَرْخَهُ مَقْتُولًا ،  
فَصَاحَ وَحَزِنَ ، وَقَالَ : قُبْحًا لِلْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وِفَاءَ !  
وَيَلُّ لِمَنْ ابْتُلِيَ بِصُحْبَةِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا حِمِيَّةَ لَهُمْ وَلَا حُرْمَةَ ،  
وَلَا يُحِبُّونَ أَحَدًا وَلَا يَكْرُمُ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِذَا طَمِعُوا فِيهَا عِنْدَهُ مِنْ  
غَنَاءٍ ، وَآخْتَجُوا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ : فَيُكْرِمُونَهُ لِذَلِكَ ،  
فَإِذَا ظَفِرُوا بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ ، فَلَا وُدَّ ، وَلَا إِخَاءَ ، وَلَا إِحْسَانَ ،  
وَلَا غُفْرَانَ ذَنْبٍ ، وَلَا مَعْرِفَةَ حَقِّ ! هُمُ الَّذِينَ أَمْرُهُمْ مَبْنِيٌّ  
عَلَى الرِّيَاءِ وَالْفُجُورِ . وَهُمْ يَسْتَصْغِرُونَ مَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنْ عَظِيمِ  
الذُّنُوبِ ، وَيَسْتَعْظِمُونَ الْيَسِيرَ إِذَا خُولِفَتْ فِيهِ أَهْوَاؤُهُمْ .  
وَمِنْهُمْ هَذَا الْكُفُورُ الَّذِي لَا رَحْمَةَ لَهُ ، الْغَادِرُ بِالْيَفِهِ وَأَخِيهِ .  
لَمْ وَثَبَ فِي شِدَّةِ حَنْقِهِ عَلَى وَجْهِ الْغُلَامِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ ، وَطَارَ فَوْقَ  
عَلَى شُرْفَةِ الْمَنْزِلِ . ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَ الْمَلِكَ ذَلِكَ ، فَخَرَعَ أَشَدَّ الْخَرْعِ ،  
ثُمَّ طَمِعَ أَنْ يَحْتَالَ لَهُ ، فَوَقَّفَ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَنَادَاهُ ، وَقَالَ لَهُ :  
إِنَّكَ آمِنٌ ، فَأَنْزِلْ يَا فَنزَةُ . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الْغَادِرَ

مَاخُوذٌ بِغَدْرِهِ ، وَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأَهُ عَاجِلُ الْعُقُوبَةِ ، لَمْ يُخْطِئْهُ  
 الْآجِلُ ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُ يُدْرِكُ الْأَعْقَابَ وَأَعْقَابَ الْأَعْقَابِ . وَإِنَّ  
 ابْنَكَ غَدَرَ بِابْنِي ، فَعَجَّتُ لَهُ الْعُقُوبَةُ . قَالَ الْمَلِكُ : لَعَمْرِي  
 قَدْ غَدَرْنَا بِابْنِكَ ، فَانْتَقَمْتِ مِنَّا : فَلَيْسَ لَكَ قِبَلَنَا ، وَلَا لَنَا  
 قِبَلَكَ وَتُرْمَطُوبٌ . فَارْجِعْ إِلَيْنَا آمِنًا . قَالَ فَتَزَعُ : لَسْتُ  
 بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ أَبَدًا : فَإِنَّ ذَوِي الرَّأْيِ قَدْ نَهَوْا عَنْ قُرْبِ الْمُتَوَتُّورِ<sup>(١)</sup>  
 فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُكَ لُطْفَ الْحَقُودِ وَلا يَنْهَىٰ وَتَكْرِمَتَهُ إِلَّا وَحْشَةً  
 مِنْهُ ، وَسُوءَ ظَنٍّ بِهِ : فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ لِلْحَقُودِ الْمُتَوَتُّورِ أَمَانًا هُوَ  
 أَوْثَقُ لَكَ مِنَ الدُّعْرِ مِنْهُ ، وَلَا أَجُودُ مِنَ الْبُعْدِ عَنْهُ ،  
 وَالْإِحْتِرَاسُ مِنْهُ أَوْلَىٰ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : إِنْ الْعَاقِلَ يَعُدُّ أَبَوِيهِ  
 أَصْدِقَاءَ ، وَالْإِخْوَةَ رُفَقَاءَ ، وَالْأَزْوَاجَ أَلْفَاءَ ، وَالْبَنِينَ ذِكْرًا ،  
 وَالْبَنَاتِ خُصَمَاءَ ، وَالْأَقَارِبَ غُرَمَاءَ وَيَعُدُّ نَفْسَهُ فَرِيدًا . وَأَنَا  
 الْفَرِيدُ الْوَحِيدُ الْغَرِيبُ الطَّرِيدُ ، قَدْ تَزَوَّدْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ مِنَ  
 الْحُزْنِ عِبًّا ثَقِيلًا ، لَا يَجْمَلُهُ مَعِيَ أَحَدٌ . وَأَنَا ذَاهِبٌ . فَعَلَيْكَ  
 مِنِّي السَّلَامُ .

(١) من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .

قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : إِنَّكَ لَو لَمْ تَكُنْ اجْتَرَيْتَ مِنَّا فِيمَا صَنَعْنَاهُ  
 بِكَ ، بَلْ كَانَ صَنِيْعُكَ بِنَا مِنْ غَيْرِ اِبْتِدَاءٍ مِنَّا بِالْغَدْرِ ، كَانَ  
 الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ . وَأَمَّا إِذْ كُنَّا نَحْنُ بِدَانَاكَ ، فَمَا ذَنْبُكَ ؟  
 وَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ الثَّقَةِ بِنَا ؟ هَلَمْ فَارْجِعْ : فَإِنَّكَ آمِنٌ .  
 قَالَ فَنَزَّ : اعْلَمْ أَنَّ الْأَحْقَادَ لَهَا فِي الْقُلُوبِ مَوَاقِعُ مُمَكَّنَةٌ  
 مُوجِعَةٌ . فَالْأَلْسُنُ لَا تَصْدُقُ فِي خَبَرِهَا عَنِ الْقُلُوبِ ،  
 وَالْقَلْبُ أَعْدَلُ شَهَادَةً مِنَ اللِّسَانِ عَلَى الْقَلْبِ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ  
 قَلْبِي لَا يَشْهَدُ لِلِّسَانِكَ ، وَلَا قَلْبُكَ لِلِّسَانِي . قَالَ الْمَلِكُ : أَلَمْ  
 تَعْلَمْ أَنَّ الضَّغَائِنَ وَالْأَحْقَادَ تَكُونُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ : فَمَنْ  
 كَانَ ذَا عَقْلٍ ، كَانَ عَلَى إِمَانَةٍ الْحَقِيقَةِ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى تَرْبِيَّتِهِ .  
 قَالَ فَنَزَّ : إِنَّ ذَلِكَ لَكَمَا ذَكَرْتَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ يَنْبَغِي لِي  
 الرَّأْيُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ الْمُؤْتُورَ الْحَقُودَ نَاسٍ مَا وَتَرِيهِ ،  
 مَصْرُوفٌ عَنْهُ فِكْرُهُ فِيهِ . وَذُو الرَّأْيِ يَخْشَوْفُ الْمَكْرَ وَالْحَدِيدَةَ  
 وَالْحَيْلَ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَدُوِّ لَا يُسْتَطَاعُ بِالشَّدَّةِ



وَالْمُكَابِرَةُ ، حَتَّى يُصَادَ بِالرُّفْقِ وَالْمُلَايِنَةِ : كَمَا يُصَادُ الْفَيْلُ  
الْوَحْشِيُّ بِالْفَيْلِ الدَّاجِنِ . قَالَ الْمَلِكُ : إِنَّ الْعَاقِلَ الْكَرِيمَ  
لَا يَتْرُكُ إِنْفَهُ ، وَلَا يَقْطَعُ إِنْخَوَانَهُ وَلَا يُضَيِّعُ الْحِفَاطَ ، وَإِنْ  
هُوَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، حَتَّى إِنَّ هَذَا الْخُلُقَ يَكُونُ فِي أَوْضَعِ  
الدَّوَابِّ مَنْزِلَةً : فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّعَابِينَ يَلْعَبُونَ بِالْكِلَابِ ،  
ثُمَّ يَذَبُّونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا . وَيَرَى الْكَلْبُ الَّذِي قَدْ أَلْفَهُمْ ذَلِكَ ،  
فَلَا يَدْعُوهُ إِلَى مَفَارِقَتِهِمْ ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَلْفَتِهِ إِيَّاهُمْ .  
قَالَ فَنَزَّةُ : إِنَّ الْأَحْقَادَ مَخُوفَةً حَيْثُمَا كَانَتْ . فَأَخَوْفُهَا وَأَشَدُّهَا  
مَا كَانَ فِي أَنْفُسِ الْمُلُوكِ : فَإِنَّ الْمُلُوكَ يَدِينُونَ بِالِانْتِقَامِ ،  
وَيَرَوْنَ الدَّرَكَ وَالطَّلَبَ بِالْوِثْرِ مَكْرَمَةً وَنَخْرًا . وَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَغْتَرُّ  
بِسُكُونِ الْحِقْدِ إِذَا سَكَنَ فَإِنَّمَا مَثَلُ الْحِقْدِ فِي الْقَلْبِ ، إِذَا لَمْ  
يَجِدْ مُحَرِّكًا ، مَثَلُ الْجَمْرِ الْمَكُونِ ، مَا لَمْ يَجِدْ حَطْبًا ، فَلَيْسَ  
يَنْفُكُ الْحِقْدُ مُتَطَلِّعًا إِلَى الْعِلَلِ ، كَمَا تَبْتَغِي النَّارُ الْحَطَبَ :  
فَإِذَا وَجَدَ عِلَّةً اسْتَعْرَا اسْتِعَارَ النَّارِ : فَلَا يُظْفِئُهُ حُسْنُ كَلَامٍ ،  
وَلَا لِينٌ وَلَا رِفْقٌ ، وَلَا خُضُوعٌ وَلَا تَضَرُّعٌ وَلَا مُصَانَعَةٌ ، وَلَا شَيْءٌ

دُونَ تَلْفِ الْأَنْفُسِ . مَعَ أَنَّهُ رَبٌّ وَاتِرٌ يَطْمَعُ فِي مُرَاجَعَةِ  
 الْمُوتُورِ بِمَا يَرْجُو أَنَّ يَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنَ النَّفْعِ لَهُ ، وَالِدْفَعِ عَنْهُ .  
 وَلَكِنِّي أَنَا أضعفُ عَنِ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ يَذْهَبُ بِهِ مَا فِي  
 نَفْسِكَ . وَلَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ مُنْطَوِيَةً لِي عَلَى مَا تَقُولُ مَا كَانَ  
 ذَلِكَ عَنِّي مُغْنِيًا . وَلَا أَزَالُ فِي خَوْفٍ وَوَحْشَةٍ ، وَسُوءِ ظَنٍّ ،  
 مَا اضْطَحَبْنَا . فَلَيْسَ الرَّأْيُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَّا الْفِرَاقُ .  
 وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ .

قَالَ الْمَلِكُ : لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ ضَرًّا  
 وَلَا نَفْعًا ، وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ مِنَ الْأَشْيَاءِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ، يُصِيبُ  
 أَحَدًا ، إِلَّا بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَكَمَا أَنَّ خَلْقَ مَا يُخْلَقُ ،  
 وَوِلَادَةَ مَا يُوَلَدُ ، وَبَقَاءَ مَا يَبْقَى ، لَيْسَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْهُ  
 شَيْءٌ ، كَذَلِكَ فَنَاءُ مَا يَفْنَى ، وَهَلَاكُ مَا يَهْلِكُ . وَلَيْسَ لَكَ  
 فِي الَّذِي صَنَعْتَ بِابْنِي ذَنْبٌ ، وَلَا لِابْنِي فِي مَا صَنَعَ بِابْنِكَ ذَنْبٌ .  
 إِنَّمَا كَانَتْ ذَلِكَ كُلُّهُ قَدْرًا مَقْدُورًا ، وَكَلَانَا لَهُ عِلَّةٌ : فَلَا  
 نُوَأْخِذُ بِمَا أَتَانَا بِهِ الْقَدَرُ . قَالَ فَنَزَعَهُ : إِنَّ الْقَدَرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ ،  
 لَكِن لَّا يَمْنَعُ ذَلِكَ الْحَارِمَ مِنْ تَوَقُّيِ الْمَخَافِيفِ ، وَالِاحْتِرَاسِ

مِنَ الْمَكَارِهِ . وَلَكِنَّهُ يَجْمَعُ تَصَدِيقًا بِالْقَدْرِ وَأَخْذًا بِالْحَزْمِ  
وَالْقُوَّةِ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي بِغَيْرِ مَا فِي نَفْسِكَ . وَالْأَمْرُ  
بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ صَغِيرٍ : لِأَنَّ ابْنَكَ قَتَلَ ابْنِي ، وَأَنَا فَقَّاتُ عَيْنِ  
ابْنِكَ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَفِيَ بِقَتْلِي ، وَتَحْتُلِنِي عَنْ نَفْسِي ؛  
وَالنَّفْسُ تَأْتِي الْمَوْتَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : الْفَاقَةُ بَلَاءٌ ، وَالْحُزْنُ  
بَلَاءٌ ، وَقُرْبُ الْعَدُوِّ بَلَاءٌ ، وَفِرَاقُ الْأَحِبَّةِ بَلَاءٌ ، وَالسَّقْمُ بَلَاءٌ ،  
وَالْهَرَمُ بَلَاءٌ ؛ وَرَأْسُ الْبَلَايَا كُلِّهَا الْمَوْتُ . وَلَيْسَ أَحَدٌ بِأَعْلَمَ  
بِمَا فِي نَفْسِ الْمَوْجِعِ الْحَزِينِ مِمَّنْ ذَاقَ مِثْلَ مَا بِهِ . فَأَنَا  
بِمَا فِي نَفْسِي عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِكَ : لِلْمَثَلِ الَّذِي عِنْدِي مِنْ  
ذَلِكَ . وَلَا خَيْرَ لِي فِي صُحْبَتِكَ : فَإِنَّكَ لَنْ تَتَذَكَّرَ صَنِيعِي  
بِابْنِكَ ، وَلَنْ أَتَذَكَّرَ صَنِيعَ ابْنِكَ بِابْنِي ، إِلَّا أَحَدَثَ ذَلِكَ  
لِقُلُوبِنَا تَغْيِيرًا .

قَالَ الْمَلِكُ : لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِعْرَاضَ عَمَّا  
فِي نَفْسِهِ ، وَيَنْسَاهُ وَيُهْمِلُهُ ، حَتَّى لَا يَذْكُرَ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَكُونَ  
لَهُ فِي نَفْسِهِ مَوْقِعٌ . قَالَ فَتْرَةٌ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي فِي بَاطِنِ

قَدَمَهُ قُرْحَةً ، إِنَّهُ هُوَ حَرَصٌ عَلَى الْمَشْيِ ، فَلَا بَدَّ لَهُ أَنْ لَا يَزَالَ  
 يَسْتَكِي قُرْحَتَهُ . وَالرَّجُلُ الْأَرْمَدُ الْعَيْنِ إِذَا اسْتَقْبَلَ بِهَا الرِّيحَ ،  
 تَعَرَّضَ لِأَنْ تَزْدَادَ رَمْدًا . وَكَذَلِكَ الْوَاتِرُ إِذَا دَنَا مِنَ الْمُوتُورِ ،  
 فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ . وَلَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الدُّنْيَا  
 إِلَّا تَوَقَّى الْمَهَالِكِ وَالْمَتَالِفِ ، وَتَقَدِيرُ الْأُمُورِ وَقِيلَةُ الْإِتِّكَالِ  
 عَلَى الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، وَقِيلَةُ الْإِغْتِرَارِ بِمَنْ لَا يَأْمَنُ : فَإِنَّهُ مِنْ  
 اتَّكَلَ عَلَى قُوَّتِهِ ، فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَسْلُكَ الطَّرِيقَ الْمَخُوفَ ،  
 فَقَدْ سَعَى فِي حَتْفِ نَفْسِهِ . وَمَنْ لَا يَقْدِرُ لِطَاقَتِهِ طَعَامَهُ  
 وَشَرَابَهُ ، وَحَمَلَ نَفْسَهُ مَا لَا تُطِيقُ وَلَا تَحْمِلُ ، فَقَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ .  
 وَمَنْ لَا يَقْدِرُ لِقَمَّتِهِ ، وَعَظَمَهَا فَوْقَ مَا يَسَعُ فُوهَ ، فَرُبَّمَا  
 غَضَّ بِهَا فَمَاتَ . وَمَنْ اغْتَرَّ بِكَلَامِ عَدُوِّهِ ، وَانْتَحَدَعَ لَهُ ،  
 وَضَيَّعَ الْحَزْمَ ، فَهُوَ أَعْدَى لِنَفْسِهِ مِنْ عَدُوِّهِ . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ  
 النَّظَرُ فِي الْقَدْرِ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَأْتِيهِ مِنْهُ وَلَا مَا يُصْرَفُ  
 عَنْهُ ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِالْحَزْمِ وَالْأَخْذُ بِالْقُوَّةِ وَمُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ  
 فِي ذَلِكَ . وَالْعَاقِلُ لَا يَشِقُ بِأَحَدٍ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلَا يُقِيمُ عَلَى  
 خَوْفٍ وَهُوَ يُجِدُّ عَنْهُ مَذْهَبًا . وَأَنَا كَثِيرُ الْمَذَاهِبِ ، وَأَرْجُو

أَلَّا أَذْهَبَ وَجْهًا إِلَّا أَصَبْتُ فِيهِ مَا يُغْنِينِي : فَإِنَّ خِلَالَ نَحْسًا  
 مِنْ تَزْوَدَهُنَّ كَفَّيْنَهُ فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَأَنْسَنَهُ فِي كُلِّ غُرْبَةٍ ،  
 وَقَرَّبَنَ لَهُ الْبَعِيدَ ، وَأَكْسَبَنَهُ الْمَعَاشَ وَالْإِخْوَانَ : أَوْهَنَّ كَفُّ  
 الْأَذَى ، وَالثَّانِيَةُ حُسْنُ الْأَدَبِ ، وَالثَّلَاثَةُ مَجَانِبَةُ الرَّيْبِ ،  
 وَالرَّابِعَةُ كَرَمُ الْخَلْقِ ، وَالْخَامِسَةُ النَّبْلُ فِي الْعَمَلِ . وَإِذَا خَافَ  
 الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا طَابَتْ نَفْسُهُ عَنِ الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَالِدِ  
 وَالْوَطَنِ : فَإِنَّهُ يَرْجُو الْخَلْفَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلَا يَرْجُو عَنِ النَّفْسِ  
 خَلْفًا . وَشَرُّ الْمَالِ مَا لَا إِنْفَاقَ مِنْهُ ، وَشَرُّ الْأَزْوَاجِ الَّتِي  
 لَا تُوَاتِي بَعْلَهَا ، وَشَرُّ الْوَالِدِ الْعَاصِي لِوَالِدَيْهِ ، وَشَرُّ  
 الْإِخْوَانِ الْخَاذِلِ لِأَخِيهِ عِنْدَ النَّجَاتِ وَالشَّدَائِدِ ، وَشَرُّ الْمُلُوكِ  
 الَّذِي يَخَافُهُ الْبَرِيُّ ، وَلَا يُوَاطِبُ عَلَى حِفْظِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ،  
 وَشَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا خِصْبَ فِيهَا وَلَا أَمْنَ ، وَإِنَّهُ لَا أَمْنَ لِي  
 عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا طُمَأْنِينَةً لِي فِي جِوَارِكَ . ثُمَّ وَدَعَ الْمَلِكُ  
 وَطَارَ . فَهَذَا مِثْلُ ذَوِي الْأَوْتَارِ الَّذِينَ لَا يَنْبَغِي لِبَعْضِهِمْ أَنْ  
 يَشُقَّ بِبَعْضٍ .

## بَابُ الْأَسَدِ وَالشَّعْبِ النَّاسِكِ وَهُوَ ابْنُ آوَى

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفُ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا  
 الْمَثَلَ ، فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الْمَلِكِ الَّذِي يَرِاجِعُ <sup>(١)</sup> مِنْ أَصَابَتِهِ مِنْهُ عَقُوبَةً  
 مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ، أَوْ جَفْوَةً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ :  
 إِنَّ الْمَلِكَ لَوْ لَمْ يَرِاجِعْ مِنْ أَصَابَتِهِ مِنْهُ جَفْوَةً عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ  
 غَيْرِ ذَنْبٍ ، ظَلِمَ أَوْ لَمْ يُظَلَمْ ، لِأَضْرَازِكِ بِالْأُمُورِ ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ  
 حَقِيقٌ أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِ مَنْ ابْتُلِيَ بِذَلِكَ ، وَيُخْبِرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ  
 الْمَنَافِعِ : فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُوثِقُ بِهِ فِي رَأْيِهِ وَأَمَانَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ  
 حَقِيقٌ بِالْحَرِصِ عَلَى مُرَاجَعَتِهِ : فَإِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسْتَطَاعُ ضَبْطُهُ  
 إِلَّا مَعَ ذَوِي الرَّأْيِ وَهُمْ الْوَزَرَاءُ وَالْأَعْوَانُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِالرِّزَاءِ  
 وَالْأَعْوَانِ إِلَّا بِالْمُودَّةِ وَالنَّصِيحَةِ ؛ وَلَا مُودَّةَ وَلَا نَصِيحَةَ إِلَّا لِدَوِي  
 الرَّأْيِ وَالْعَفَافِ . وَأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ ؛ وَالَّذِينَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ  
 مِنَ الْعَمَالِ وَالْأَعْوَانِ كَثِيرُونَ . وَمَنْ يَجْمَعُ مِنْهُمْ مَا ذَكَرْتُ مِنْ  
 النَّصِيحَةِ وَالْعَفَافِ قَلِيلٌ . وَالْمَثَلُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ الْأَسَدِ  
 وَابْنِ آوَى . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ ابْنَ آوَى كَانَ يَسْكُنُ فِي بَعْضِ  
 الدُّحَالِ ، وَكَانَ مُتَزَهِّدًا مُتَعَفِّفًا ، مَعَ بَنَاتِ آوَى وَذِيَابِ  
 وَثَعَالِبَ . وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعْنَ ، وَلَا يُغَيِّرُ كَمَا يُغَيِّرْنَ ،  
 وَلَا يَهْرِيقُ دَمًا ، وَلَا يَأْكُلُ لَحْمًا . نَفَاصِمَهُ تِلْكَ السَّبَاعُ ، وَقَانُ :  
 لَا نَرْضَى بِسِيرَتِكَ وَلَا رَأْيِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزَهُّدِكَ :  
 مَعَ أَنَّ تَزَهُّدَكَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ  
 إِلَّا كَأَحَدِنَا : تَسْعَى مَعَنَا ، وَتَفْعَلُ فِعْلَنَا فَمَا الَّذِي كَفَّكَ عَنِ  
 الدَّمَاءِ وَعَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : إِنْ صُحِّبْتِي إِيَّاكُنَّ  
 لَا تَوْتَمِنُنِي إِذَا لَمْ أَوْثَمِ نَفْسِي : لِأَنَّ الْآثَامَ لَيْسَتْ مِنْ قَبْلِ  
 الْأَمَاكِنِ وَالْأَصْحَابِ ، وَلَكِنَّهَا مِنْ قَبْلِ الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ .  
 وَلَوْ كَانَ صَاحِبُ الْمَكَانِ الصَّالِحِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ صَالِحًا ،  
 وَصَاحِبُ الْمَكَانِ السَّيِّئِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ سَيِّئًا ، كَانَ حِينئِذٍ  
 مَنْ قَتَلَ النَّاسِكَ فِي مَحْرَابِهِ لَمْ يَأْتُمْ ، وَمَنْ اسْتَحْيَاهُ فِي مَعْرَكَةِ  
 الْقِتَالِ أَتَمَّ . وَإِنِّي إِتَمَّا صَحَبْتُكَ بِنَفْسِي ، وَلَمْ أَصْحَبْكَ بِقَلْبِي  
 وَأَعْمَالِي : لِأَنِّي أَعْرِفُ ثَمَرَةَ الْأَعْمَالِ : فَلَزِمْتُ حَالِي . وَثَبَّتْ

ابن آوى على حاله تلك ، وأشتهر بالنسك والتزهد ؛ حتى بلغ ذلك أسداً كان ملك تلك الناحية ، فرغب فيه : لما بلغه عنه من العفاف والنزاهة والزهد والأمانة ، فأرسل إليه يستدعيه . فلما حضر كلمه وأنسه فوجده في جميع الأمور وفق غرضه . ثم دعاه بعد أيام إلى صحبتيه وقال له : تعلم أن عمالي كثير ، وأعوانى جم غفير ، وأنا مع ذلك إلى الأعوان محتاج . وقد بلغني عنك عفاف وأدب وعقل ودين ، فازددت فيك رغبة . وأنا موليك من عملي جسيماً ورافعك إلى منزلة شريفة ، وجاعلك من خاصتي . قال ابن آوى : إن الملوك أحقأ باختيار الأعوان فيما يهتمون به من أعمالهم وأمورهم . وهم أحرى ألا يكرهوا على ذلك أحداً : فإن المكره لا يستطيع المبالغة في العمل . وإني لعملي السلطان كاره . وليس لي به تجربة ، ولا بالسلطان رفق . وأنت ملك السباع ، وعندك من أجناس الوحوش عدد كثير ، فيهم أهل نبل وقوة ، ولهم على العمل حرص ، وعندهم به وبالسلطان رفق : فإن استعملتهم أغنوا عنك ، واغتبطوا لأنفسهم .



بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ الْأَسَدُ : دَعَّ عَنْكَ هَذَا : فَإِنِّي غَيْرُ  
مُعْفِيكَ مِنَ الْعَمَلِ . قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّمَا يَسْتَطِيعُ خِدْمَةَ  
السُّلْطَانِ رَجُلَانِ لَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا : إِمَّا فَاجِرٌ مُصَانِعٌ ، يَنَالُ  
حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ ، وَ يَسْلَمُ بِمُصَانَعَتِهِ ؛ وَإِمَّا مُغْفَلٌ لَا يَحْسُدُهُ  
أَحَدٌ . فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدُمَ السُّلْطَانَ بِالصَّدْقِ وَالْعِفَافِ فَلَا يَخِاطُ  
ذَلِكَ بِمُصَانَعَتِهِ ؛ وَحِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى ذَلِكَ : لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ  
عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ . أَمَّا الصَّدِيقُ  
فِيَنَافِسُهُ فِي مَنَزَلَتِهِ ، وَيَبْغِي عَلَيْهِ فِيهَا ، وَيُعَادِيهِ لِأَجْلِهَا ؛  
وَأَمَّا عَدُوُّ السُّلْطَانِ فَيَضْطَعُنُ عَلَيْهِ ، لِنَصِيحَتِهِ لِسُلْطَانِهِ ، وَإِغْنَانِهِ  
عَنْهُ . فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَذَانِ الصِّنْفَانِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ .  
قَالَ الْأَسَدُ : لَا يَكُونَنَّ بَغِيٌّ أَصْحَابِي عَلَيْكَ ، وَحَسَدُهُمْ إِيَّاكَ  
مِمَّا يَعْرِضُ فِي نَفْسِكَ : فَأَنْتَ مَعِي ، وَأَنَا أَكْفِيكَ ذَلِكَ ،  
وَأَبْلُغُ بِكَ مِنْ دَرَجَاتِ الْكِرَامَةِ وَالْإِحْسَانِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِكَ .  
قَالَ ابْنُ آوَى : إِنْ كَانَ الْمَلِكُ يُرِيدُ الْإِحْسَانَ إِلَيَّ ، فَلْيَدْعُنِي  
فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ أَعِيشُ آمِنًا ، قَلِيلَ الْهَمِّ ، رَاضِيًا بِعَيْشِي مِنَ الْمَاءِ

وَالْعُشْبِ : فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَ السُّلْطَانِ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ  
الْأَذَى وَالْخَوْفِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ فِي طُولِ  
عُمُرِهِ ؛ وَإِنَّ قَلِيلًا مِنَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ  
مِنَ الْعَيْشِ فِي خَوْفٍ وَنَصَبٍ . قَالَ الْأَسَدُ : قَدْ سَمِعْتُ  
مَقَالَاتِكَ ، فَلَا تَخَفْ شَيْئًا مِمَّا أَرَاكَ تَخَافُ مِنْهُ . وَلَسْتُ  
أَجِدُ بَدَأَ مِنَ الْإِسْتِعَانَةِ بِكَ فِي أَمْرِي . قَالَ ابْنُ أَوْي : أَمَا إِذَا  
أَبَى الْمَلِكُ إِلَّا ذَلِكَ فَالْيَجْعَلُ لِي عَهْدًا ، إِنْ بَغَى عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ  
أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ ، مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي : مَخَافَةٌ عَلَيَّ مَنَزَلَتِيهِ ، أَوْ مِمَّنْ هُوَ  
دُونِي : لِيُنَازِعَنِي فِي مَنَزَلَتِي ، فَذَكَرَ عِنْدَ الْمَلِكِ مِنْهُمْ ذَاكِرٌ  
بِلِسَانِهِ ، أَوْ عَلَيَّ لِسَانَ غَيْرِهِ مَا يُرِيدُ بِهِ تَحْمِيلَ الْمَلِكِ عَلَيَّ ، إِلَّا  
يَعَجَّلُ فِي أَمْرِي ، وَأَنْ يَتَثَبَّتَ فِيمَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ وَيَذَكَرُ عِنْدَهُ  
مِنْ ذَلِكَ ، وَيَفْحَصَ عَنْهُ ، ثُمَّ لِيَصْنَعَ مَا بَدَأَ لَهُ . فَإِذَا وَثِقْتُ  
مِنْهُ بِذَلِكَ ، أَعْنَتُهُ بِنَفْسِي فِيمَا يُحِبُّ ، وَعَمِلْتُ لَهُ فِيمَا أَوْلَانِي  
بِنَصِيحَةٍ وَاجْتِهَادٍ ، وَحَرَصْتُ عَلَى الْأَجْعَلِ لَهُ عَلَى نَفْسِي  
سَبِيلًا . قَالَ الْأَسَدُ : لَكَ ذَلِكَ عَلَى وَزِيَادَةٍ . ثُمَّ وُلَّاهُ نَحْرَانَهُ ،  
وَاخْتَصَّ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ ، وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ .

فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ الْأَسَدِ ذَلِكَ ، غَاظَهُمْ وَسَاءَهُمْ . فَاجْتَمَعُوا  
كَيْدَهُمْ ، وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَحْمِلُوا عَلَيْهِ الْأَسَدَ . وَكَانَ الْأَسَدُ  
قَدْ اسْتَطَابَ لَحْمًا فَعَزَلَ مِنْهُ مِقْدَارًا ، وَأَمَرَهُ بِالِاخْتِطَافِ بِهِ ،  
وَأَنْ يَرْفَعَهُ فِي أَحْصَنِ مَوْضِعٍ طَعَامِهِ وَأَحْرَزِهِ : لِيُعَادَ عَلَيْهِ ،  
فَأَخَذُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِ ابْنِ آوَى ، فَخَبَّئُوهُ فِيهِ ،  
وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ ، ثُمَّ حَضَرُوا يُكَذِّبُونَهُ إِنْ جَرَتْ فِي ذَلِكَ حَالٌ .  
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، وَدَعَا الْأَسَدُ بِغَدَائِهِ ، فَقَدَّ ذَلِكَ اللَّحْمَ ،  
فَالْتَمَسَهُ وَلَمْ يَجِدْهُ ، وَابْنُ آوَى لَمْ يَشْعُرْ بِمَا صُنِعَ فِي حَقِّهِ مِنَ  
الْمَكِيدَةِ . فَحَضَرَ الَّذِينَ عَمِلُوا الْمَكِيدَةَ ، وَقَعَدُوا فِي الْمَجْلِسِ .  
ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ سَأَلَ عَنِ اللَّحْمِ ، وَشَدَّدَ فِيهِ ، وَفِي الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ ،  
فَنظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ قَوْلَ الْمُخْبِرِ النَّاصِحِ :  
إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُخْبِرَ الْمَلِكَ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ ، وَإِنْ شَقَّ  
ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ . وَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ ابْنَ آوَى هُوَ الَّذِي  
ذَهَبَ بِاللَّحْمِ إِلَى مَنْزِلِهِ . قَالَ الْآخَرُ : لَا أَرَاهُ يَفْعَلُ هَذَا ، وَلَكِنْ  
انظُرُوا وَافْخَصُوا : فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْخَلَائِقِ شَائِدَةٌ . فَقَالَ الْآخَرُ :

لَعَمْرِي مَا تَكَادُ السَّرَائِرُ تُعْرَفُ ، وَأَظُنُّكُمْ إِنْ فَخَصْتُمْ عَنْ هَذَا  
وَجَدْتُمْ اللَّحْمَ بِبَيْتِ ابْنِ آوَى ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُذَكِّرُ مِنْ عَيْبِهِ وَخِيَانَتِهِ  
نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نُصَدِّقَهُ . قَالَ الْآخَرُ : لَيْنَ وَجَدْنَا هَذَا حَقًّا  
فَلَيْسَتْ بِالْخِيَانَةِ فَقَطْ ، وَلَكِنْ مَعَ الْخِيَانَةِ كُفْرُ النِّعْمَةِ ، وَالْجَوَارِءُ  
عَلَى الْمَلِكِ . قَالَ الْآخَرُ : أَنْتُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ ، لَا اسْتَطِيعُ  
أَنْ أَكْذِبَكُمْ ، وَلَكِنْ سَيَبِينُ هَذَا لَوْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى بَيْتِهِ مَنْ  
يُفْتِشُهُ . قَالَ آخَرُ : إِنْ كَانَ الْمَلِكُ مُفْتِشًا مَنْزِلَهُ فَلْيُعَجِّلْ :  
فَإِنَّ عَيْبَهُ وَجَوَاسِيْسَهُ مَبْثُوثَةٌ بِكُلِّ مَكَانٍ . وَلَمْ يَزَالُوا فِي هَذَا  
الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ ، حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِ الْأَسَدِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِابْنِ  
آوَى فَخَضَرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ اللَّحْمُ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِالْإِحْتِفَاطِ بِهِ ،  
قَالَ : دَفَعْتُهُ إِلَى صَاحِبِ الطَّعَامِ لِيُقَرِّبَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فدَعَا  
الْأَسَدُ بِصَاحِبِ الطَّعَامِ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَايِعَ وَبَايَعَ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى  
ابْنِ آوَى . فَقَالَ : مَا دَفَعْتَ إِلَيَّ شَيْئًا . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ أَمِينًا إِلَى بَيْتِ  
ابْنِ آوَى لِيُفْتِشَهُ ، فَوَجَدَ فِيهِ ذَلِكَ اللَّحْمَ ، فَأَتَى بِهِ الْأَسَدَ .  
فَدَنَا مِنَ الْأَسَدِ ذِئْبٌ لَمْ يَكُنْ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَكَانَ

يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْعُدُولِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا لَا يَعْلَمُونَ ، حَتَّى  
يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . فَقَالَ : بَعْدَ أَنْ اطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلَى خِيَانَةِ ابْنِ  
أَوَى فَلَا يَعْفُونَ عَنْهُ : فَإِنَّهُ إِنْ عَفَا عَنْهُ لَمْ يَطَّلِعِ الْمَلِكُ بِعَدَّهَا  
عَلَى خِيَانَةِ خَائِنٍ ، وَلَا ذَنْبِ مُذْنِبٍ . فَأَمَرَ الْأَسَدُ بِابْنِ أَوَى أَنْ  
يُخْرَجَ ، وَيُحْتَفَظَ بِهِ . فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَاءِ الْمَلِكِ : إِنِّي لَا أُعْجَبُ  
مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْأُمُورِ كَيْفَ يَحْتَفِي عَلَيْهِ أَمْرٌ هَذَا ،  
وَلَمْ يَعْرِفْ خَبْرَهُ وَمُخَادَعَتَهُ ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنِّي أَرَاهُ سَيَصْفَحُ  
عَنْهُ ، بَعْدَ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ بَعْضَهُمْ رَسُولًا إِلَى  
ابْنِ أَوَى يَلْتَمِسُ مِنْهُ الْعُذْرَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ بِرِسَالَةٍ كَاذِبَةٍ  
اخْتَرَعَهَا ، فَغَضِبَ الْأَسَدُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِابْنِ أَوَى أَنْ يُقْتَلَ .  
فَعَلِمَتْ أُمُّ الْأَسَدِ أَنَّهُ قَدْ عَجَلَ فِي أَمْرِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى الَّذِينَ أَمَرُوا  
بِقَتْلِهِ أَنْ يُوْخِرُوهُ ، وَدَخَلَتْ عَلَى ابْنِهَا ، فَقَالَتْ : يَا بَنِي بَايَ ذَنْبِ  
أَمَرْتَ بِقَتْلِ ابْنِ أَوَى ؟ فَأَخْبَرَهَا بِالْأَمْرِ . فَقَالَتْ : يَا بَنِي  
عَجَلْتَ . وَإِنَّمَا يَسْلَمُ الْعَاقِلُ مِنَ النَّدَامَةِ بِتَرْكِ الْعَجَلَةِ  
وَبِالتَّثَبُّتِ . وَالْعَجَلَةُ لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَجْتَنِي ثَمْرَةَ النَّدَامَةِ ،

بِسَبَبِ ضَعْفِ الرَّأْيِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحْوَجَ إِلَى التُّوَدَةِ وَالتَّشْبِثِ  
 مِنَ الْمُلُوكِ : فَإِنَّ الْمَرْأَةَ بِزَوْجِهَا ، وَالْوَلَدَ بِوَالِدِيهِ ، وَالْمُتَعَلِّمَ  
 بِالْمُعَلِّمِ ، وَالْجُنْدَ بِالْقَائِدِ ، وَالنَّاسِكَ بِالَّذِينَ ، وَالْعَامَّةَ  
 بِالْمُلُوكِ ، وَالْمُلُوكَ بِالتَّقْوَى ، وَالتَّقْوَى بِالْعَقْلِ ، وَالْعَقْلَ  
 بِالتَّشْبِثِ وَالْأَنَانَةِ ، وَرَأْسَ الْكُلِّ الْحَزْمُ ، وَرَأْسَ الْحَزْمِ لِلْمَلِكِ  
 مَعْرِفَةُ أَصْحَابِهِ ، وَإِنْزَالُهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَاتِّهَامُهُ بَعْضَهُمْ  
 عَلَى بَعْضٍ . فَإِنَّهُ لَوْ وَجَدَ بَعْضُهُمْ إِلَى هَلَاكِ بَعْضٍ سَبِيلًا  
 لَفَعَلَ . وَقَدْ جَرَّبَتْ ابْنَ آوَى ، وَبَلَوَتْ رَأْيَهُ وَأَمَانَتَهُ وَمُرُوءَتَهُ ،  
 ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَادِحًا لَهُ رَاضِيًا عَنْهُ . وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَخُونَهُ  
 بَعْدَ ارْتِضَائِهِ إِيَّاهُ وَاتِّمَانِهِ لَهُ ، وَمَنْدُجِيئِهِ إِلَى الْآنَ لَمْ يُطَّلَعْ لَهُ  
 عَلَى خِيَانَةٍ إِلَّا عَلَى الْعِفَّةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَمَا كَانَ رَأْيُ الْمَلِكِ  
 أَنْ يُعْجَلَ عَلَيْهِ لِأَجْلِ طَائِفٍ لِحِمِّ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ  
 تَنْظُرَ فِي حَالِ ابْنِ آوَى : لِتَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَتَعَرَّضَ لِلْحِمِّ  
 اسْتَوْدَعْتَهُ إِيَّاهُ . وَلَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ فَحَصَ عَنْ ذَلِكَ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ  
 ابْنَ آوَى لَهُ خُصْمَاءُ هُمُ الَّذِينَ أَتَمَرُوا بِهَذَا الْأَمْرِ . وَهُمْ الَّذِينَ

ذَهَبُوا بِاللَّحْمِ إِلَى بَيْتِهِ فَوَضَعُوهُ فِيهِ : فَإِنَّ الْحِدَاةَ إِذَا كَانَ فِي رِجْلِهَا قِطْعَةً لَحْمٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا سَائِرُ الطَّيْرِ ، وَالْكَلْبَ إِذَا كَانَ مَعَهُ عَظْمٌ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْكِلَابُ . وَابْنُ آوَى مُنْذُ كَانَ إِلَى الْيَوْمِ نَافِعٌ ، وَكَانَ مُحْتَمِلًا لِكُلِّ ضَرَرٍ فِي جَنْبٍ مَنفَعَةٍ تَصِلُ إِلَيْكَ ، وَلِكُلِّ عَنَاءٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ رَاحَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَطْوِي دُونَكَ سِرًّا .

فَبَيْنَمَا أُمُّ الْأَسَدِ تَقْصُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ، إِذْ دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ بَعْضُ ثِقَاتِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِبِرَاءَةِ ابْنِ آوَى . فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ ، بَعْدَ أَنْ أَطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلَى بِرَاءَةِ ابْنِ آوَى : إِنَّ الْمَلِكَ حَقِيقٌ إِلَّا يَرْخِصَ لِمَنْ سَعَى بِهِ لِئَلَّا يَنْجَرَّوَا عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ لَكِنِّي لَا يَعُودُوا إِلَى مِثْلِهِ : فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُرَاجِعَ فِي أَمْرِ الْكُفُورِ لِلْحُسْنَى ، الْجَرِيءِ عَلَى الْغَدْرِ ، الزَّاهِدِ فِي الْخَيْرِ ، الَّذِي لَا يُوقِنُ بِالْآخِرَةِ . وَيَنْبَغِي أَنْ يُجْزَى بِعَمَلِهِ ، وَقَدْ عَرَفْتَ سُرْعَةَ الْغَضَبِ وَفَرْطَ الْهَفْوَةِ ، وَمَنْ سَخِطَ بِالْيَسِيرِ لَمْ يَبْلُغْ رِضَاهُ بِالْكَثِيرِ . وَالْأَوْلَى لَكَ أَنْ تُرَاجِعَ ابْنَ آوَى ،

وَتَعَطِفَ عَلَيْهِ ، وَلَا يُؤْتِسِّنَكَ مِنْ مُنَاصَحَتِهِ مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَيْهِ  
 مِنَ الْإِسَاءَةِ : فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ عَلَى حَالٍ مِنَ  
 الْأَحْوَالِ ، وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالصَّلَاحِ وَالْكَرَمِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ  
 وَالشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبُعْدِ  
 مِنَ الْأَذَى وَالِإِحْتِمَالِ لِلْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ وَإِنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ  
 مِنْهُمْ الْمَثُونَةُ . وَأَمَّا مَنْ يَنْبَغِي تَرْكُهُ فَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالشَّرَاسَةِ وَالْوَمِ  
 الْعَهْدِ وَقِلَّةِ الشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْبُعْدِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْوَرَعِ ، وَاتَّصَفَ  
 بِالْجُحُودِ لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَعِقَابِهَا . وَقَدْ عَرَفْتَ ابْنَ آوَى وَجَرَبْتَهُ  
 وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمُؤَاصَلَتِهِ .

فَدَعَا الْأَسَدُ بِابْنِ آوَى وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُ وَوَعَدَهُ  
 خَيْرًا ، وَقَالَ : إِيَّيْ مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ وَرَادُكَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ . فَقَالَ  
 ابْنُ آوَى : إِنَّ شَرَّ الْأَخْلَاءِ مِنَ التَّمَسِّ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضُرِّ أَخِيهِ ،  
 وَمَنْ كَانَ غَيْرَ نَاطِرٍ لَهُ كَنَظَرِهِ لِنَفْسِهِ ، أَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُرْضِيَهُ  
 بِغَيْرِ الْحَقِّ لِأَجْلِ اتِّبَاعِ هَوَاهُ . وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ ذَلِكَ بَيْنَ



الْأَخْلَاءِ . وَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَلِكِ إِلَى مَا عَلِمَ ؛ فَلَا يَغْلُظَنَّ عَلَى  
 نَفْسِهِ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ أَنِّي بِهِ غَيْرُ وَائِقٍ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَصْحَبَهُ :  
 فَإِنَّ الْمُلُوكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْحَبُوا مَنْ عَاقَبُوهُ أَشَدَّ الْعِقَابِ ؛  
 وَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَرْفُضُوهُ أَصْلًا : فَإِنَّ ذَا السُّلْطَانِ إِذَا عُرِزَ  
 كَانَ مُسْتَحِقًّا لِلْكَرَامَةِ فِي حَالَةِ إِبْعَادِهِ وَالْإِقْصَاءِ لَهُ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ  
 الْأَسَدُ إِلَى كَلَامِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ بَلَوْتُ طِبَاعَكَ  
 وَأَخْلَاقَكَ ، وَجَرَّبْتُ أَمَانَتَكَ وَوَفَاءَكَ وَصِدْقَكَ ؛ وَعَرَفْتُ  
 كَذِبَ مَنْ تَمَحَّلَ الْحِيْلَ لِتَحْمَلِي عَلَيْكَ . وَإِنِّي مِنْزِلُكَ مِنْ نَفْسِي  
 مِنْزِلَةَ الْأَخْيَارِ الْكُرَمَاءِ ، وَالْكَرِيمِ تُنْسِيهِ الْخَلَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنْ  
 الْإِحْسَانِ ، الْخِلَالِ الْكَثِيرَةِ مِنَ الْإِسَاءَةِ . وَقَدْ عُدْنَا إِلَى الثِّقَةِ  
 بِكَ ، فَعُدْ إِلَى الثِّقَةِ بِنَا : فَإِنَّ لَنَا وَلَكَ بِذَلِكَ غِبْطَةً وَسُرُورًا .  
 فَعَادَ ابْنُ آوَى إِلَى وِلَايَةِ مَا كَانَ يَلِي ، وَضَاعَفَ لَهُ الْمَلِكُ  
 الْكَرَامَةَ ، وَلَمْ تَزِدْهُ الْأَيَّامُ إِلَّا تَقَرُّبًا مِنَ السُّلْطَانِ .

## بَابُ إِيْلَادَ وَبِلَادَ وَإِرَاخْتِ

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا  
 الْمَثَلَ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ  
 يَلْزِمَ بِهَا نَفْسَهُ ، وَيَحْفَظَ مُلْكَهُ وَيُثَبِّتَ سُلْطَانَهُ ، وَيَكُونَ ذَلِكَ  
 رَأْسَ أَمْرِهِ وَمِلاكَهُ : أَيْ الْحِلْمُ أَمْ بِالْمُرُوءَةِ أَمْ بِالشَّجَاعَةِ أَمْ  
 بِالْجُودِ ؟ قَالَ بَيْدَبَا : إِنَّ أَحَقَّ مَا يَحْفَظُ بِهِ الْمَلِكُ مُلْكَهُ  
 الْحِلْمُ ، وَبِهِ تُثَبِّتُ السَّلْطَنَةُ ، وَالْحِلْمُ رَأْسُ الْأُمُورِ وَمِلاكَهَا ،  
 وَأَجُودُ مَا كَانَ فِي الْمُلُوكِ : كَالَّذِي زَعَمُوا مِنْ أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ يُدْعَى  
 بِلَادَ ، وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ يُدْعَى إِيْلَادَ . وَكَانَ مُتَعَبِّدًا نَاسِكًا .  
 فَذَامَ الْمَلِكُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ أَفْرَعَتْهُ ،  
 فَاسْتَيْقَظَ مَرْعُوبًا . فَدَعَا الْبِرَاهِمَةَ ، وَهُمْ النَّسَاكُ لِيَعْبُرُوا  
 رُؤْيَاهُ . فَلَمَّا حَضَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَصَّ عَلَيْهِمْ مَا رَأَى . فَقَالُوا  
 بِأَجْمَعِهِمْ : لَقَدْ رَأَى الْمَلِكُ عَجَبًا فَإِنْ أَمَهَلْنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ جِئْنَا  
 بِتَأْوِيلِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : قَدْ أَمَهَلْتُمْكُمْ نَخْرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ

ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ أَحَدِهِمْ وَأَثَمَرُوا بَيْنَهُمْ . وَقَالُوا : قَدْ وَجَدْتُمْ  
 عَلَيْهَا وَسِعًا تَدْرِكُونَ بِهِ ثَارَكُمْ وَتَنْتَقِمُونَ بِهِ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ  
 أَنَّهُ قَتَلَ مِنَّا بِالْأَمْسِ اثْنَيْ عَشَرَ نَفْسًا . وَهِيَ هِيَ قَدْ أَطْلَعَنَا  
 عَلَى سِرِّهِ وَسَأَلْنَا تَفْسِيرَ رُؤْيَاهُ : فَهَلَسُوا نَغْلِظُ لَهُ الْقَوْلَ وَنُخَوِّفُهُ  
 حَتَّى يَجْمَلَهُ الْفَرْقُ وَالْجَزَعُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ الَّذِي نُرِيدُ وَنَأْمُرُ .  
 فَنَقُولُ : اذْفَعْ إِلَيْنَا أَحِبَّاءَكَ وَمَنْ يَكْرُمُ عَلَيْكَ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ :  
 فَإِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا فَلَمْ نَرَ أَنَّ يَدْفَعُ عَنْكَ مَا رَأَيْتَ لِنَفْسِكَ  
 وَمَا وَقَعَتْ فِيهِ مِنْ هَذَا الشَّرِّ إِلَّا بِقَتْلِ مَنْ نُسَمَّى لَكَ . فَإِن  
 قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا ؟ سَمُّوهُمْ لِي . قُلْنَا :  
 نُرِيدُ الْمَلِكَةَ إِيرَاخْتَ أُمَّ جَوِيرَ الْمُحْمُودَةَ أَكْرَمَ نِسَائِكَ عَلَيْكَ .  
 وَنُرِيدُ جَوِيرَ أَحَبِّ بَنِيكَ إِلَيْكَ وَأَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ . وَنُرِيدُ ابْنَ  
 أَخِيكَ الْكَرِيمِ ، وَإِيَالَادَ خَالِيكَ وَصَاحِبَ أَمْرِكَ . وَنُرِيدُ كَالَا  
 الْكَاتِبِ صَاحِبَ سِرِّكَ وَسَيْفَكَ الَّذِي لَا يُوجَدُ مِثْلَهُ ، وَالْفِيلَ  
 الْأَبْيَضَ الَّذِي لَا تَلْحَقُهُ الْخَيْلُ ، وَالْفَرَسَ الَّذِي هُوَ مَرْكَبُكَ  
 فِي الْقِتَالِ . وَنُرِيدُ الْفِيَّانِينَ الْأَنْحَرِينَ الْعَظِيمِينَ الَّذِينَ يَكُونَانِ

مَعَ الْفِيلِ الذَّكَرِ . وَنُرِيدُ الْبُخْتِيَّ السَّرِيعَ الْقَوِيَّ . وَنُرِيدُ  
كَبَارِيُونَ الْحَكِيمَ الْفَاضِلَ الْعَالِمَ بِالْأُمُورِ لِنَتَقِمَ مِنْهُ بِمَا فَعَلَ بِنَا .  
ثُمَّ نَقُولُ : إِنَّمَا يَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ تَقْتُلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ  
سَمَّيْنَاهُمْ لَكَ ، ثُمَّ تَجْعَلَ دِمَاءَهُمْ فِي حَوْضٍ تَمْلُوهُ ، ثُمَّ تَقْعُدُ فِيهِ .  
فَإِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْحَوْضِ اجْتَمَعْنَا نَحْنُ مَعَاشِرَ الْبَرَاهِمَةِ مِنَ  
الْآفَاقِ الْأَرْبَعَةِ نَجُولُ حَوْلَكَ فَتَرْقِيكَ وَتَنْفُلُ عَلَيْكَ وَتَمْسَحُ  
عَنْكَ الدَّمَ وَنَغْسِلُكَ بِالْمَاءِ وَالذَّهْنِ الطَّيِّبِ . ثُمَّ تَقُومُ إِلَى مَنْزِلِكَ  
الْبَهِيِّ فَيَدْفَعُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْبَلَاءِ الَّذِي نَخَوَّفُهُ عَلَيْكَ . فَإِنْ  
صَبَرْتَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَطَابَتْ نَفْسُكَ عَنْ أَحِبَّائِكَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا  
لَكَ ، وَجَعَلْتَهُمْ فِدَاءَكَ ، تَخَلَّصْتَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَاسْتَقَامَ لَكَ  
مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ ، وَاسْتَخْلَفْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ أَحْبَبْتَ .  
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ تَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ أَنْ يُغْضَبَ مُلْكُكَ أَوْ تَهْلِكَ .  
فَإِنْ هُوَ أَطَاعَنَا فِيمَا نَأْمُرُهُ قَتَلْنَاهُ أَيْ قَتَلَهُ شِدْنَا .

فَلَمَّا أَجْمَعُوا عَلَى مَا أَمَرُوا بِهِ رَجَعُوا إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ .  
وَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّا نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا فِي تَفْسِيرِ مَا رَأَيْتَ ،  
وَفَحَصْنَا عَنِ الرَّأْيِ فِيمَا بَيْنَنَا . فَلْتَكُنْ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الطَّاهِرُ

الصَّالِحُ الْكَرَامَةُ . وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نُعْلِمَكَ بِمَا رَأَيْنَا إِلَّا أَنْ  
تَخْلُوَ بِنَا . فَأَخْرَجَ الْمَلِكُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ وَخَلَا بِهِمْ . فَخَدَّثُوا  
بِالَّذِي اتَّمَرُوا بِهِ . فَقَالَ لَهُمْ : الْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنَ الْحَيَاةِ  
إِنْ أَنَا قَتَلْتُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ عَدِيلُ نَفْسِي . وَأَنَا مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ ،  
وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ ، وَلَسْتُ كُلَّ الدَّهْرِ مَلِكًا ، وَإِنَّ الْمَوْتَ عِنْدِي  
وَفِرَاقَ الْأَحْبَاءِ سَوَاءٌ . قَالَ لَهُ الْبِرَاهِمَةُ : إِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْضَبْ  
أَخْبَرْنَاكَ . فَأَذِنَ لَهُمْ . فَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ لَمْ تَقُلْ  
صَوَابًا حِينَ تَجْعَلُ نَفْسَ غَيْرِكَ أَعَزَّ عِنْدَكَ مِنْ نَفْسِكَ . فَاحْتَفِظْ  
بِنَفْسِكَ وَمُلْكِكَ ، وَاعْمَلْ هَذَا الَّذِي لَكَ فِيهِ الرَّجَاءُ الْعَظِيمُ  
عَلَى ثِقَةٍ وَيَقِينٍ . وَقَرَّ عَيْنًا بِمُلْكِكَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ  
الَّذِينَ شَرُفَتْ وَكَرُمَتْ بِهِمْ . وَلَا تَدْعِ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ وَتَأْخُذْ  
بِالضَّعِيفِ فَتُهْلِكَ نَفْسَكَ إِثَارًا لِمَنْ يُحِبُّ . وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ  
أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا يُحِبُّ الْحَيَاةَ مُحِبَّةً لِنَفْسِهِ . وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ  
مَنْ أَحَبَّ مِنَ الْأَحْبَابِ إِلَّا لِيَتَمَتَّعَ بِهِمْ فِي حَيَاتِهِ . وَإِنَّمَا  
قَوَامُ نَفْسِكَ بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمُلْكِكَ . وَإِنَّكَ لَمْ تَنْزِلْ مُلْكَكَ

إِلَّا بِالمَشَقَّةِ وَالْعَنَاءِ الكَثِيرِ فِي الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ . وَلَيْسَ  
 يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُضَهُ وَيَهُونَ عَلَيْكَ . فَاسْتَمِعْ كَلَامَنَا . فَاَنْظُرْ  
 لِنَفْسِكَ مِنْهَا ، وَدَعْ مَا سِوَاهَا : فَإِنَّهُ لَا خَطَرَ لَهُ . فَلَمَّا  
 رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ الْبَرَاهِمَةَ قَدْ أَغْلَظُوا لَهُ فِي الْقَوْلِ وَاجْتَرَأُوا  
 عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ اشْتَدَّ غَمُّهُ وَحُزْنُهُ . وَقَامَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيهِمْ  
 وَدَخَلَ إِلَى جُجْرَتِهِ نَحْرًا عَلَى وَجْهِهِ يَبْكِي وَيَتَقَلَّبُ كَمَا تَتَقَلَّبُ  
 السَّمَكَةُ إِذَا نَحَرَجَتْ مِنَ الْمَاءِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ :  
 مَا أَدْرِي أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَكْبَرُ فِي نَفْسِي ؟ الْمَمْلَكَةُ أَمْ قَتْلُ أَحِبَّائِي ؟  
 وَلَنْ أَنْالَ الْفَرَحَ مَا عِشْتُ . وَلَيْسَ مُلْكِي بِبَاقٍ عَلَيَّ  
 إِلَى الْأَبَدِ . وَلَسْتُ بِالمُصِيبِ سِوَالِي فِي مُلْكِي . وَإِنِّي لَزَاهِدٌ  
 فِي الْحَيَاةِ إِذَا لَمْ أَرَ إِيرَاخْتَ . وَكَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ بِمُلْكِي  
 إِذَا هَلَكَ وَزِيرِي إِيلَاذُ ؟ وَكَيْفَ أَضْبِطُ أَمْرِي إِذَا هَلَكَ فِئِي  
 الأَبْيَضُ وَفَرَسِي الجَوَادُ ؟ وَكَيْفَ أَدْعَى مَلِكًا وَقَدْ قَتَلْتُ  
 مَنْ أَشَارَ الْبَرَاهِمَةَ بِقَتْلِهِ ؟ وَمَا أَصْنَعُ بِالدُّنْيَا بَعْدَهُمْ ؟ ثُمَّ إِنَّ  
 الْحَدِيثَ فَشَا فِي الأَرْضِ بِحُزْنِ الْمَلِكِ وَهَمِّهِ . فَلَمَّا رَأَى

إِيلَادُ مَا نَالَ الْمَلِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ فَكَرَّ بِحِكْمَتِهِ وَنَظَرَ وَقَالَ :  
 مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْتَقْبِلَ الْمَلِكَ فَاسْأَلَهُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ  
 نَالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُونِي . ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى إِيْرَاخَتْ فَقَالَ :  
 إِنِّي مُنْذُ خَدَمْتُ الْمَلِكَ إِلَى الْآنَ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا إِلَّا بِمَشُورَتِي  
 وَرَأْيِي . وَأَرَاهُ يَكْتُمُ عَنِّي أَمْرًا لَا أَعْلَمُ مَا هُوَ . وَلَا أَرَاهُ  
 يُظْهِرُ مِنْهُ شَيْئًا . وَإِنِّي رَأَيْتُهُ خَالِيًا مَعَ جَمَاعَةِ الْبَرَهْمِيِّينَ  
 مُنْذُ لَيَالٍ . وَقَدْ احْتَجَبَ عَنَّا فِيهَا . وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يَكُونَ  
 قَدْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ . فَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يُسِيرُوا  
 عَلَيْهِ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ السُّوءُ . فَقُومِي وَادْخُلِي  
 عَلَيْهِ فَاسْأَلِيهِ عَنْ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ . وَأَخْبِرِينِي بِمَا هُوَ عَلَيْهِ  
 وَأَعْلِينِي : فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ . فَلَعَلَّ الْبَرَهْمِيِّينَ  
 قَدْ زَيْنُوا لَهُ أَمْرًا أَوْ حَمَلُوهُ عَلَى خُطَّةٍ قَبِيحَةٍ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِنْ  
 خُلُقِ الْمَلِكِ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا . وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ صَغِيرٌ  
 الْأُمُورِ وَكَبِيرُهَا . فَقَالَتْ إِيْرَاخَتْ : إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَلِكِ  
 بَعْضُ الْعِتَابِ فَلَسْتُ بِدَاخِلَةٍ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ . فَقَالَ لَهَا  
 إِيلَادُ : لَا تَحْمِلِي عَلَيْهِ الْحَقْدَ فِي مِثْلِ هَذَا . وَلَا يَخْطُرَنَّ ذَلِكَ

عَلَى بَالِكَ فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى الدُّخُوبِ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاكَ . وَقَدْ سَمِعْتَهُ  
 كَثِيرًا يَقُولُ : مَا اشْتَدَّ غَمِّي وَدَخَلْتُ عَلَى إِيرَاخْتِ إِلَّا سُرِّي  
 عَنِّي ، فَقُومِي إِلَيْهِ وَاصْفَحِي عَنْهُ . وَكَلِمِيهِ بِمَا تَعْلَمِينَ أَنَّهُ  
 تَطِيبُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَذْهَبُ الَّذِي يَجِدُهُ . وَأَعْلِمِيْنِي بِمَا يَكُونُ  
 جَوَابُهُ : فَإِنَّهُ لَنَا وَلِأَهْلِ الْمَمْلَكَةِ أَعْظَمُ الرَّاحَةِ . فَانْطَلَقْتُ  
 إِيرَاخْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى الْمَلِكِ فَجَلَسْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ . فَقَالَتْ :  
 مَا الَّذِي بِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُحْمُودُ ؟ وَمَا الَّذِي سَمِعْتَ مِنَ الْبِرَاهِمَةِ ؟  
 فَإِنِّي أَرَاكَ مُحْزُونًا . فَأَعْلِمِيْنِي مَا بِكَ ، فَقَدْ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ  
 مَعَكَ وَنُوَاسِيكَ بِأَنْفُسِنَا . فَقَالَ الْمَلِكُ : أَيُّهَا السَّيِّدَةُ لَا تَسْأَلِيْنِي  
 عَنْ أَمْرِي فَتَزِيدِي غَمًّا وَحُزْنًا : فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلِيْنِي  
 عَنْهُ . قَالَتْ : أَوْ قَدْ نَزَلْتُ عِنْدَكَ مَنْزِلَةً مَنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا ؟  
 إِنَّمَا أَحْمَدُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ النَّازِلَةُ كَانَ لِنَفْسِهِ  
 أَشَدَّ ضَبْطًا ، وَأَكْثَرَهُمْ اسْتِمَاعًا مِنْ أَهْلِ النَّصِيحِ حَتَّى يَنْجُو مِنْ  
 تِلْكَ النَّازِلَةِ بِالْحَيَلَةِ وَالْعَقْلِ وَالْبَحْثِ وَالْمُشَاوَرَةِ . فَعَظِيمُ  
 الذَّنْبِ لَا يَقْنَطُ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَلَا تُدْخِلَنَّ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْ الْهَمِّ  
 وَالْحُزَنِ . فَإِنَّهُمَا لَا يَرُدَّانِ شَيْئًا مَقْضِيًّا . إِلَّا أَنَّهُمَا يُخْلِلَانِ



الجِسمَ وَيَسْفِيَانِ الْعَدُوَّ . قَالَ لَهَا الْمَلِكُ : لَا تَسْأَلِينِي عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ شَقَقْتِ عَلَيَّ <sup>(١)</sup> . وَالَّذِي تَسْأَلِينَنِي عَنْهُ لَا خَيْرَ فِيهِ : لِأَنَّ عَاقِبَتَهُ هَلَاكِي وَهَلَاكُكَ وَهَلَاكُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي وَمَنْ هُوَ عَدِيلُ نَفْسِي . وَذَلِكَ أَنَّ الْبِرَاهِمَةَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ قَتْلِكَ وَقَتْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَوَدَّتِي . وَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَكُمْ . وَهَلْ أَحَدٌ يَسْمَعُ بِهَذَا إِلَّا اعْتَرَاهُ الْحُزْنُ ؟

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ إِيرَاخْتُ بَجَرَعَتْ . وَمَنَعَهَا عَقْلُهَا أَنْ تُظْهِرَ لِلْمَلِكِ بَجْرَعًا . فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَجْزَعُ فَتَحْزَنُ لَكَ الْفِدَاءُ . وَلَكَ فِي سِوَايَ وَمِثْلِي مِنَ الْجَوَارِي مَا تَقْرِبُهُ عَيْنُكَ . وَلَكِنِّي أَطْلُبُ مِنْكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، حَاجَةً يَجْمَدُنِي عَلَى طَلِبِهَا حُبِّي لَكَ وَإِثَارِي إِيَّاكَ . وَهِيَ نَصِيحَتِي لَكَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَتْ : أَطْلُبُ مِنْكَ إِلَّا تَشِقَ بَعْدَهَا بِأَحَدٍ مِنَ الْبِرَاهِمَةِ . وَلَا تُسَاوِرَهُمْ فِي أَمْرٍ حَتَّى تَنْتَشِبْتَ فِي أَمْرِكَ . ثُمَّ تُسَاوِرَ فِيهِ ثِقَاتِكَ مِرَارًا : فَإِنَّ الْقَتْلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَلَسْتَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُنْحِي مَزْ

(١) أرفقتني في المشقة .

قَتَلَتْ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ : إِذَا لَقِيتَ جَوْهَرًا لَا خَيْرَ فِيهِ  
 فَلَا تُلْقِهِ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُرِيَهُ مِنْ يَعْرِفُهُ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ  
 لَا تَعْرِفُ أَعْدَاءَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْبِرَاهِمَةَ لَا يُحِبُّونَكَ . وَقَدْ قَتَلَتْ  
 مِنْهُمْ بِالْأَمْسِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ  
 أَوْلِيكَ . وَلَعَمْرِي مَا كُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُخْبِرَهُمْ بِرُؤْيَاكَ ، وَلَا أَنْ  
 تُظَلِّعَهُمْ عَلَيْهَا . وَإِنَّمَا قَالُوا لَكَ مَا قَالُوا لِأَجْلِ الْحِقْدِ الَّذِي  
 بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ : لَعَلَّهُمْ يَهْلِكُونَكَ وَيُهْلِكُونَ أَحِبَّاءَكَ وَوَزِيرَكَ :  
 فَيَبْلُغُوا قَصْدَهُمْ مِنْكَ . فَأَظُنُّكَ لَوْ قَبِلْتَ مِنْهُمْ فَقَتَلْتَ مَنْ  
 أَشَارُوا بِقَتْلِهِ ظَفَرُوا بِكَ وَغَابُوكَ عَلَى مُلْكِكَ ، فَيَعُودُ الْمَلِكُ  
 إِلَيْهِمْ كَمَا كَانَ . فَاذْطَلِقْ إِلَى كَبَّارِ يُونِ الْحَكِيمِ ، فَهُوَ عَالِمٌ فِطْنٍ ،  
 فَأَخْبِرْهُ عَمَّا رَأَيْتَ فِي رُؤْيَاكَ وَاسْأَلْهُ عَنْ وَجْهِهَا وَتَأْوِيلِهَا .  
 فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ سُرِّيَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ الْغَمِّ .  
 فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأَسْرَجَ فَرَكِبَهُ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى كَبَّارِ يُونِ الْحَكِيمِ .  
 فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَجَدَ لَهُ ، وَقَامَ مُطَاطِئًا  
 الرَّاسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : مَا بَالُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ وَمَا لِي

أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ ثَمَانِيَةَ  
 أَحْلَامٍ فَقَصَصْتُهَا عَلَى الْبَرَاهِمَةِ . وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ  
 ذَلِكَ عَظِيمٌ أَمْرٌ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْ تَغْيِيرِهِمْ لِرُؤْيَايَ . وَأَخَشَى أَنْ  
 يُغْضَبَ مِنِّي مُلْكِي أَوْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : إِنْ  
 شِئْتَ فَاقْضُ رُؤْيَاكَ عَلَى . فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الْمَلِكُ رُؤْيَاهُ .  
 قَالَ : لَا يَحْزُنُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هَذَا الْأَمْرُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ : أَمَّا  
 السَّمَكَتَانِ الْحَمْرَاوَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا قَائِمَتَيْنِ عَلَى أذْنَابِهِمَا  
 فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكِ نَهَاوَنْدَ بَعْدِيَّةٍ فِيهَا عِقْدَانِ مِنَ الدَّرِّ  
 وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ ، قِيمَتُهُمَا أَرْبَعَةُ آلَافِ رِطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَيَقُومُ  
 بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَمَّا الْوَزْتَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا طَارَتَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ  
 فَوَقَعَتَا بَيْنَ يَدَيْكَ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ بَلَخِجِ فَرَسَانِ لَيْسَ عَلَى  
 الْأَرْضِ مِثْلَهُمَا فَيَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَمَّا الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتَهَا  
 تَدِبُّ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ صَنِجِينَ مِنْ  
 يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَيْفٍ خَالِصِ الْحَدِيدِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ .  
 وَأَمَّا الدَّمُ الَّذِي رَأَيْتَ كَأَنَّهُ خُضِبَ بِهِ جَسَدُكَ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ  
 مَلِكِ كَازُرُونَ مِنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِلِبَاسٍ مُعْجِبٍ يُسَمَّى حُلَّةَ

أَرْجَوَانٍ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ . وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ غَسَلِكَ جِسْمَكَ  
 بِالمَاءِ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ رَهْزِينٍ مِنْ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْكَ  
 بِثِيَابٍ كَثَانٍ مِنْ لِبَاسِ المُلُوكِ . وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ أَنَّكَ  
 عَلَى جَبَلٍ أبيضٍ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ كِيدُورٍ مِنْ يَوْمٍ بَيْنَ  
 يَدَيْكَ بِفِيْلٍ أبيضٍ لَا تَلْحَقُهُ الخَيْلُ . وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ عَلَى رَأْسِكَ  
 شَبِيهَاً بِالنَّارِ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ أَرْزَنٍ مِنْ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْكَ  
 بِإِكْلِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ . وَأَمَّا الطَّيْرُ الَّذِي  
 رَأَيْتَهُ ضَرَبَ رَأْسَكَ بِمِنْقَارِهِ : فَلَسْتُ مُفَسِّرًا ذَلِكَ اليَوْمِ .  
 وَلَيْسَ بِضَارِكٍ ، فَلَا تَوَجَلَنَّ مِنْهُ . وَلَكِنْ فِيهِ بَعْضُ السُّخْطِ  
 وَالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ تُحِبُّهُ : فَهَذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ أَيُّهَا المَلِكُ ، وَأَمَّا  
 هَذِهِ الرُّسُلُ وَالبُرْدُ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَكَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَمِيعًا فَيَقُومُونَ  
 بَيْنَ يَدَيْكَ . فَلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ ذَلِكَ سَجَدَ لِجَبَّارِيُونَ وَرَجَعَ إِلَى  
 مَنْزِلِهِ .

(١) إخراج هذه الكيلة على وزن فاعيل أو فاعلين كقطمير وغسلين ليكون لها نظير في العربية هو الذي دعاه إلى ضبطها هكذا ومثلها صنجين .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَاءَتْ الْبَشَائِرُ بِقُدُومِ الرُّسُلِ نَخْرَجَ  
 الْمَلِكُ بِمَجْلِسٍ عَلَى التَّخْتِ ، وَأَذِنَ لِلْأَشْرَافِ ، وَجَاءَتْهُ الْهَدَايَا  
 كَمَا أَخْبَرَهُ كَبَّارِيُّونَ الْحَكِيمُ . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ ذَلِكَ اشْتَدَّ عَجْبُهُ  
 وَفَرَحُهُ مِنْ عِلْمِ كَبَّارِيِّونَ . وَقَالَ : مَا وَفَّقْتُ حِينَ قَصَصْتُ  
 رُؤْيَايَ عَلَى الْبَرَاهِمَةِ فَأَمْرُونِي بِمَا أَمْرُونِي بِهِ . وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ  
 تَعَالَى تَدَارَكَنِي بِرَحْمَتِهِ لَكُنْتُ قَدْ هَلَكْتُ وَأَهْلَكْتُ ، وَكَذَلِكَ  
 لَا يَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَسْمَعَ إِلَّا مِنَ الْأَخِلَاءِ ذَوِي الْعُقُولِ .  
 وَإِنَّ إِيرَاخْتَ أَشَارَتْ بِالْخَيْرِ فَقَبِلْتُهُ . وَرَأَيْتُ بِهِ النَّجَاحَ . فَضَعُوا  
 الْهَدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهَا لِتَأْخُذَ مِنْهَا مَا اخْتَارَتْ . ثُمَّ قَالَ لِإِيلَادَ :  
 خُذِ الْإِثْكَيلَ وَالثِّيَابَ وَاحْمِلْهَا وَاتَّبِعْنِي بِهَا إِلَى مَجْلِسِ النِّسَاءِ .  
 ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَعَا إِيرَاخْتَ وَحُورَقْنَاهُ أَكْرَمَ نِسَائِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ .  
 فَقَالَ لِإِيلَادَ : ضِعِ الْكُسُوءَ وَالْإِثْكَيلَ بَيْنَ يَدَيِ إِيرَاخْتَ  
 لِتَأْخُذَ أَيَّهَا شَاءَتْ . فَوَضَعَتِ الْهَدَايَا بَيْنَ يَدَيِ إِيرَاخْتَ .  
 فَأَخَذَتْ مِنْهَا الْإِثْكَيلَ ، وَأَخَذَتْ حُورَقْنَاهُ كُسُوءًا مِنْ أَنْفَرِ  
 الثِّيَابِ وَأَحْسَنِيهَا . وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَيْلَةً عِنْدَ

إِيْرَاخْتِ وَلَيْلَةٌ عِنْدَ حُورْقَنَاهُ . وَكَانَ مِنْ سُنَّةِ الْمَلِكِ أَنْ تَهِي لَهُ  
 الْمِرَاةُ الَّتِي يَكُونُ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا أُرْزَا بِجَلَاوَةٍ فَتُطْعِمُهُ إِيَّاهُ .  
 فَأَتَى الْمَلِكُ إِيْرَاخْتِ فِي نَوْبَتِهَا . وَقَدْ صَنَعَتْ لَهُ أُرْزَا . فَدَخَلَتْ  
 عَلَيْهِ بِالصَّحْفَةِ وَالْإِكْلِيلِ عَلَى رَأْسِهَا . فَعَلِمَتْ حُورْقَنَاهُ بِذَلِكَ  
 فَعَارَتْ مِنْ إِيْرَاخْتِ . فَلَبِستِ تِلْكَ الْكُسُوَّةَ . وَمَرَّتْ بَيْنَ  
 يَدَيْ الْمَلِكِ وَتِلْكَ الثِّيَابِ تُضِيءُ عَلَيْهَا مَعَ نُورِ وَجْهِهَا  
 كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ . فَلَمَّا رَأَاهَا الْمَلِكُ أَعْجَبْتَهُ . ثُمَّ انْتَفَتَ  
 إِلَى إِيْرَاخْتِ فَقَالَ : إِنَّكَ جَاهِلَةٌ حِينَ أَخَذْتِ الْإِكْلِيلَ وَتَرَكْتِ  
 الْكُسُوَّةَ الَّتِي لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِثْلَهَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ إِيْرَاخْتُ  
 مَدَحَ الْمَلِكِ لِحُورْقَنَاهُ وَثَنَاءَهُ عَلَيْهَا وَتَجْهِيلَهَا هِيَ وَذَمَّ رَأْيَهَا  
 أَخَذَهَا مِنْ ذَلِكَ الْغَيْرَةِ وَالغَيْظِ . فَضْرَبَتْ بِالصَّحْفَةِ رَأْسَ الْمَلِكِ .  
 فَسَالَ الْأُرْزُ عَلَى وَجْهِهِ . فَقَامَ الْمَلِكُ مِنْ مَكَانِهِ وَدَعَا بِإِيْلَادَ .  
 فَقَالَ لَهُ : أَلَا تَرَى ، وَأَنَا مَلِكُ الْعَالَمِ ، كَيْفَ حَقَرْتَنِي هَذِهِ  
 الْجَاهِلَةُ ، وَفَعَلْتِ بِي مَا تَرَى ؟ فَأَنْطَلِقِ بِهَا فَأَقْتُلْهَا وَلَا  
 تَرْحَمْهَا . فَخَرَجَ إِيْلَادُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَا أَقْتُلُهَا حَتَّى  
 يَسْكُنَ عَنْهُ الْغَضَبُ . فَالْمِرَاةُ عَاقِلَةٌ سَدِيدَةٌ الرَّأْيِ مِنَ الْمَلِكَاتِ

الَّتِي لَيْسَ لَهَا عَدِيلٌ فِي النِّسَاءِ ، وَلَيْسَ الْمَلِكُ بِصَابِرٍ عَنْهَا .  
 وَقَدْ خَلَصْتَهُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَعَمِلْتَ أَعْمَالًا صَالِحَةً . وَرَجَاؤُنَا  
 فِيهَا عَظِيمٌ . وَلَسْتُ آمَنُهُ أَنْ يَقُولَ : لِمَ لَمْ تُؤَخِّرْ قَتْلَهَا حَتَّى  
 تُرَاجِعَنِي ؟ فَلَسْتُ قَاتِلَهَا حَتَّى أَنْظُرَ رَأْيَ الْمَلِكِ فِيهَا ثَانِيَةً :  
 فَإِنْ رَأَيْتَهُ نَادِمًا حَزِينًا عَلَى مَا صَنَعَ جِئْتُ بِهَا حَيَّةً . وَكُنْتُ قَدْ  
 عَمِلْتُ عَمَلًا عَظِيمًا . وَأَنْجَيْتُ إِيرَاخْتَ مِنَ الْقَتْلِ . وَحَفَظْتُ  
 قَلْبَ الْمَلِكِ . وَأَتَّخَذْتُ عِنْدَ عَامَّةِ النَّاسِ بِذَلِكَ يَدًا . وَإِنْ رَأَيْتَهُ فَرِحًا  
 مُسْتَرِيحًا مَصُوبًا رَأَيْتُهُ فِي الذِّى فَعَلَهُ وَأَمَرَ بِهِ فَقَتْلُهَا لَا يَفُوتُ .

ثُمَّ أَنْطَلَقَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَوَكَّلَ بِهَا خَادِمًا مِنْ أَمَنَانِهِ ، وَأَمَرَهُ  
 بِخِدْمَتِهَا وَحِرَاسَتِهَا ، حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِ الْمَلِكِ .  
 ثُمَّ خَضَبَ سَيْفَهُ بِالدِّمِ وَدَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ كَالْكَيْبِ الْحَزِينِ .  
 فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ أَمْرَكَ فِي إِيرَاخْتَ . فَلَمْ  
 يَلْبِثِ الْمَلِكُ أَنْ سَكَنَ عَنْهُ الْغَضَبُ ، وَذَكَرَ جَمَالَ إِيرَاخْتَ  
 وَحُسْنَهَا . وَاشْتَدَّ أَسْفُهُ عَلَيْهَا . وَجَعَلَ يُعْزِي نَفْسَهُ عَنْهَا .  
 وَيَجْلِدُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَسْتَحِي أَنْ يَسْأَلَ إِيلَادَ : أَحَقًّا أَمْضَى

أَمْرُهُ فِيهَا أَمْ لَا ؟ وَرَجَا - لِمَا عَرَفَ مِنْ عَقْلِ إِيْلَاذَ -  
 أَلَّا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ . وَنَظَرَ إِلَيْهِ إِيْلَاذُ بِفَضْلِ عَقْلِهِ فَعَلِمَ  
 الَّذِي بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَا تَهَمَّ وَلَا تَحْزَنْ أَيُّهَا الْمَلِكُ : فَإِنَّهُ لَيْسَ  
 فِي الْهَمِّ وَالْحُزْنِ مَنَفَعَةٌ . وَلَكِنَّهُمَا يُنْجِلَانِ الْجِسْمَ وَيُفْسِدَانِهِ .  
 فَاصْبِرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَلَى مَا لَسْتَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ أَبَدًا . وَإِنْ أَحَبَّ  
 الْمَلِكُ حَدِيثَهُ بِحَدِيثِ يُسْلِيهِ . قَالَ : حَدَّثَنِي .

قَالَ إِيْلَاذُ : زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرَّا وَأُنْثَى مَلَأَ عُشَّهُمَا مِنْ  
 الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ . فَقَالَ الذَّكَرُ لِلْأُنْثَى : إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي الصَّحَارَى  
 مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هَاهُنَا شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ  
 وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَارَى شَيْءٌ رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ .  
 فَرَضِيَتْ الْأُنْثَى بِذَلِكَ . وَقَالَتْ لَهُ : نَعَمْ مَا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذَلِكَ  
 الْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا . فَانْطَلَقَ الذَّكَرُ فَغَابَ .  
 فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ يَبِسَ الْحَبُّ وَانْضَمَرَ <sup>(١)</sup> . فَلَمَّا رَجَعَ الذَّكَرُ رَأَى  
 الْحَبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ لَهَا : أَلَيْسَ كَمَا أَجْمَعْنَا رَأَيْنَا عَلَى الْأَ  
 نَأْكُلُ مِنْهُ شَيْئًا ؟ فَلِمَ أَكَلْتِهِ ؟ فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ

(١) ذهب ماؤه ولم يذكروا الافعال من ضمير إلا في هذا المعنى .



شَيْئًا . وَجَعَلَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا . وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا  
 حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا جَاءَتِ الْأَمْطَارُ وَدَخَلَ الشِّتَاءُ تَنَدَّى الْحَبُّ  
 وَأَمْتَلَأَ الْعُشُّ كَمَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى الذِّكْرُ ذَلِكَ نَدِمَ . ثُمَّ اضْطَجَعَ  
 إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ : مَا يَنْفَعُنِي الْحَبُّ وَالْعَيْشُ بَعْدَكَ إِذَا  
 طَلَبْتِكَ فَلَمْ أَجِدْكَ ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكَ ، وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ  
 وَعَلَيْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكَ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارِكِ مَا فَاتَ .  
 ثُمَّ اسْتَمَرَ عَلَى حُزْنِهِ فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَبًا حَتَّى مَاتَ  
 إِلَى جَانِبِهَا . وَالْعَاقِلُ لَا يَعْجَلُ فِي الْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ ،  
 وَلَا سِيمَا مَنْ يَخَافُ النَّدَامَةَ ، كَمَا نَدِمَ الْحَمَامُ الذِّكْرُ . وَقَدْ سَمِعْتُ  
 أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْجَبَلِ وَعَلَى رَأْسِهِ كَارَةٌ<sup>(١)</sup> مِنَ الْعَدَسِ  
 فَوَضَعَ الْكَارَةَ عَنْ ظَهْرِهِ لِيَسْتَرِيحَ . فَنَزَلَ قِرْدٌ مِنْ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ  
 مِلءَ كَفِّهِ مِنَ الْعَدَسِ وَصَعِدَ إِلَى الشَّجَرَةِ . فَسَقَطَتْ مِنْ  
 يَدِهِ حَبَّةٌ فَنَزَلَ فِي طَلِبِهَا فَلَمْ يَجِدْهَا . وَانْتَثَرَ مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنَ  
 الْعَدَسِ أَجْمَعُ . وَأَنْتِ أَيْضًا أَيُّهَا الْمَلِكُ عِنْدَكَ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ  
 أَمْرًا تَدْعُ أَنْ تَلْهُو بِهِنَّ وَتَطْلُبُ الَّتِي لَا تَجِدُ ! فَلَمَّا سَمِعَ

الْمَلِكُ ذَلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ إِيْرَاخْتُ قَدْ هَلَكْتَ . فَقَالَ  
 لِإِيلَاذَ : لِمَ لَا تَأْتِيَتْ وَتَثَبْتِ ؟ بَلْ أَسْرَعْتَ عِنْدَ سَمَاعِ كَلِمَةِ  
 وَاحِدَةٍ فَتَعَلَّقْتَ بِهَا ، وَفَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ سَاعَتِكَ ؟  
 قَالَ إِيلَاذُ : إِنَّ الَّذِي قَوْلُهُ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي  
 لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَا اخْتِلَافَ لِقَوْلِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : لَقَدْ  
 أَفْسَدْتَ أَمْرِي وَشَدَّدْتَ حُزْنِي بِقَتْلِ إِيْرَاخْتَ . قَالَ إِيلَاذُ :  
 اثْنَانِ يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا : الَّذِي يَعْمَلُ الْإِثْمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ،  
 وَالَّذِي لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ : لِأَنَّ فَرَحَهُمَا فِي الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا  
 قَلِيلٌ . وَنَدَامَتُهُمَا إِذْ يُعَايِنَانِ الْجَزَاءَ طَوِيلَةً لَا يُسْتَطَاعُ  
 إِحْصَاؤُهَا . قَالَ الْمَلِكُ : لَئِنْ رَأَيْتُ إِيْرَاخْتَ حَيًّا لَا أَحْزَنُ عَلَى  
 شَيْءٍ أَبَدًا . قَالَ إِيلَاذُ : اثْنَانِ لَا يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا :  
 الْمُجْتَهِدُ فِي الْبِرِّ كُلِّ يَوْمٍ ، وَالَّذِي لَمْ يَأْتِمْ قَطُّ . قَالَ الْمَلِكُ :  
 مَا أَنَا بِنَاضِرٍ إِلَى إِيْرَاخْتَ أَكْثَرِمًا نَظَرْتُ . قَالَ إِيلَاذُ : اثْنَانِ  
 لَا يَنْظُرَانِ : الْأَعْمَى وَالَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ . وَكَمَا أَنَّ الْأَعْمَى لَا يَنْظُرُ  
 السَّمَاءَ وَبُجُومَهَا وَأَرْضَهَا وَلَا يَنْظُرُ الْقُرْبَ وَالْبُعْدَ ، كَذَلِكَ الَّذِي  
 لَا عَقْلَ لَهُ لَا يَعْرِفُ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيحِ وَلَا الْمُحْسِنَ مِنَ الْمُسِيءِ .  
 قَالَ الْمَلِكُ : لَوْ رَأَيْتُ إِيْرَاخْتَ لَأَشْتَدَّ فَرَحِي . قَالَ إِيلَاذُ : اثْنَانِ

هُمَا الْفَرِحَانُ : الْبَصِيرُ وَالْعَالِمُ . فَكَمَا أَنَّ الْبَصِيرَ يُبْصِرُ أُمُورَ الْعَالِمِ  
وَمَا فِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، فَكَذَلِكَ الْعَالِمُ  
يُبْصِرُ الْبِرَّ وَالْإِثْمَ ، وَيَعْرِفُ عَمَلَ الْآخِرَةِ ، وَيَتَّبِعُنْ لَهُ نَجَاتَهُ ،  
وَيَهْتَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . قَالَ الْمَلِكُ : يَنْبَغِي لَنَا أَنْ  
نَتَبَاعَدَ مِنْكَ يَا إِيْلَادُ وَنَأْخُذَ الْحَذَرَ وَنَلْزِمَ الْإِتْقَاءَ . قَالَ إِيْلَادُ :  
إِثْنَانِ يَنْبَغِي أَنْ يُتَبَاعَدَ مِنْهُمَا : الَّذِي يَقُولُ لَا بِرَّ وَلَا إِثْمَ وَلَا  
عِقَابَ وَلَا ثَوَابَ وَلَا شَيْءَ عَلَى مِمَّا أَنَا فِيهِ ، وَالَّذِي لَا يَكَادُ  
يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِمَحْرَمٍ ، وَلَا أُذُنُهُ عَنِ اسْتِمَاعِ  
السُّوءِ ، وَلَا قَلْبُهُ عَمَّا تَهْمُ بِهِ نَفْسُهُ مِنَ الْإِثْمِ وَالْحَرِصِ .  
قَالَ الْمَلِكُ : صَارَتْ يَدِي مِنْ إِيْرَاخْتِ صِفْرًا . قَالَ إِيْلَادُ :  
ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ أَصْفَرُ : النَّهْرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ ، وَالْأَرْضُ  
الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَلِكٌ ، وَالْمَرَاةُ<sup>(١)</sup> الَّتِي لَيْسَ لَهَا بَعْلٌ . قَالَ الْمَلِكُ :  
إِنَّكَ يَا إِيْلَادُ لَتُلْقِي بِالْجَوَابِ . قَالَ إِيْلَادُ : ثَلَاثَةٌ يُلْقُونَ  
بِالْجَوَابِ : الْمَلِكُ الَّذِي يُعْطَى وَيَقْسِمُ مِنْ خَزَائِنِهِ ، وَالْمَرَاةُ  
الْمُهْدَاةُ إِلَى مَنْ تَهْوَى مِنْ ذَوِي الْحَسَبِ ، وَالرَّجُلُ الْعَالِمُ  
الْمَوْفِقُ لِلْخَيْرِ .

(١) تُحَاجِي بِهِ أَوْ تُوْحِي بِهِ وَتُوِي إِلَيْهِ .

ثُمَّ إِنَّ إِيْلَادَ لَمَّا رَأَى الْمَلِكَ اشْتَدَّ بِهِ الْأَمْرُ، قَالَ : أَيُّهَا  
 الْمَلِكُ ، إِنَّ إِيْرَاخْتَ بِالْحَيَاةِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ اشْتَدَّ  
 فَرَحُهُ . وَقَالَ يَا إِيْلَادُ : إِنَّمَا مَنَعَنِي مِنَ الْغَضَبِ مَا أُعْرِفُ  
 مِنْ نَصِيحَتِكَ وَصِدْقِ حَدِيثِكَ . وَكُنْتُ أَرْجُو لِمَعْرِفَتِي بِعِلْمِكَ  
 أَلَّا تُكُونَ قَدْ قَتَلْتَ إِيْرَاخْتَ . فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ أَتَتْ عَظِيمًا  
 وَأَغْلَظَتْ فِي الْقَوْلِ فَلَمْ تَأْتِهِ عَدَاوَةٌ وَلَا طَلَبَ مَضْرَّةٍ ، وَلَكِنَّهَا  
 فَعَلَتْ ذَلِكَ لِلغَيْرَةِ . وَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُعْرِضَ عَنْ ذَلِكَ  
 وَأَحْتَمِلُهُ . وَلَكِنَّكَ يَا إِيْلَادُ أَرَدْتَ أَنْ تُخْتَبِرَنِي وَتَتْرُكَنِي فِي شِكِّ  
 مِنْ أَمْرِهَا . وَقَدْ أَخَذْتُ عِنْدِي أَفْضَلَ الْأَيْدِي . وَأَنَا لَكَ  
 شَاكِرٌ . فَأَنْطَلِقْ فَأَتِنِي بِهَا . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ فَأَتَى إِيْرَاخْتَ  
 وَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَيَّنَ فَفَعَلَتْ ذَلِكَ . وَأَنْطَلَقَ بِهَا إِلَى الْمَلِكِ .  
 فَلَمَّا دَخَلَتْ سَجَدَتْ لَهُ . ثُمَّ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَتْ : أَحْمَدُ  
 اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ أَحْمَدُ الْمَلِكَ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيَّ : قَدْ أَذْنَبْتُ الذَّنْبَ  
 الْعَظِيمَ الَّذِي لَمْ أَكُنْ لِلْبَقَاءِ أَهْلًا بَعْدَهُ ، فَوَسِعَهُ حِلْمُهُ وَكَرَمَ طَبْعُهُ  
 وَرَأْفَتُهُ ، ثُمَّ أَحْمَدُ إِيْلَادَ الَّذِي أَنْحَرَأَمْرِي ، وَأَنْجَانِي مِنَ الْهَلَكَةِ ،

لِعَلِمِهِ بِرَأْفَةِ الْمَلِكِ وَسَعَةِ حِلْمِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ وَوَفَاءِ  
عَهْدِهِ . وَقَالَ الْمَلِكُ لِإِيلَادَ : مَا أَعْظَمَ يَدَكَ عِنْدِي وَعِنْدَ  
إِيرَاخْتِ وَعِنْدَ الْعَامَّةِ : إِذْ قَدْ أَحْيَيْتَهَا بَعْدَ مَا أَمَرْتَ بِقَتْلِهَا :  
فَأَنْتَ الَّذِي وَهَبَهَا لِي الْيَوْمَ : فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ وَاثِقًا بِنَصِيحَتِكَ  
وَتَدْبِيرِكَ . وَقَدْ أَزْدَدْتَ الْيَوْمَ عِنْدِي كَرَامَةً وَتَعْظِيمًا . وَأَنْتَ  
مُحْكَمٌ فِي مَلِكِي تَفْعَلُ فِيهِ بِمَا تَرَى ، وَتَحْكُمُ عَلَيْهِ بِمَا تُرِيدُ .  
فَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ إِلَيْكَ وَوَثِقْتُ بِكَ . قَالَ إِيلَادُ : أَدَامَ اللَّهُ  
لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَلِكُ وَالسُّرُورَ . فَلَسْتُ بِمُحْمُودٍ عَلَى ذَلِكَ .  
فإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ . لَكِنْ حَاجَتِي أَلَّا يَعْجَلَ الْمَلِكُ فِي الْأَمْرِ  
الْحَسِيمِ الَّذِي يَنْدَمُ عَلَى فِعْلِهِ ، وَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْغَمَّ وَالْحَزْنَ ،  
وَلَا سِيمَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَلِكَةِ النَّاصِحَةِ الْمُسْتَفِقَّةِ الَّتِي لَا يُوجَدُ  
فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا : فَقَالَ الْمَلِكُ بِحَقِّي قُلْتَ يَا إِيلَادُ ، وَقَدْ  
قَبِلْتُ قَوْلَكَ ، وَلَسْتُ عَامِلًا بَعْدَهَا عَمَلًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ،  
فَضْلًا عَنِ مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي مَاسَلْتُ مِنْهُ ، إِلَّا بَعْدَ  
الْمُؤَامَرَةِ وَالنَّظَرِ وَالتَّرَدُّدِ إِلَى ذَوِي الْعُقُولِ وَمُشَاوَرَةِ أَهْلِ الْمَوَدَّةِ

وَالرَّأْيِ . ثُمَّ أَحْسَنَ الْمَلِكُ جَائِزَةَ إِيْلَاذَ ، وَمَكَّنَهُ مِنْ أَوْلِيكَ  
 الْبَرَاهِمَةِ الَّذِينَ أَشَارُوا بِقَتْلِ أَحْبَابِهِ ، فَأَطْلَقَ فِيهِمُ السَّيْفَ ،  
 وَقَرَّتْ عَيْنُ الْمَلِكِ وَعُيُونُ عُظَمَاءِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَحَمِدُوا اللَّهَ  
 وَأَثْنُوا عَلَى كِبَارِيُونَ بِسَعَةِ عِلْمِهِ وَفَضْلِ حِكْمَتِهِ : لِأَنَّهُ بَعَلِمِهِ  
 خَلَصَ الْمَلِكُ وَوَزِيرُهُ الصَّالِحَ وَأَمْرَأَتَهُ الصَّالِحَةَ .

( انقضى باب إيلاذ وبلاد و إيراخت )

## بَابُ اللَّبْوَةِ وَالْإِسْوَارِ وَالشَّغْبِرِ <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ :  
 فَأَضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنٍ مِنْ يَدَعُ ضَرَّ غَيْرِهِ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ لِمَا  
 يُصِيبُهُ مِنَ الضَّرِّ ، وَيَكُونُ لَهُ فِيمَا يَنْزِلُ بِهِ وَاعِظْ وَزَاجِرْ عَنِ  
 ارْتِكَابِ الظُّلْمِ وَالْعَدَاوَةِ لِغَيْرِهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ  
 عَلَى طَلَبِ مَا يَضُرُّ بِالنَّاسِ وَمَا يُسُوُّهُمْ إِلَّا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَهِ  
 وَسُوءِ النَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَقِلَّةِ الْعِلْمِ

(١) الأسدة وهي مهموزة وغير مهموزة . (٢) قائد الفرس .

بِمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ مِنْ حُلُولِ النُّقْمَةِ ؛ وَبِمَا يَلْزِمُهُمْ  
 مِنْ تَبِعَةِ مَا اكْتَسَبُوا مِمَّا لَا تُحِيطُ بِهِ الْعُقُولُ . وَإِنْ سَلِمَ بَعْضُهُمْ  
 مِنْ ضَرَرٍ بَعْضٍ بِمَنْيَةِ عَرَضَتْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَبِأَلْ  
 مَا صَنَعَ : فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَفْكَرْ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَأْمَنِ الْمَصَائِبَ ،  
 وَحَقِيقٌ إِلَّا يَسْلَمَ مِنَ الْمَعَاطِبِ . وَرُبَّمَا اتَّعَظَ الْجَاهِلُ وَاعْتَبَرَ  
 بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْمَضَرَّةِ مِنْ غَيْرِهِ ، فَارْتَدَعَ عَنْ أَنْ يَغْشَى أَحَدًا  
 بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَحَصَلَ لَهُ نَفْعٌ مَا كَفَّ عَنْهُ  
 مِنْ ضَرَرِهِ لِغَيْرِهِ فِي الْعَاقِبَةِ ؛ فَتَنْظِيرُ ذَلِكَ حَدِيثُ اللَّسْبُوءِ  
 وَالْإِسْوَارِ وَالشَّغْبَرِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ لَبُوءَةَ كَانَتْ فِي غَيْضَةٍ ، وَهِيَ  
 شِبْلَانٌ ؛ وَأَنَّهَا نَحَرَجَتْ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ وَخَلَفْتُهُمَا فِي كَهْفِهِمَا ؛  
 فَمَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَحَمَلَ عَلَيْهِمَا وَرَمَاهُمَا فَمَقَتَلَهُمَا ، وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا  
 فَأَحْتَقَبَهُمَا ، وَأَنْصَرَفَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ . فَلَمَّا رَأَتْ  
 مَا حَلَّ بِهِمَا مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ اضْطَرَبَتْ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَصَاحَتْ

وَضَجَّتْ . وَكَانَ إِلَى جَنْبِهَا شَعْبْرٌ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ صِيَّاحِهَا  
 قَالَ لَهَا : مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ ؟ وَمَا نَزَلَ بِكَ ؟ فَأَخْبِرْنِي بِهِ .  
 قَالَتِ اللَّبْوَةُ شِبْلَايَ مَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَقَتَلَهُمَا ، وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا  
 فَاحْتَقَبَهُمَا ؛ وَنَبَذَهُمَا بِالْعَرَاءِ <sup>(١)</sup> . قَالَ لَهَا الشَّعْبْرُ : لَا تَضْجِي  
 وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَعْلِي أَنَّ هَذَا الْإِسْوَارَ لَمْ يَأْتِ إِلَيْكَ  
 شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ كُنْتَ تَفْعَلِينَ بِغَيْرِكَ مِثْلَهُ ، وَتَأْتِينَ إِلَى غَيْرِ وَاحِدٍ  
 مِثْلَ ذَلِكَ ، مِمَّنْ كَانَ يَجِدُ بِحَمِيمِهِ وَمَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا تَجِدِينَ  
 بِشِبْلَيْكَ . فَاصْبِرِي عَلَى فِعْلِ غَيْرِكَ كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَلَى فِعْلِكَ :  
 فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ : كَمَا تَدِينُ تُدَانُ . وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَمَرَةٌ مِنَ الثَّوَابِ  
 وَالْعِقَابِ . وَهُمَا عَلَى قَدْرِهِ فِي الْكَثْرَةِ وَالْقِلَّةِ . كَالزَّرْعِ إِذَا  
 حَضَرَ الْحَصَادُ أُعْطِيَ عَلَى حَسَبِ بَذْرِهِ . قَالَتِ اللَّبْوَةُ : بَيْنَ لِي  
 مَا تَقُولُ ، وَأَفْصَحَ لِي عَنْ إِشَارَتِهِ . قَالَ الشَّعْبْرُ : كَمْ أَتَى لَكَ  
 مِنَ الْعُمُرِ ؟ قَالَتِ اللَّبْوَةُ : مِائَةٌ سَنَةٍ . قَالَ الشَّعْبْرُ : مَا كَانَ  
 قُوَّتِكَ ؟ قَالَتِ اللَّبْوَةُ : لَحْمُ الْوَحْشِ . قَالَ الشَّعْبْرُ : مَنْ كَانَ

(١) الفضاء لا يستر فيه شيء .



يُطْعِمُكَ إِيَّاهُ ؟ قَالَتِ اللَّبُوءَةُ : كُنْتُ أَصِيدُ الْوَحْشَ وَأَكُلُهُ .  
 قَالَ الشَّعْبِرُ : أَرَأَيْتِ الْوُحُوشَ الَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَ ، أَمَا كَانَ لَهَا  
 آبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ ؟ قَالَتْ : بَلَى . قَالَ الشَّعْبِرُ : فَمَا بَالِي لَا أَرَى  
 وَلَا أَسْمَعُ لِنِتِّكَ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ مِنَ الْجَزَعِ وَالضَّجِيحِ مَا أَرَى  
 وَأَسْمَعُ لَكَ ؟ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِكَ مَا نَزَلَ إِلَّا لِسُوءِ نَظَرِكَ  
 فِي الْعَوَاقِبِ وَقِلَّةِ تَفَكُّرِكَ فِيهَا ، وَجَهَالَتِكَ بِمَا يَرْجِعُ عَلَيْكَ  
 مِنْ ضُرِّهَا . فَلَمَّا سَمِعَتِ اللَّبُوءَةُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الشَّعْبِرِ عَرَفَتْ  
 أَنَّ ذَلِكَ بِمَا جَنَّتْ عَلَى نَفْسِهَا ، وَأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ جَوْرًا وَظُلْمًا ،  
 فَتَرَكَتِ الصَّيْدَ ، وَانصَرَفَتْ عَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ إِلَى الثَّمَارِ وَالنُّسْكِ  
 وَالْعِبَادَةِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَرَشَانٌ <sup>(١)</sup> (كَانَ صَاحِبَ تِلْكَ الْغَيْضَةِ  
 وَكَانَ عَيْشُهُ مِنَ الثَّمَارِ) قَالَ لَهَا : قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّجَرَ  
 عَامِنًا هَذَا لَمْ يَحْمِلْ : لِقِلَّةِ الْمَاءِ ، فَلَمَّا أَبْصَرْتُكَ تَأْكُلِينَهَا ،  
 وَأَنْتِ آكِلَةُ اللَّحْمِ ، فَتَرَكَتِ رِزْقَكَ وَطَعَامَكَ وَمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ ،

(١) طائر شبه الحمامة والأنثى ورشانة وجمعه ورشان ووراشين .

وَتَحَوَّلَتْ إِلَى رِزْقِ غَيْرِكَ فَأَنْتَقِصْنِيهِ ، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فِيهِ —  
 عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَ الْعَامَ أَثْمَرَتْ كَمَا كَانَتْ تُثْمِرُ قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَإِنَّمَا  
 أَتَتْ قِلَّةُ الثَّمَرِ مِنْ جِهَتِكَ . فَوَيْلٌ لِلشَّجَرِ وَوَيْلٌ لِلثَّمَارِ وَوَيْلٌ  
 لِمَنْ عَيْشُهُ مِنْهَا ! مَا أَسْرَعَ هَلَاكُهُمْ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ ،  
 وَغَلَبَهُمْ عَلَيْهَا مَنْ لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَظٌّ وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا لِأَكْلِهَا !  
 فَلَمَّا سَمِعَتْ اللَّبُوءَةُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْوَرِشَانِ تَرَكَتْ أَكْلَ الثَّمَارِ  
 وَأَقْبَلَتْ عَلَى أَكْلِ الْحَشِيشِ وَالْعِبَادَةِ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ  
 هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْجَاهِلَ رُبَّمَا أَنْصَرَفَ بِضُرِّ يُصِيبُهُ عَنْ ضُرِّ  
 النَّاسِ ، كَاللَّبُوءَةِ الَّتِي أَنْصَرَفَتْ لِمَا لَقِيَتْ فِي شِبَالِهَا عَنْ أَكْلِ  
 اللَّحْمِ ثُمَّ عَنْ أَكْلِ الثَّمَارِ بِقَوْلِ الْوَرِشَانِ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى النَّسِكِ  
 وَالْعِبَادَةِ . وَالنَّاسُ أَحَقُّ بِحُسْنِ النَّظَرِ فِي ذَلِكَ : فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ  
 مَا لَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ لَا تَصْنَعُهُ لِغَيْرِكَ : فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْعَدَلَ :  
 وَفِي الْعَدْلِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَا النَّاسِ .

## بَابُ النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا  
 الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الَّذِي يَدْعُ صُنْعَهُ الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ  
 وَيُشَاكِلُهُ ، وَيَطْلُبُ غَيْرَهُ فَلَا يَدْرِكُهُ : فَيَبْقَى حَيْرَانَ مُتَرَدِّدًا .  
 قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ الْكَرْخِ نَاسِكٌ عَابِدٌ  
 مُجْتَهِدٌ . فَنَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَدَعَا النَّاسِكُ لِضَيْفِهِ بِتَمْرٍ :  
 لِيُطْرِفَهُ بِهِ . فَأَكَلَا مِنْهُ جَمِيعًا . ثُمَّ قَالَ الضَّيْفُ : مَا أَحْلَى  
 هَذَا التَّمْرَ وَأَطْيَبَهُ ! فَلَيْسَ هُوَ فِي بِلَادِي الَّتِي أَسْكُنُهَا ،  
 وَلَيْتَهُ كَانَ فِيهَا ! ثُمَّ قَالَ : أَرَى أَنَّ تُسَاعِدَنِي عَلَى أَنْ أَخْذَ  
 مِنْهُ مَا أَغْرِسُهُ فِي أَرْضِنَا : فَإِنِّي لَسْتُ عَارِفًا بِثَمَارِ أَرْضِكُمْ هَذِهِ  
 وَلَا بِمَوَاضِعِهَا . فَقَالَ لَهُ النَّاسِكُ : لَيْسَ لَكَ فِي ذَلِكَ رَاحَةٌ :  
 فَإِنَّ ذَلِكَ يَثْقُلُ عَلَيْكَ . وَلَعَلَّ ذَلِكَ لَا يُوَافِقُ أَرْضَكُمْ ، مَعَ أَنَّ  
 بِلَادَكُمْ كَثِيرَةٌ الْأَثْمَارِ فَمَا حَاجَتُهَا مَعَ كَثْرَةِ ثَمَارِهَا إِلَى التَّمْرِ  
 مَعَ وَخَامَتِهِ وَقِلَّةِ مُوَافَقَتِهِ لِلْجَسَدِ ؟ ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّاسِكُ : إِنَّهُ لَا يَعْدُ  
 حَكِيمًا مَنْ طَلَبَ مَا لَا يَجِدُ . وَإِنَّكَ سَعِيدٌ الْجَدُّ إِذَا قَنِعْتَ  
 بِالَّذِي تَجِدُ ، وَزَهَدْتَ فِيمَا لَا تَجِدُ . وَكَانَ هَذَا النَّاسِكُ يَتَكَلَّمُ

بِالْعِبْرَانِيَّةِ . فَاسْتَحْسَنَ الضَّيْفُ كَلَامَهُ وَأَعْجَبَهُ ، فَتَكَلَّفَ أَنْ  
يَتَعَلَّمَهُ ، وَعَاجَلَ فِي ذَلِكَ نَفْسَهُ أَيَّامًا . فَقَالَ النَّاسِكُ لَضَيْفِهِ :  
مَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَقَعَ مِمَّا تَرَكْتَ مِنْ كَلَامِكَ ، وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلَامِ  
الْعِبْرَانِيَّةِ ، فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ الْغُرَابُ ! قَالَ الضَّيْفُ :  
وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ النَّاسِكُ : زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا رَأَى جَمَلَةً تَدْرُجُ وَتَمْشِي ،  
فَأَعْجَبَتْهُ مِشْيَتُهَا ، وَطَمَعَ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا . فَرَأَى عَلَى ذَلِكَ  
نَفْسَهُ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْكَامِهَا ، وَأَيْسَ مِنْهَا . وَأَرَادَ أَنْ يَعُودَ  
إِلَى مِشْيَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا : فَإِذَا هُوَ قَدْ اخْتَلَطَ وَتَحَلَّعَ فِي مِشْيَتِهِ ،  
وَصَارَ أَقْبَحَ الطَّيْرِ مَشِيًّا . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِمَا  
رَأَيْتُ مِنْ أَنَّكَ تَرَكْتَ لِسَانَكَ الَّذِي طُبِعَتْ عَلَيْهِ ، وَأَقْبَلْتَ عَلَى  
لِسَانِ الْعِبْرَانِيَّةِ ، وَهُوَ لَا يُسَاكِلُكَ ، وَأَخَافُ أَلَّا تُدْرِكَهُ ،  
وَتَنْسَى لِسَانَكَ ، وَتَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَأَنْتَ شَرُّهُمْ لِسَانًا : فَإِنَّهُ  
قَدْ قِيلَ : إِنَّهُ يُعَدُّ جَاهِلًا مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يُسَاكِلُهُ ،  
وَلَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ وَلَمْ يُوَدِّعْهُ عَلَيْهِ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلُ .

( انقضى باب الناسك والضيف )

## بَابُ السَّائِحِ وَالصَّائِعِ

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا  
 الْمَثَلَ . فَاضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنِ الَّذِي يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ  
 مَوْضِعِهِ ، وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ  
 إِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ . وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا  
 مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ شَيْءٌ  
 هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ ؛ وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ .  
 وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً ،  
 وَأَشَدَّ مُحَامَاةً عَلَى حُرْمِهِ ، وَأَشْكُرُ لِلْمَعْرُوفِ ، وَأَقْوَمُ بِهِ . وَحِينَئِذٍ  
 يَجِبُ عَلَى ذَوِي الْعَقْلِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَضَعُوا مَعْرُوفَهُمْ  
 مَوَاضِعَهُ ، وَلَا يَضَعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ . وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ ؛  
 وَلَا يَضْطَنِعُوا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْخَبْرَةِ بِطَرَائِقِهِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ  
 وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُّوا بِذَلِكَ قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ ،  
 إِذَا كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ لِلصَّنِيعَةِ ، وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَرِفْدَهُمْ  
 لِلْبَعِيدِ ، إِذَا كَانَ يَقِيهِمْ بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ : لِأَنَّهُ يَكُونُ

حَيْثُ عَارِفًا بِحَقِّ مَا اضْطَنَعَ إِلَيْهِ مُودِيًا لِشُكْرِ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ ،  
 مَحْمُودًا بِالنُّصْحِ ، مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ ، صَدُوقًا عَارِفًا ، مُؤَثِّرًا  
 لِحَمِيدِ الْفِعَالِ وَالْقَوْلِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِالْخِصَالِ  
 الْمَحْمُودَةِ وَوُثِقَ مِنْهُ بِهَا ، كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا ، وَلِتَقْرِيْبِهِ  
 وَأَصْطِنَاعِهِ أَهْلًا : فَإِنَّ الطَّيِّبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ  
 عَلَى مَدَاوَاةِ الْمَرِيضِ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْجَسِّ لِعُرُوقِهِ وَمَعْرِفَةِ  
 طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلَّتِهِ ، فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ كُلَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ  
 عَلَى مَدَاوَاتِهِ . فَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ : لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْطَفِي  
 أَحَدًا ، وَلَا يَسْتَخْلِصَهُ إِلَّا بَعْدَ الْخَبْرَةِ : فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى  
 مَشْهُورِ الْعَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ كَانَ مُحْتَاطِرًا فِي ذَلِكَ وَمُشْرِقًا  
 مِنْهُ عَلَى هَلَاكِ وَفْسَادِهِ . وَمَعَ ذَلِكَ رَبَّمَا صَنَعَ الْإِنْسَانُ الْمَعْرُوفَ  
 مَعَ الضَّعِيفِ الَّذِي لَمْ يُجَرِّبْ شُكْرَهُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ  
 فِي طَبَائِعِهِ فَيَقُومُ بِشُكْرِ ذَلِكَ وَيُكْفِي عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْمُكَافَأَةِ .  
 وَرَبَّمَا حَذَرَ الْعَاقِلُ النَّاسَ وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ أَحَدًا مِنْهُمْ .

وَقَدْ يَأْخُذُ ابْنَ عَرِسٍ فَيُدْخِلُهُ فِي كُمِّهِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْآخِرِ ، كَأَلْدَى  
يَحْمَلُ الطَّائِرَ عَلَى يَدِهِ ، فَإِذَا صَادَ شَيْئًا انْتَفَعَ بِهِ ، وَمَطَعَمَهُ مِنْهُ .  
وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِذِي الْعَقْلِ أَنْ يَخْتَقِرَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا  
مِنَ النَّاسِ وَلَا مِنَ الْبَهَائِمِ ، وَلَكِنَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يَبْلُوَهُمْ ، وَيَكُونَ  
مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ . وَقَدْ مَضَى فِي ذَلِكَ  
مَثَلٌ ضَرَبَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً احْتَفَرُوا رَكِيَّةً <sup>(١)</sup> فَوَقَعَ  
فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحِيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَيْرٌ ، <sup>(٢)</sup> وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ ،  
فَأَشْرَفَ عَلَى الرَّكِيَّةِ ، فَبَصُرَ بِالرَّجُلِ وَالْحِيَّةِ وَالْبَيْرِ وَالْقِرْدِ .  
فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ ، وَقَالَ : لَسْتُ أَعْمَلُ لِأَنْحَرِي عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ  
أَنْ أُخَلِّصَ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ . فَأَخَذَ حَبَلًا ،  
وَأَدْلَاهُ إِلَى الْبَيْرِ فَتَعَلَّقَ بِهِ الْقِرْدُ لِحْفَتِهِ نَفْرَجَ . ثُمَّ دَلَّاهُ ثَانِيَةً ،  
فَالْتَفَتَ بِهِ الْحِيَّةُ نَفْرَجَتْ . ثُمَّ دَلَّاهُ الثَّالِثَةَ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ الْبَيْرُ  
فَأَخْرَجَهُ . فَشَكَرَنَ لَهُ صَنِيعَهُ . وَقُلْنَا لَهُ : لَا تُخْرِجْ هَذَا الرَّجُلَ

مِنَ الرَّكِيَّةِ : فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقَلَّ شُكْرًا مِنَ الْإِنْسَانِ .  
 ثُمَّ هَذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْقِرْدُ : إِنَّ مَنزِلِي فِي جَبَلٍ  
 قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : نَوَادِرْخَتْ . فَقَالَ لَهُ الْبَبْرُ :  
 أَنَا أَيْضًا فِي أَجْمَةٍ إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . قَالَتِ الْحَيَّةُ :  
 أَنَا أَيْضًا فِي سُورِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِنَا يَوْمًا  
 مِنَ الدَّهْرِ ، وَاحْتَجَجْتَ إِلَيْنَا فَصَوِّتْ عَلَيْنَا حَتَّى نَأْتِيكَ فَنَجْزِيكَ  
 بِمَا أَسَدَيْتَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ السَّائِحُ  
 إِلَى مَا ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ ، وَأَدْلَى الْحَبَلِ ،  
 فَأَخْرَجَ الصَّائِغَ ، فَسَجَدَ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي  
 مَعْرُوفًا . فَإِنْ أَتَيْتَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نَوَادِرْخَتْ فَاسْأَلْ  
 عَن مَنزِلِي : فَأَنَا رَجُلٌ صَائِغٌ لَعَلِّي أَكْفَيْتُكَ بِمَا صَنَعْتَ  
 إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَاذْهَبْ إِلَى مَدِينَتِهِ وَانْطَلِقَ السَّائِحُ  
 إِلَى جَانِبِهِ . فَعَرَّضَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ السَّائِحَ اتَّفَقَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى  
 تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، فَاذْهَبَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْقِرْدُ ، فَسَجَدَ لَهُ وَقَبَّلَ  
 رِجْلَيْهِ . وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ الْقُرُودَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ،  
 وَلَكِنْ أَقْعُدُ حَتَّى آتِيكَ . وَانْطَلَقَ الْقِرْدُ ، وَاتَّأَهُ بِفَا كِهَةً



طَيِّبَةً ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ . ثُمَّ إِنَّ السَّائِحَ  
 أَنْطَلَقَ حَتَّى دَنَا مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَهُ الْبَيْرُ ، فَخَرَّ لَهُ  
 سَاجِدًا وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا . فَاطْمَئِنَّ  
 سَاعَةً حَتَّى آتَيْكَ . فَانْطَلَقَ الْبَيْرُ فَدَخَلَ فِي بَعْضِ الْحِيطَانِ<sup>(١)</sup>  
 إِلَى بِنْتِ الْمَلِكِ فَقَتَلَهَا ، وَأَخَذَ حَلِيهَا ، فَأَتَاهُ بِهَا ، مِنْ غَيْرِ  
 أَنْ يَعْلَمَ السَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هُوَ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذِهِ الْبَهَائِمُ  
 قَدْ أَوْلَتْنِي هَذَا الْجَزَاءَ ، فَكَيْفَ لَوْ قَدْ آتَيْتُ إِلَى الصَّائِغِ  
 فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُعْسِرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فَسَيَبِيعُ هَذَا الْحَلِيَّ فَيَسْتَوْفِي  
 ثَمَنَهُ . فَيُعْطِينِي بَعْضَهُ ، وَيَأْخُذُ بَعْضَهُ ، وَهُوَ اعْرَفُ بِثَمَنِهِ .  
 فَانْطَلَقَ السَّائِحُ ، فَأَتَى إِلَى الصَّائِغِ . فَلَمَّا رَأَاهُ رَحَّبَ بِهِ وَأَدْخَلَهُ  
 إِلَى بَيْتِهِ . فَلَمَّا بَصُرَ بِالْحَلِيِّ مَعَهُ ، عَرَفَهُ وَكَانَ هُوَ الَّذِي  
 صَاغَهُ لِابْنَةِ الْمَلِكِ . فَقَالَ لِلْسَّائِحِ : اطْمَئِنَّ حَتَّى آتَيْكَ  
 بِطَعَامٍ فَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ مَا فِي الْبَيْتِ . ثُمَّ نَحَرَ وَهُوَ يَقُولُ :  
 قَدْ أَصَبْتُ فُرْصَتِي : أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَدْلُهُ عَلَى ذَلِكَ ،  
 فَتَحْسُنَ مَنَزَلَتِي عِنْدَهُ . فَانْطَلَقَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ

إِلَيْهِ : إِنَّ الَّذِي قَتَلَ ابْنَتَكَ وَأَخَذَ حَلِيهَا عِنْدِي .  
فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَأَتَى بِالسَّائِحِ فَلَمَّا نَظَرَ الْحَلِيَّ مَعَهُ لَمْ يَمْهَلْهُ ،  
وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَيُضَلَبَ .  
فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ جَعَلَ السَّائِحُ يَبْكِي وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :  
لَوْ أَنَّي أَطَعْتُ الْقِرْدَ وَالْحَيَّةَ وَالْبَبْرَ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ وَأَخْبَرَنِي  
مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ لَمْ يَصِرْ أَمْرِي إِلَى هَذَا الْبَلَاءِ ، وَجَعَلَ  
يُكْرِرُ هَذَا الْقَوْلَ . فَسَمِعَتْ مَقَالَتَهُ تِلْكَ الْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ مِنْ  
جُجْرِهَا فَعَرَفَتْهُ ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهَا أَمْرُهُ ، فَجَعَلَتْ تَحْتَالُ فِي خَلَاصِهِ .  
فَانْطَلَقَتْ حَتَّى لَدَغَتْ ابْنَ الْمَلِكِ ، فَدَعَا الْمَلِكُ أَهْلَ الْعِلْمِ  
فَرَقَّوهُ لِيَشْفُوهُ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ مَضَتْ الْحَيَّةُ إِلَى أُخْتِ  
لَهَا مِنَ الْجَحْنِ ، فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا صَنَعَ السَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ،  
وَمَا وَقَعَ فِيهِ . فَرَقَّتْ لَهُ ، وَانْطَلَقَتْ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ ، وَتَحَايَاتْ لَهُ .  
وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ حَتَّى يَرْقِيكَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ  
عَاقَبْتُمُوهُ ظُلْمًا . وَانْطَلَقَتْ الْحَيَّةُ إِلَى السَّائِحِ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ  
السُّجْنِ ، وَقَالَتْ لَهُ : هَذَا الَّذِي كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنْ أَصْطِنَاعِ  
الْمَعْرُوفِ إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ : وَلَمْ تُطْعِنِي . وَأَتَتْهُ بِوَرَقٍ يَنْفَعُ

مِنْ سُمَّهَا . وَقَالَتْ لَهُ : إِذَا جَاءُوا بِكَ لِتَرْقِيَ ابْنَ الْمَلِكِ فَاسْقِهِ  
 مِنْ مَاءِ هَذَا الْوَرَقِ : فَإِنَّهُ يَبْرَأُ . وَإِذَا سَأَلَكَ الْمَلِكُ عَنْ حَالِكَ  
 فَاصْدُقْهُ : فَإِنَّكَ تَنْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنَّ ابْنَ الْمَلِكِ  
 أَخْبَرَ الْمَلِكَ أَنَّهُ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ : إِنَّكَ لَنْ تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقِيَكَ  
 هَذَا السَّائِحُ الَّذِي حُبِسَ ظُلْمًا . فَدَعَا الْمَلِكُ بِالسَّائِحِ ، وَأَمَرَهُ  
 أَنْ يَرْقِيَ وَلَدَهُ . فَقَالَ : لَا أَحْسِنُ الرَّقَى ، وَلَكِنْ أَسْقِيهِ مِنْ مَاءِ  
 هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . فَسَقَاهُ فَبَرِيَ الْغُلَامُ .  
 فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ : وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ ، فَأَخْبَرَهُ . فَشَكَرَهُ  
 الْمَلِكُ ، وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً ، وَأَمَرَ بِالصَّائِحِ أَنْ يُصَلَّبَ .  
 فَصَلَّبُوهُ لِكَذِبِهِ وَأَنْحِرَافِهِ عَنِ الشُّكْرِ وَمُجَازَاتِهِ الْفِعْلَ الْجَمِيلَ  
 بِالتَّقْبِيحِ . ثُمَّ قَالَ الْفَيْلَسُوفُ لِلْمَلِكِ : فِي صَنِيعِ الصَّائِحِ  
 بِالسَّائِحِ ، وَكُفْرِهِ لَهُ بَعْدَ اسْتِنْقَاذِهِ إِيَّاهُ ، وَشُكْرِ الْبَهَائِمِ لَهُ ،  
 وَتَحْلِيصِ بَعْضِهَا إِيَّاهُ ، عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَفِكْرَةٌ لِمَنْ تَفَكَّرَ ،  
 وَأَدَبٌ فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالكَرَمِ ،  
 قَرَّبُوا أَوْ بَعُدُوا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ صَوَابِ الرَّأْيِ وَجَلَبِ النُّحَيْرِ  
 وَصَرَفِ الْمَكْرُوهِ .

## بَابُ ابْنِ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا  
الْمَثَلَ . فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَا يُصِيبُ الْخَيْرَ إِلَّا بِعَقْلِهِ وَرَأْيِهِ  
وَتَثَبُّتِهِ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَزْعُمُونَ ، فَمَا بَالُ الرَّجُلِ الْجَاهِلِ يُصِيبُ  
الرَّفْعَةَ وَالْخَيْرَ ، وَالرَّجُلِ الْحَكِيمِ الْعَاقِلِ قَدْ يُصِيبُ الْبَلَاءَ  
وَالضَّرَّ ؟ . قَالَ بَيْدَبَا : كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِعَيْنَيْهِ  
وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا بِأُذُنَيْهِ ، كَذَلِكَ الْعَمَلُ ، إِنَّمَا هُوَ بِالْحِلْمِ  
وَالْعَقْلِ وَالتَّثَبُّتِ ، غَيْرَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ يَغْلِبَانِ عَلَى ذَلِكَ .  
وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ ابْنِ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ  
كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ اضْطَحَبُوا فِي طَرِيقٍ  
وَاحِدَةٍ ، أَحَدُهُمْ ابْنُ مَلِكٍ وَالثَّانِي ابْنُ تَاجِرٍ وَالثَّلَاثُ ابْنُ  
شَرِيفِ ذُو جَمَالٍ وَالرَّابِعُ ابْنُ أَكْكَارٍ<sup>(١)</sup> . وَكَانُوا جَمِيعًا مُحْتَاجِينَ ،

(١) الأكار : الحراث وجمعه أكرة كأنه جمع آكر .

وَقَدْ أَصَابَهُمْ ضَرَرٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ فِي مَوْضِعٍ غُرْبَةٍ لَا يَمْلِكُونَ  
إِلَّا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الثِّيَابِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ فَكَّرُوا فِي أَمْرِهِمْ .  
وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ رَاجِعًا إِلَى طِبَاعِهِ وَمَا كَانَ يَأْتِيهِ مِنْهُ  
الْخَيْرُ : قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلَّهُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ ،  
وَالَّذِي قُدِّرَ عَلَى الْإِنْسَانِ يَأْتِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَالصَّبْرُ لِلْقَضَاءِ  
وَالْقَدْرِ وَانْتِظَارُهُمَا أَفْضَلُ الْأُمُورِ . وَقَالَ ابْنُ التَّاجِرِ : الْعَقْلُ  
أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَقَالَ ابْنُ الشَّرِيفِ : الْجَمَالَ أَفْضَلُ  
مِمَّا ذَكَرْتُمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْأَثَّارِ : لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلُ  
مِنَ الْإِجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ . فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا  
مَطْرُونٌ ، جَلَسُوا فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا يَتَشَاوَرُونَ : فَقَالُوا لِابْنِ  
الْأَثَّارِ : انْطَلِقْ فَانْتَسِبْ لَنَا بِاجْتِهَادِكَ طَعَامًا لِيَوْمِنَا هَذَا .  
فَانْطَلَقَ ابْنُ الْأَثَّارِ ، وَسَأَلَ عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ يَكْتَسِبُ  
فِيهِ طَعَامَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ شَيْءٌ  
أَعَزَّ مِنَ الْحَطَبِ ، وَكَانَ الْحَطَبُ مِنْهَا عَلَى فَرَسِيخٍ . فَانْطَلَقَ  
ابْنُ الْأَثَّارِ فَاحْتَطَبَ <sup>(١)</sup> طُنًا مِنَ الْحَطَبِ ، وَاتَى بِهِ الْمَدِينَةَ

فَبَاعَهُ بِدِرْهَمٍ وَاشْتَرَى بِهِ طَعَامًا وَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ :  
 عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ إِذَا أَجْهَدَ فِيهِ الرَّجُلُ بَدَنَهُ قِيَمَتَهُ دِرْهَمًا .  
 ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِالطَّعَامِ فَأَكَلُوا . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ :  
 قَالُوا يَنْبَغِي لِلَّذِي قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنَ الْجَمَالِ  
 أَنْ تَكُونَ نَوْبَتُهُ . فَانْطَلَقَ ابْنُ الشَّرِيفِ لِيَأْتِيَ الْمَدِينَةَ ،  
 فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : أَنَا لَسْتُ أَحْسِنُ عَمَلًا فَمَا يَدْخُلُنِي  
 الْمَدِينَةَ ؟ ثُمَّ اسْتَحْيَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ طَعَامٍ ، وَهُمْ  
 بِمُفَارَقَتِهِمْ . فَانْطَلَقَ حَتَّى أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ ،  
 فَغَلَبَهُ النَّوْمُ فَنَامَ . فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمَدِينَةِ فَرَأَاهُ  
 بِجَمَالِهِ وَتَوَسَّمَ فِيهِ شَرَفَ النُّجَارِ فَرَقَّ لَهُ <sup>(١)</sup> وَمَنَحَهُ خَمْسِينَ دِرْهَمًا .  
 فَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ : جَمَالُ يَوْمٍ وَاحِدٍ يُسَاوِي  
 خَمْسِينَ دِرْهَمًا . وَأَتَى بِالذَّرَاهِمِ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا  
 فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، قَالُوا لِابْنِ التَّاجِرِ : انْطَلِقِي أَنْتِ فَاطْلُبِي  
 لَنَا بِعَقْلِكَ وَتِجَارَتِكَ لِيَوْمِنَا هَذَا شَيْئًا . فَانْطَلَقَ ابْنُ التَّاجِرِ

فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى بَصُرَ بِسَفِينَةٍ مِنْ سُفُنِ الْبَحْرِ كَثِيرَةٍ الْمَتَاعِ  
 قَدْ قَدِمَتْ إِلَى السَّاحِلِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ يُرِيدُونَ  
 أَنْ يَبْتَاعُوا مِمَّا فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِ . فَخَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي نَاحِيَةِ  
 مِنَ الْمَرَكَبِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَرْجِعُوا يَوْمَنَا هَذَا  
 لَا نَشْتَرِي مِنْهُمْ شَيْئًا حَتَّى يَكْسُدَ الْمَتَاعُ عَلَيْهِمْ فَيُرْخِصُوهُ  
 عَلَيْنَا ، مَعَ أَنَّنَا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَسَيَرُخِصُ . فَخَالَفَ الطَّرِيقَ  
 وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَرَكَبِ ، فَابْتَاعَ مِنْهُمْ مَا فِيهِ بِمِائَةِ أَلْفِ  
 دِينَارٍ نَسِيئَةً<sup>(١)</sup> وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ مَتَاعَهُ إِلَى مَدِينَةِ أُخْرَى .  
 فَلَمَّا سَمِعَ التُّجَّارُ ذَلِكَ خَافُوا أَنْ يَذْهَبَ ذَلِكَ الْمَتَاعُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ،  
 فَأَرْبَحُوهُ عَلَى مَا اشْتَرَاهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَحَالَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابَ<sup>(٢)</sup>  
 الْمَرَكَبِ بِالْبَاقِي ، وَحَمَلَ رِبْحَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ  
 الْمَدِينَةِ : عَقْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَنُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا كَانَ  
 الْيَوْمَ الرَّابِعُ قَالُوا لِابْنِ الْمَلِكِ : انْطَلِقِ أَنْتَ وَاکْتَسِبْ لَنَا  
 بِقَضَائِكَ وَقَدْرِكَ . فَانْطَلَقَ ابْنُ الْمَلِكِ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ

(١) إلى أجل . (٢) أي أخذ مائة ألف درهم وأحال الخ .

لِمَدِينَةٍ بَجَلَسَ عَلَى مُتَكِّأٍ فِي بَابِ الْمَدِينَةِ ، وَاتَّفَقَ أَنَّ مَلِكَ  
 تِلْكَ النَّاحِيَةِ مَاتَ وَلَمْ يُخْلِفْ وَلَدًا وَلَا أَحَدًا ذَا قَرَابَةٍ .  
 فَمَرُّوا عَلَيْهِ بِجَنَازَةِ الْمَلِكِ وَلَمْ يُحْزِنُوهُ وَكُلُّهُمْ يَحْزَنُونَ . فَأَنكَرُوا  
 حَالَهُ وَشَتَمَهُ الْبَوَّابُ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا ؟ وَمَا يُجْلِسُكَ  
 عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ وَلَا نَرَاكَ تَحْزِنُ لِمَوْتِ الْمَلِكِ ؟ وَطَرَدَهُ الْبَوَّابُ  
 عَنِ الْبَابِ فَلَمَّا ذَهَبُوا عَادَ الْغُلَّامُ بَجَلَسَ مَكَانَهُ . فَلَمَّا  
 دَفَنُوا الْمَلِكَ وَرَجَعُوا بَصُرَ بِهِ الْبَوَّابُ فَغَضِبَ وَقَالَ لَهُ :  
 أَلَمْ أَنهَكَ عَنِ الْجُلُوسِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؟ وَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ .  
 فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعَ أَهْلُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ يَتَشَاوَرُونَ فِيمَنْ  
 يَمْلِكُونَهُ عَلَيْهِمْ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَتَطَاوَلُ يَنْظُرُ صَاحِبَهُ ، وَيَحْتَلِفُونَ  
 بَيْنَهُمْ . فَقَالَ لَهُمُ الْبَوَّابُ : إِنِّي رَأَيْتُ أَمْسِ غُلَّامًا جَالِسًا  
 عَلَى الْبَابِ ، وَلَمْ أَرَهُ يَحْزِنُ لِحُزْنِنَا ، فَكَلَّمْتُهُ فَلَمْ يُجِبْنِي ،  
 فَطَرَدْتُهُ عَنِ الْبَابِ . فَلَمَّا عُدْتُ رَأَيْتُهُ جَالِسًا ، فَأَدْخَلْتُهُ  
 السُّجُنَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ عَيْنًا . فَبَعَثْتُ أَشْرَافَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ  
 إِلَى الْغُلَّامِ بِجَاءُوا بِهِ ، وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، وَمَا أَقْدَمَهُ



إِلَى مَدِينَتِهِمْ . فَقَالَ : أَنَا ابْنُ مَلِكِ فَوِيرَانَ ، وَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ  
وَالِدِي غَلَبَنِي أَخِي عَلَى الْمَلِكِ ، فَهَرَبْتُ مِنْ يَدِهِ حَذْرًا  
عَلَى نَفْسِي حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ . فَلَمَّا ذَكَرَ الْغُلَامُ  
مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِ عَرَفَهُ مَنْ كَانَ يَغْشَى أَرْضَ أَبِيهِ مِنْهُمْ ،  
وَأَثَنُوا عَلَى أَبِيهِ خَيْرًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَشْرَافَ اخْتَارُوا الْغُلَامَ  
أَنْ يَمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ وَرَضُوا بِهِ . وَكَانَ لِأَهْلِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ سُنَّةٌ  
إِذَا مَلَكَوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا حَمَلُوهُ عَلَى فَيْلٍ أَبْيَضٍ ، وَطَافُوا بِهِ  
حَوْلَى الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ مَرَّ بِبَابِ الْمَدِينَةِ فَرَأَى  
الْكِتَابَةَ عَلَى الْبَابِ فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ : إِنَّ الْإِجْتِهَادَ وَالْجَمَالَ  
وَالْعَقْلَ وَمَا أَصَابَ الرَّجُلَ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِنَّمَا هُوَ  
بِقَضَاءِ وَقَدَرٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَدْ أزدَدْتُ فِي ذَلِكَ  
اعْتِبَارًا بِمَا سَاقَ اللَّهُ إِلَى مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْخَيْرِ .

ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ وَأَرْسَلَ  
إِلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ فَأَخَضَرَهُمْ ، فَاشْرَكَ صَاحِبَ الْعَقْلِ  
مَعَ الْوُزَرَءِ ، وَضَمَّ صَاحِبَ الْإِجْتِهَادِ إِلَى أَصْحَابِ الزَّرْعِ ،

وَأَمْرَ لِصَاحِبِ الْجَمَالِ بِمَالٍ كَثِيرٍ ثُمَّ نَفَاهُ كَيْ لَا يُفْتَنَ بِهِ .  
 ثُمَّ جَمَعَ عَلَيْهِمْ أَرْضِيهِ وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا أَصْحَابِي  
 فَقَدْ تَيَقَّنُوا أَنَّ الَّذِي رَزَقَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ الْخَيْرِ  
 إِئْتِمًا هُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ؛ وَإِئْتِمًا أَحَبُّ أَنْ تَعْلَمُوا ذَلِكَ  
 وَتَسْتَيَقِّنُوهُ ؛ فَإِنَّ الَّذِي مَنَحَنِي اللَّهُ وَهَيَّأَهُ لِي إِئْتِمًا كَانَ بِقَدْرِ ،  
 وَلَمْ يَكُنْ بِجَمَالٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا اجْتِهَادٍ . وَمَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ  
 طَرَدَنِي أَخِي أَنْ يُصِيبَنِي مَا يَعِيشُنِي مِنَ الْقُوَّةِ فَضْلًا عَنْ أَنْ  
 أُصِيبَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ؛ وَمَا كُنْتُ أَوْمِلُ أَنْ أَكُونَ بِهَا : لِأَنِّي  
 قَدْ رَأَيْتُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي حُسْنًا وَجَمَالًا ،  
 وَأَشَدُّ اجْتِهَادًا وَأَسَدُّ رَأْيًا ، فَسَاقَنِي الْقَضَاءُ إِلَى أَنْ اعْتَزَزْتُ  
 بِقَدْرِ مِنَ اللَّهِ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْجَمْعِ شَيْخٌ فَهَضَّ حَتَّى اسْتَوَى  
 قَائِمًا ، وَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ كَامِلٍ عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ ،  
 وَإِنَّ الَّذِي بَلَغَ بِكَ ذَلِكَ وَفُورَ عَقْلِكَ وَحُسْنِ ظَنِّكَ ؛  
 وَقَدْ حَقَّقْتَ ظَنَّنَا فِيكَ وَرَجَاءَنَا لَكَ . وَقَدْ عَرَفْنَا مَا ذَكَرْتَ ،

وَصَدَّقْنَاكَ فِيهَا وَصَفْتَهُ . وَالَّذِي سَأَلَ اللَّهَ إِلَيْكَ مِنَ الْمُلْكِ  
 وَالْكَرَامَةِ كُنْتَ أَهْلًا لَهُ ، لِمَا قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ مِنَ الْعَقْلِ  
 وَالرَّأْيِ . وَإِنْ أَسْعَدَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ رِزْقِهِ اللَّهُ  
 رَأْيًا وَعَمَلًا . وَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنَا إِذْ وَفَّقَكَ لَنَا عِنْدَ مَوْتِ  
 مَلِكِنَا وَكَرَّمَنَا بِكَ . ثُمَّ قَامَ شَيْخٌ آخَرُ سَأَلَ فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
 وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ وَأَنَا غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ  
 سَائِحًا ، رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ . فَلَمَّا بَدَأَ لِي رَفُضُ الدُّنْيَا  
 فَارَقْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، وَقَدْ كَانَ أَعْطَانِي مِنْ أُجْرَتِي دِينَارَيْنِ ،  
 فَارَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا ، وَأَسْتَبْقِيَ الْآخَرَ ، فَاتَيْتُ  
 السُّوقَ ، فَوَجَدْتُ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الصَّيَّادِينَ زَوْجَ هُدُودٍ ،  
 فَسَاوَمْتُهُ فِيهِمَا فَأَبَى الصَّيَّادُ أَنْ يَبِيعَهُمَا إِلَّا بِدِينَارَيْنِ ،  
 فَاجْتَهَدْتُ أَنْ يَبِيعَنِيهِمَا بِدِينَارٍ وَاحِدٍ فَأَبَى . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي :  
 أَشْتَرِي أَحَدَهُمَا وَأَتْرِكُ الْآخَرَ . ثُمَّ فَكَّرْتُ وَقُلْتُ لِعَلَّهُمَا  
 يَكُونَانِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى فَاغْتَرَفْتُ بَيْنَهُمَا ، فَادْرَكْنِي لهما رَحْمَةٌ

فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَابْتَعْتُهُمَا بَيْنَارَيْنِ وَأَشْفَقْتُ إِنْ أُرْسَلْتُهُمَا  
 فِي أَرْضٍ عَامِرَةٍ أَنْ يُصَادَا ، وَلَا يَسْتَطِيعَا أَنْ يَطِيرَا مِمَّا لَقِيَا  
 مِنَ الْجُوعِ وَالْهُزَالِ ، وَلَمْ آمَنْ عَلَيْهِمَا الْآفَاتِ . فَاَنْطَلَقْتُ  
 بِهِمَا إِلَى مَكَانٍ كَثِيرِ الْمَرَعَى وَالْأَشْجَارِ بَعِيدٍ عَنِ النَّاسِ  
 وَالْعُمَرَانِ ، فَأُرْسَلْتُهُمَا ؛ فَطَارَا وَوَقَعَا عَلَى شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ .  
 فَلَمَّا صَارَا فِي أَعْلَاهَا شَكَرَا لِي ، وَسَمِعْتُ أَحَدَهُمَا يَقُولُ  
 لِلْآخَرِ : لَقَدْ خَلَّصْنَا هَذَا السَّائِحُ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ ،  
 وَاسْتَنْقَدْنَا وَنَجَّانَا مِنَ الْهَلَكَةِ . وَإِنَّا نَخْلِقَانِ أَنْ نُكَافِيَهُ  
 بِفِعْلِهِ . وَإِنَّ فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ جَرَّةٌ مَمْلُوءَةٌ دِنَانِيرًا .  
 أَفَلَا نَدُلُّهُ عَلَيْهَا فَيَأْخُذُهَا ؟ فَقُلْتُ لَهُمَا : كَيْفَ تَدُلَّانِي  
 عَلَى كَنْزٍ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ وَأَنْتُمَا لَمْ تَبْصُرَا الشَّبَكَةَ ؟ فَقَالَا :  
 إِنَّ الْقَضَاءَ إِذَا نَزَلَ صَرَفَ الْعُيُونَ عَنْ مَوْضِعِ الشَّيْءِ وَغَشَى  
 الْبَصَرَ . وَإِنَّمَا صَرَفَ الْقَضَاءُ أَعْيُنَنَا عَنِ الشَّرِكِ وَلَمْ يَصْرِفْهَا  
 عَنْ هَذَا الْكَنْزِ . فَاخْتَفَرْتُ<sup>(١)</sup> وَاسْتَخْرَجْتُ الْبَرْنِيَّةَ وَهِيَ

(١) إناء من خزف .

مَمْلُوءَةٌ دَنَانِيرَ ، فَدَعَوْتُ لهُمَا بِالْعَافِيَةِ ، وَقُلْتُ لَهُمَا :  
 اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَلَّمَكُمَا مَا لَمْ تَعْلَمَا ، وَأَنْتُمَا تَطِيرَانِ فِي السَّمَاءِ ،  
 وَأَخْبِرْتُمَا بِمَا تَحْتَ الْأَرْضِ . فَقَالَ لِي : أَيُّهَا الْعَاقِلُ ،  
 أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَدَرَ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ  
 أَنْ يَجَاوِزَهُ . وَأَنَا أَخْبِرُ الْمَلِكَ بِذَلِكَ الَّذِي رَأَيْتَهُ : فَإِنْ أَمَرَ  
 الْمَلِكُ أَتَيْتَهُ بِالْمَالِ فَأَوْدَعْتُهُ فِي خَزَائِنِهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ  
 ذَلِكَ لَكَ ، وَمَوْفَّرٌ عَلَيْكَ .

(انتهى باب ابن الملك وأصحابه)

## بَابُ الْحَمَامَةِ وَالْتَّعَلَبِ وَمَالِكِ الْحَزِينِ

وَهُوَ بَابٌ مَنْ يَرَى الرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ . قَالَ الْمَلِكُ  
 لِلْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ فَاضْرِبْ لِي مَثَلًا  
 فِي شَأْنِ الرَّجُلِ الَّذِي يَرَى الرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ .  
 قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ وَالْتَّعَلَبِ وَمَالِكِ  
 الْحَزِينِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا مَثَلُهُنَّ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَةً كَانَتْ تُفْرِخُ فِي رَأْسِ  
 نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ ذَاهِبَةٍ فِي السَّمَاءِ ، فَكَانَتْ الْحَمَامَةُ تُشْرَعُ فِي نَقْلِ  
 الْعُشِّ إِلَى رَأْسِ تِلْكَ النَّخْلَةِ ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَنْقُلَ مَا تَنْقُلُ  
 مِنْ الْعُشِّ وَتَجْعَلَهُ تَحْتَ الْبَيْضِ إِلَّا بَعْدَ شِدَّةٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ :  
 لِطُولِ النَّخْلَةِ وَسُحْقِهَا ، فَإِذَا فَرَّغَتْ مِنَ النَّقْلِ بَاضَتْ  
 ثُمَّ حَضَنْتْ بَيْضَهَا ، فَإِذَا فَقَسَتْ وَأَدْرَكَ فِرَاحُهَا جَاءَهَا ثَعْلَبٌ  
 قَدْ تَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهَا لَوَقْتٍ قَدْ عَلِمَهُ بِقَدْرِ مَا يَنْهَضُ فِرَاحُهَا ،  
 فَيَقِفُ بِأَصْلِ النَّخْلَةِ فَيَصِيحُ بِهَا وَيَتَوَعَّدُهَا أَنْ يَرْقَى إِلَيْهَا  
 فَتُلْقِي إِلَيْهِ فِرَاحُهَا . فَبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ أَدْرَكَ لَهَا فَرَّخَانِ  
 إِذْ أَقْبَلَ مَالِكُ الْحَزِينِ فَوَقَعَ عَلَى النَّخْلَةِ . فَلَمَّا رَأَى الْحَمَامَةَ  
 كَثِيبَةً حَزِينَةً شَدِيدَةً الْهَمِّ قَالَ لَهَا مَالِكُ الْحَزِينِ : يَا حَمَامَةُ ،  
 مَا لِي أُرَاكَ كَاسِفَةَ اللَّوْنِ سَيِّئَةَ الْحَالِ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : يَا مَالِكُ  
 الْحَزِينِ ، إِنَّ ثَعْلَبًا دُهَيْتُ بِهِ كُلَّمَا كَانَ لِي فَرَّخَانِ جَاءَنِي يَهْدِدُنِي  
 وَيَصِيحُ فِي أَصْلِ النَّخْلَةِ ، فَأَفْرُقُ مِنْهُ فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ فَرَّخِي .  
 قَالَ لَهَا مَالِكُ الْحَزِينِ : إِذَا أَتَاكَ لِيَفْعَلَ مَا تَقُولِينَ فَقُولِي لَهُ :

لَا أُلْقِي إِلَيْكَ فَرَحِي ، فَارَقَ إِلَى وَعَرَّزَ بِنَفْسِكَ . فَإِذَا فَعَلْتَ  
 ذَلِكَ وَأَكَلْتَ فَرَحِي ، طَرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي . فَلَمَّا عَلَّمَهَا  
 مَالِكُ الْحَزِينُ هَذِهِ الْحِيلَةَ طَارَ فَوْقَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ . فَأَقْبَلَ  
 الثَّعْلَبُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَرَفَ ، فَوَقَفَ تَحْتَهَا ، ثُمَّ صَاحَ كَمَا كَانَ  
 يَفْعَلُ . فَأَجَابَتْهُ الْحَمَامَةُ بِمَا عَلَّمَهَا مَالِكُ الْحَزِينُ . فَقَالَ لَهَا  
 الثَّعْلَبُ : أَخْبِرِيَنِي مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا ؟ قَالَتْ : عَلَّمَنِي مَالِكُ  
 الْحَزِينُ . فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ حَتَّى أَتَى مَالِكًا الْحَزِينَ عَلَى شَاطِئِ  
 النَّهْرِ ، فَوَجَدَهُ وَأَقْبَضَهُ . فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ : يَا مَالِكُ الْحَزِينُ :  
 إِذَا أَتَيْتَكَ الرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ ؟ قَالَ : عَنْ  
 شِمَالِي . قَالَ : فَإِذَا أَتَيْتَكَ عَنْ شِمَالِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ ؟  
 قَالَ : أَجْعَلُهُ عَنْ يَمِينِي أَوْ خَلْفِي . قَالَ : فَإِذَا أَتَيْتَكَ الرِّيحُ مِنْ  
 كُلِّ مَكَانٍ وَكُلِّ نَاحِيَةٍ فَأَيْنَ تَجْعَلُهُ ؟ قَالَ : أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَنَاحِي .  
 قَالَ : وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَنَاحِكَ ؟ مَا أَرَاهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ .  
 قَالَ : بَلَى : قَالَ : فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ فَلَعَمْرِي يَا مَعْشَرَ  
 الطَّيْرِ لَقَدْ فَضَّلَكُمْ اللَّهُ عَلَيْنَا . إِنَّكُمْ تَدْرِينَنِي فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ

مَا نَدْرِي فِي سَنَةٍ ، وَتَبْلُغُنِ مَا لَا نَبْلُغُ ، وَتُدْخِلُنِ رُءُوسِكُنَّ تَحْتَ  
 أَجْنِحَتِكُنَّ مِنْ الْبَرْدِ وَالرَّيْحِ . فَهَنِيئًا لَكُنَّ فَأَرِنِي كَيْفَ  
 تَصْنَعُ . فَأَدْخَلَ الطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِهِ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الثَّعْلَبُ  
 مَكَانَهُ فَأَخَذَهُ فَهَمَزَهُ هَمْزَةً دَقَّتْ عُنُقَهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا عَدُوَّ نَفْسِي ،  
 تَرَى الرَّأْيَ لِلْحَمَامَةِ ، وَتُعَلِّمُهَا الْحِيلَةَ لِنَفْسِهَا ، وَتَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ  
 لِنَفْسِكَ ، حَتَّى يَسْتَمَكِنَ مِنْكَ عَدُوُّكَ ، ثُمَّ أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَأَكَلَهُ .

فَلَمَّا انْتَهَى الْمَنْطِقُ لِلْمَلِكِ وَالْفَيْلَسُوفِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ  
 سَكَتَ الْمَلِكُ . فَقَالَ لَهُ الْفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، عِشْتَ  
 أَلْفَ سَنَةٍ ، وَمَلَكَتِ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ ، وَأُعْطِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
 سَبَبًا ، مَعَ وَفُورِ سُرُورِكَ وَقُوَّةِ عَيْنِ رَعِيَّتِكَ بِكَ ، وَمُسَاعَدَةِ  
 الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ لَكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ كَمَلَ فِيكَ الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ ، وَزَكَ  
 مِنْكَ الْعَقْلُ وَالْقَوْلُ وَالنِّيَّةُ ، فَلَا يُوجَدُ فِي رَأْيِكَ نَقْصٌ ،  
 وَلَا فِي قَوْلِكَ سَقَطٌ وَلَا عَيْبٌ . وَقَدْ جَمَعْتَ النَّجْدَةَ وَاللَّيْنَ ،  
 فَلَا تُوجَدُ جَبَانًا عِنْدَ الْإِقَاءِ ، وَلَا ضَيْقَ الصَّدْرِ عِنْدَ مَا يَنْوُبُكَ  
 مِنَ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ جَمَعْتَ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ شَمْلَ بَيَانِ



الْأُمُورِ ، وَشَرَحْتُ لَكَ جَوَابَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْهَا ، فَأَبْلَغْتُكَ  
 فِي ذَلِكَ غَايَةَ نُصِيحِي ، وَاجْتَهَدْتُ فِيهِ بِرَأْيِي وَنَظَرِي وَمَبْلَغِ  
 فِطْنَتِي ، التِّمَاسًا لِقَضَاءِ حَقِّكَ وَحُسْنِ النِّيَّةِ مِنْكَ . بِإِعْمَالِ  
 الْفِكْرَةِ وَالْعَقْلِ . بِخَاءٍ كَمَا وَصَفْتُ لَكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْمَوْعِظَةِ ،  
 مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ بِالْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنَ الْمُطِيعِ لَهُ فِيهِ ،  
 وَلَا النَّاصِحُ بِأَوْلَىٰ بِالنَّصِيحَةِ مِنَ الْمَنْصُوحِ ، وَلَا الْمُعَلِّمُ لِلْخَيْرِ  
 بِأَسْعَدَ مِنَ مُتَعَلِّمِهِ مِنْهُ . فَافْهَمْ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَلَا حَوْلَ  
 وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

(انتهت الطبعة السابعة عشرة)

١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق  
في يوم الأربعاء ٢٠ من ربيع الأول سنة ١٣٥٥  
(١٠ من يونيو سنة ١٩٣٦) م

مدير المطبعة الأميرية

محمد أمين بهجت

وزارة المعارف العمومية

---

# كتاب كليلا تروميني

تأليف  
بيدبا الفيلسوف الهندي

---

ترجمه الى العربية في صدر الدولة العباسية  
عبد الله بن المقفع

---

فردت وزارة المعارف العمومية بتاريخ ٤ من ربيع الأول  
سنة ١٣٢٠ (١٠ من يونيو سنة ١٩٠٢ رقم ٨٩٦)  
طبع هذا الكتاب على نفقتها وتدرسه بالمدارس الأميرية

---

القاهرة  
طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٣٧

## فهرس كتاب كليلة ودمنة

صفحة	
١	خطبة الكتاب
٩	باب مقدمة الكتاب
٤٢	» بعثة برزويه إلى بلاد الهند
٥٨	» عرض الكتاب — ترجمة عبد الله بن المقفع
٧٤	» برزويه — ترجمة بزرجمهر بن البختگان
٩١	» الأسد والثور — وهو أول الكتاب
١٥٤	» الفحص عن أمر دمنة
١٧٧	» الحماسة المطوقة
٢٠٠	» البوم والغربان
٢٣٢	» القرد والغيلم
٢٤٠	» الناسك وابن عرس
٢٤٤	» الجرد والسمور
٢٥٣	» ابن الملك والطائر فنترة
٢٦٢	» الأسد والشغبر الناسك وهو ابن آوى
٢٧٤	» ايلاذ وبلاد وايراخت
٢٩٤	» اللبوة والإسوار والشغبر
٢٩٩	» الناسك والضيف
٣٠١	» السائح والصائغ
٣٠٨	» ابن الملك وأصحابه
٣١٧	» الحماسة والتعلب ومالك الحزين